خليج بمعطيات جديدة ينتظر زيارة الرئيس الروسي

ص4

حسناء أبوزيد

مغربية صحراوية تتحدى من أجل حياة سياسية متطورة

ص8

عرض كوميدي إماراتي في القاهرة

ص14

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/10/13

14 صفر 1441

السنة 42 العدد 11496

Sunday 13/10/2019

42nd Year, Issue 11496

مناظرة المرشحين للرئاسة عمقت المخاوف أكثر من طمأنة التونسيين

سعيد احتمى بالغموض والقروي كان مهموما بطمأنة جمهوره الانتخابي

مجاملات وغموض في مناظرة الجمعة

تونس – زادت المناظرة التي أقامها التلفزيون الرسمي بين المرشحين للرئاسة قيس سعيد ونبيل القروي من المخاوف في الشارع التونسي خاصة أن الطرفين عملا على إظهار قدراتهما في الإقناع والمناورة واستعراض المعلومات أكثر من تقديم حلول قريبة من انتظارات الناس.

وسعى قيس سعيد، أستاذ القانون المتقاعد، لاستقطاب الشباب إلى صفه خاصة أنه كان صاحب الفضل في صعوده للدور الثاني. وفي خطوة وصفت بالشعبوية قال سعيد إن دوره ليس تقديم حلول، ولكن مساعدة الشباب على عرض أفكارهم ومشاريعهم ومرافقتهم في تحقيقها.

وحرص المرشح المثير للمخاوف، في أوساط المثقفين والطبقة السياسية الليبرالية والحداثية، على التسويق لفكرته الهادفة إلى تغيير نظام الانتخابات، والتركيز على الديمقراطية الشعبية التي تنطلق من أسفل، أي تصعيد ممثلي الشعب من الأحياء في استعادة لتجارب ماركسية قديمة وهو أقرب إلى نظام اللجان الشعبية في عهد العقيد الليبي الراحل معمر القذافي.

ويقول محللون سياسيون إن الديمقراطية الشعبية فكرة غامضة وصعبة التحقيق، وقد تدفع إلى صدام في مرحلة لاحقة بين سعيد إذا تم انتخابه رئيسا وبين البرلمان والحكومة والطبقة السياسية ككل، فهو يدعو إلى نظام جديد أكبر من الأحزاب ومن الدستور، يقوم على تعزيز سلطة الحكم المحلي وحق النائب بسحب صوته من السلطة المنتخبة في الجهات إذا أخلت ببرامجها.

وقال سعيد الذي يحرص على التحدث باللغة العربية الفصحى، إن "قضاء مستقلا أحسن من ألف دستور".

ونأى بنفسه عن حركة النهضة التي جندت أنصارها لانتخابه بشكل يثير التساؤلات، وهل هو مسنود منها، ولو بشكل خفي، وهل هو المقصود بالعصفور النادر الذي سبق أن تحدث عنه رئيس النهضة راشد الغنوشي. وشدد سعيد مجددا على أنه "مستقل وسأبقى مستقلا"، بما في ذلك عن حزب النهضة الإسلامي الذي اتهمه معارضون له بأنه قريب منه.

وقال "يتهمونني مرة بأنني سلفي وأحيانا بأنني يساري. المهم هو إرادة الشعب. الشباب هم الذين يدعمونني"

ويسود اعتقاد لدى الكثير من السياسيين والنشطاء بأن المخاوف من سعيد ليست فقط بسبب أفكاره المثالية التي قد تزيد من تأجيج الأزمة السياسية في البلاد، ولكن بغموض ارتباطاته والجهات التي ساعدت على وصوله إلى الدور الثاني وسبب هذا التكتم الشديد.

وكان سعيد قد أثار الجدل بسبب معارضته للتعديلات على قوانين الميراث التي تطالب بها القوى المدنية والحقوقية. تضاف إلى ذلك الشكوك في قائمة داعميه من عناصر سلفية أو فاعلة في روابط حماية الثورة المتهمة بقضايا عنف ضد الخصوم السياسيين.

وفيما اكتفى سعيد بعرض أفكار عامة، سعى نبيل القروي إلى الظهور بمظهر الشخصية البراغماتية الحريصة على تقديم أفكار عملية خاصة للفئات الفقيرة التي كانت وراء صعوده للدور الثاني ونجاح حزبه في الحصول على المرتبة الثانية بالانتخابات التشريعية بـ38 مقعدا خلف حركة النهضة بـ52 مقعدا.

وأكد القروي أن الأولوية هي مكافحة "البؤس والفقر واليأس" لأن "التطرف ينبع منها". وشدد على الدبلوماسية الاقتصادية وتعيين سفير لدى مجموعات التكنولوجيا الأميركية العملاقة (غافا) مؤكدا أنه يريد "جذب المستثمرين" و"مساعدة الشركات التونسية على التمركز في أفريقيا".

وطوال المناظرة كرر القروي، قطب الإعلام الذي بدا مرتاحا ولكن مترددا في بعض الأحيان وتحدث باللهجة التونسية، أن القضايا الأساسية التي يركز عليها هي مكافحة الفقر والليبرالية الاقتصادية.

وأبدى الكثير من النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي خيبة من مستوى المناظرة، مشيرين إلى أنها جاءت دون سقف انتظار فئات شعبية مختلفة بسبب غياب أفكار عملية ورؤية لصلاحيات رئيس الجمهورية وكيفية مساهمته في بناء استراتيجية مشتركة مع الحكومة والبرلمان لتطوير الاقتصاد.

واستغرب النشطاء تحويل الأنظار في المناظرة إلى قضايا خارجية مثل قضية التطبيع وكأن التونسيين يذهبون، اليوم، لانتخاب من يعادي إسرائيل أكثر، وليس من يقدم حلولا أكثر واقعية للخروج بالبلاد من الأزمة.

وتعهد المرشحان بعدم السماح بدخول يهود يحملون جوازات سفر إسرائيلية إلى تونس.

«ائتلاف الكرامة» المتشدد يضع تونس في مأزق مع شركائها الأوروبيين ص2

عبدالمهدي يستغل مطالب المتظاهرين في تعديل وزاري على مقاس الميليشيات

بغداد – في تطور يعكس انعدام تأثير الحراك الشعبي على التوجهات السياسية المصلحية في العراق، سمي أحد أقرباء رئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض، قائدا لقوات جهاز مكافحة الإرهاب، فيما رشح حزب الدعوة الإسلامية، أحد أعضائه المتهمين بقضايا فساد، لمنصب وزير الاتصالات، في إطار تعديل وزاري، زعم رئيس الحكومة عادل عبدالمهدي أنه جاء استجابة لمطالب المتظاهرين.

وبعد خلافات حادة، تسرب جانب منها إلى وسائل الإعلام، تمكن فالح الفياض، بموافقة عبدالمهدي، من إقصاء أحد أبطال الحرب العراقية على تنظيم داعش، وهو الجنرال البارز عبدالوهاب الساعدي، من منصب قائد قوات مكافحة الإرهاب، التشكيل العسكري الأقوى والأهم والأفضل تسليحا في البلاد.

وارتبط اسم الساعدي بأبرز الانتصارات التي حققتها القوات العراقية خلال معركة استعادة أراض احتلها تنظيم داعش بين 2014 و2017، في نينوى وصلاح الدين والأنبار.

ومن وجهة نظر عبدالمهدي والفياض، فإن قرار الساعدي لم يحتج إلى تبرير، إذ طلب منه ببساطة أن ينتقل إلى دائرة هامشية في وزارة الدفاع، توصف بأنها بيت الضباط العجزة والمتقاعدين.

ورفض الساعدي أول الأمر تنفيذ القرار، وتسرب أنه طالب عبدالمهدي بمراجعة قراره، فهو ما زال تحت السن القانونية للتقاعد، ومع سجل حافل كالذي يملكه، كان يتوقع ترقية كبيرة بعدما وضعت الحرب أوزارها، لكن ما حدث هو العكس تماما.

ويبدو أن رفض الساعدي تنفيذ الأوامر، وهو التطور الذي حظي بمساندة شعبية كبيرة، أغضب عبدالمهدي كثيرا، ودفعه إلى التصريح علنا بأن ضابطه المنقول يتسكع على أبواب السفارات، في إشارة واضحة إلى صلة مشبوهة بين الساعدي والسفارة الأميركية في بغداد.

وتهمة العلاقة المشبوهة بين جهاز مكافحة الإرهاب ليست جديدة، إذ يحرص قادة الميليشيات العراقية المسلحة، الموالية لإيران، على تداولها باستمرار، للتقليل من قيمة هذه القوة التي تحظى بتسليح ودعم لوجيستي أميركي مميز.

ولم تنفع المساندة الشعبية الكبيرة، في تغيير قرار عبدالمهدي والفياض، الخاص بالساعدي، الذي أعلن لاحقا قبوله بموقعه الجديد، وسط تسريبات عن إخضاعه للإقامة الجبرية، خشية تحركه نحو تنظيم انقلاب عسكري.

وما أن حدث هذا، حتى دفع الفياض بأحد أبناء عمومته، وهو زوج شقيقته، ليشغل منصب قائد قوات مكافحة الإرهاب.

وعلمت "العرب" من مصادر موثوقة، أن علاء الفياض، القائد الجديد للقوة العسكرية العراقية الأهم، هو مجرد ضابط مغمور، لم يسبق له أن قاد معركة أو خطط لها، لأنه أمضى معظم سنوات خدمته في أعمال إدارية.

عبدالوهاب الساعدي الجنرال الذي أغضب عادل عبدالمهدي وفالح الفياض

وفي الجانب الثاني من التطور، يبدو أن عبدالمهدي مصر على إرضاء الأحزاب السياسية الكبيرة، بسبب ارتباط وجوده في موقعه بها، وذلك من خلال الاستمرار في إسناد المناصب المهمة لمرشحيها المتهمين بالفساد، في تجاهل علني لمطالب المحتجين، الذين فقدوا نحو سبعة آلاف شاب منهم، بين قتيل وجريح ومعتقل، خلال موجة التظاهرات غاضبة التي انطلقت مطلع أكتوبر الجاري.

وفوجئت أوساط المراقبين، بترشيح عبدالمهدي لأمير البياتي، عضو حزب الدعوة الإسلامية، المحكوم سابقا في قضية فساد، إلى منصب وزير الاتصالات، بعد توافق على إقالة الوزير الحالي، نعيم الربيعي، بسبب صلاته المزعومة مع حزب البعث المحظور.

وقالت مصادر مطلعة إن عبدالمهدي استجاب لرغبة حزب الدعوة الإسلامية الذي يتزعمه نوري المالكي بترشيح البياتي لحقيبة الاتصالات، برغم أنه يحمل شهادة في العلوم الدينية، وحكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر قبل أعوام بتهمة التواطؤ لتسهيل الاستيلاء على ممتلكات عامة، فضلا عن الشبهات المحيطة بعلاقاته مع شركات الإنترنت، مستغلا نفوذه في وزارة الاتصالات، التي شغل مؤخرا منصب وكيل وزير فيها.

واستغرب المراقبون من أن يستغل عبدالمهدي لافتة "مطالب المتظاهرين" بهذا الشكل المكشوف، لإرضاء أحزاب تهدد بإقالته.

الغزو التركي يضخ دماء جديدة في جسد الجامعة العربية

اجتماع القاهرة يطالب بوقف فوري للعدوان التركي ومطالبة باستعادة سوريا لمقعدها في الجامعة

القاهرة – دفع الغزو التركي للأراضي السورية إلى تحرك سريع لمؤسسة الجامعة العربية، وعجل بالحديث عن اتخاذ إجراءات لعودة سوريا إلى مقعدها الشاغر منذ سبع سنوات بجامعة الدول العربية، بعد التئام جلسة طارئة لوزراء الخارجية، السبت، دعت إليها مصر.

ووصفت جامعة الدول العربية الهجوم التركي بأنه "غزو لأراضي دولة عربية وعدوان على سيادتها".

أردوغان الهارب إلى سوريا

خيرالله خيرالله

ص5

وأكد البيان الختامي، الذي تحفظت عليه كل من قطر والصومال، "الدعوة لاستعادة سوريا لدورها في المنظومة العربية"، في إشارة قد تمهد الطريق أمام سوريا لشغل مقعدها في الجامعة العربية.

وأوضح أحمد أبوالغيط، الأمين العام للجامعة العربية، في مؤتمر صحافي السبت، أن مسألة العودة تحتاج إلى تحركات دبلوماسية وبلورة رؤية حول تفاصيل هذه المسألة، وعقد اجتماع خاص بها، لافتا إلى أنه على سوريا دور ومسؤوليات (لم يحددها) يجب أن تقوم بها حيال هذه الخطوة.

وشدد محمد الحكيم وزير خارجية العراق، في كلمته أمام الاجتماع الطارئ، على ضرورة عودة دمشق إلى مقعدها، وهو ما أيّده فيه مندوب الجزائر، وجبران باسيل وزير خارجية لبنان.

وتساءل باسيل "ألم يحن الوقت لعودة الابن المُبعد والمصالحة العربية- العربية أم علينا انتظار الأضواء الخضراء من كل حدب وصوب"، في تلميح إلى أن قرار العودة يخضع لاعتبارات إقليمية ودولية عديدة، ويحتاج إلى موافقات من قوى كبرى، الأمر الذي أدى إلى تجميد ملف سوريا بالجامعة طويلا، فلا شغلته الحكومة، ولم تتمكن المعارضة من استلامه.

وأدانت الجامعة العربية العملية العسكرية التركية في شمال شرق سوريا، واعتبرتها بمثابة "غزو لأراضي دولة عربية وعدوان على سيادتها"، وهو ما أشار إليه غالبية رؤساء وفود الدول العربية، واستنكروا حدوثه، وناشدوا المجتمع الدولي بالتحرك لكف العدوان.

وطالب وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية أنور قرقاش، بـ"خروج تركيا وقواتها، وكل القوات الأجنبية التي استباحت هذا البلد العربي والدفع نحو إنجاح الحل السياسي".

وحمل البيان الختامي لوزراء الخارجية أنقرة "مسؤولية عودة التنظيمات الإرهابية.. والنظر في اتخاذ إجراءات سياسية واقتصادية وسياحية في التعاون مع تركيا".

وقالت نورهان الشيخ، أستاذة العلاقات الدولية بجامعة القاهرة، إن عدم وجود نص صريح وواضح بشأن عودة سوريا في البيان الختامي، "دليل على أن هناك فعالية عربية تقوم بشكل أكبر على التصريحات وليس الأفعال في التعامل مع الهجمات التركية على الأراضي السورية، والحماس الذي ظهر في كلمات وزراء الخارجية ما زال منقوصا وبحاجة إلى المزيد من التوافق العربي".

وأشارت نورهان الشيخ في تصريح لـ"العرب"، إلى أن فاعلية أدوار الجامعة تتعلق برغبة الدول العربية التي تعول على تحركاتها الفردية بعيدا عن المظلة الأم.

وأضافت أن وجود قطر في المعسكر التركي-الإيراني يؤثر على محاولات التوافق تحت سقف الجامعة العربية، لأنها تتدخل سلبا في جملة من الأزمات التي تشهدها المنطقة، سواء ما يتعلق بسوريا أو ليبيا أو اليمن.

وأثار الهجوم انتقادات دولية حادة ومخاوف من تداعياته الإنسانية، وقالت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا التي يقودها الأكراد إن ما يقرب من 200 ألف شخص نزحوا بسببه.

واعتبرت واشنطن أن التوغل التركي يلحق "ضررا بالغا" بالعلاقات مع أنقرة. وقال وزير الدفاع الأميركي مارك إسبر لنظيره التركي إن على أنقرة تهدئة الموقف "قبل أن يتعذر إصلاحه" بينما حذر رئيس المجلس الأوروبي دونالد توسك من أن الهجوم قد يؤدي إلى "كارثة إنسانية".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

غوتيريش يناور في ملف الصحراء بتغييب الآلية المغربية لحقوق الإنسان

المغرب ينفي وجود اتصالات مع جبهة البوليساريو

تجاهل أمين عام الأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش في تقريره حول ملف الصحراء المغربية، الآلية المغربية لحقوق الإنسان، يراه مراقبون مناورة تستهدف توسيع مهام وصلاحيات البعثة الأممية "المينورسو" خاصة في ملف حقوق الإنسان مع اقتراب نهاية ولايتها.

محمد ماموني العلوي

الرباط – قدم الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش تقريره حول الصحراء المغربية أمام مجلس الأمن الدولي، دون التطرق إلى الحديث عن الآلية المغربية لحقوق الإنسان وذلك لأول مرة منذ عام 2012، في خطوة أثارت استغراب مراقبين أمام تساؤلات حول مقاصدها، مع اقتراب استصدار تقرير نهائي حول ملف الصحراء.

ومن المرتقب مناقشة التّقرير الأممي النهائي حول ملف الصحراء، أمام مجلس الأمن قبل نهاية فترة ولاية بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء (مينورسو) أواخر أكتوبر الجاري.

> غياب أي إشارة إلى الآلية المغربية لحقوق الإنسان، في تقرير غوتيريش الأخير، في الشق المتعلق بحقوق الإنسان، اعتبره حقوقيون فعلا غير بريء ومتعمدا

ويرى خبراء في تغافل غوتيريش عن طرح هذا الملف تحولا خطيرا وقال الحقوقي عزيز أدمايين، لـ"العرب"، "باعتبار أن القانون الدولي يقر في حالة وجود آليات انتصاف وطنية، تنتفي المطالب حول ضرورة سن آلية انتصاف دولي، والمقصود عدم ضرورة توسيع صلاحيات المينورسو لتشمل حقوق الإنسان".

وغياب أي إشارة إلى الآلية المغربية لحقوق الإنسان، في تقرير غوتيريش الأخير، في الشق المتعلق بحقوق الإنسان، اعتبره حقوقيون فعلا غير بريء ومتعمد هدفه توجيه مجلس الأمن إلى استصدار توصية أممية تتعلق بعدم وجود آلية مستقلة لحماية حقوق الإنسان. وفي هذا الصدد بين الحقوقي عزيز أدمايين، لـ"العرب"، أنه "في حالة المغرب فإن المجلس الوطني لحقوق الإنسان يقدم كالية انتصاف محلية ناجعة، وقد كان لهذا الطرح صدى لدى الأمين العام للأمم المتحدة ومجلس الأمن سابقا"، وأوضح قائلا "هذا ما جعل مطلب توسيع صلاحيات بعثة المينورسو لتشمل مراقبة حقوق الإنسان لا يحظى بقبول من طرف المجتمع الدولي". وأضاف "أما الآن وبعد أن عبر الأمين العام عن أن هذه الآلية غير ناجعة وبها ثغرات، تدفعنا إلى التساؤل عن مسبباتها".

ويلفت مراقبون إلى ضرورة تحرك الدبلوماسية المغربية وتنبيه الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن وكذلك مكتب غوتيريش إلى خطورة هذا المستجد غير المسؤول، خاصة وأن تقرير الأمين العام للأمم المتحدة حول الصحراء ما زال في طور النقاش.

ونبه الخبير عزيز أدمايين إلى أن الحاجة ملحة قبل أي وقت لتقرير يصدر عن المجلس الوطني لحقوق الإنسان يرصد ممارسة الحقوق والحريات، وإلا سيطفو على السطح خطاب الدعوة إلى توسيع صلاحيات المينورسو لمراقبة حقوق الإنسان أو وضع آلية أخرى مستقلة خاصة بذلك.

وتطرق تقرير الأمم المتحدة إلى ملف حقوق الإنسان فوق أراضي جبهة البوليساريو الانفصالية، مشيرا إلى أنه خلال الفترة من أبريل إلى يونيو 2019، نظمت احتجاجات للمطالبة في الرابوني بالجزائر، بأن تحصل جبهة البوليساريو على معلومات من الجزائر بشأن مصير خليل أحمد العضو في جبهة البوليساريو، الذي بلغ عن اختفائه في الجزائر عام 2009، وفي سياق متصل نفت القوات المسلحة الملكية وجود اتفاق بين قيادة القوات المسلحة الملكية ومرتزقة البوليساريو، حول آلية عمل وتعاون، عسكرية ثنائية، حسب ما جاء في بيان للجيش، توصلت "العرب" إلى نسخة منه، مضيفا أن مصالحها تكذب الخبر جملة وتفصيلا، وتؤكد أنه "لم ولن يكون أي حوار مباشر بين القوات المسلحة الملكية والبوليساريو".

هل تسعى المينورسو لتوسيع صلاحياتها

وجاء رد القوات المسلحة الملكية على تأويلات تخص ما قاله تقرير الأمين العام للأمم المتحدة بأن قيادة الجيش المغربي وافقت على المشاركة في الآلية، "التي حققت بالفعل نجاحا كبيرا في تضييق هوة الخلافات"، وأكد أن قيادة البوليساريو أعربت أيضا "عن ترحيبها بفكرة الآلية المقترحة"، بيد أن تنفيذها "لا يزال معلقا بسبب تعذر التوصل إلى اتفاق بشأن موقع الاجتماعات".

وأكد صبري الحو، الخبير في القانون الدولي وشؤون الصحراء، في تصريح لـ"العرب"، أن "تقرير الأمين العام للأمم المتحدة، يتضمن إجراء بعثة المينورسو لقاءات غير رسمية عديدة مع الأطراف، على حدة إثر تفاقم حالات عرقلة حرية العبور في منطقة الكركارات وخطر نشوب حرب بسببها، وهو ما ينسجم مع نفي القوات المسلحة الملكية لأي اجتماع يجمع بينها وبين البوليساريو".

من جهة أخرى أكد التقرير أن جبهة البوليساريو لا تزال ترفض "جميع الاجتماعات مع قيادة البعثة سواء من العنصر المدني أو العسكري في الرابوني التي عقدت فيها جميع الاجتماعات السابقة وفقا للممارسة المتبعة منذ وقت طويل". وهنا يؤكد التقرير على ضرورة التعاون مع آلية اللجنة، وتيسير عملها وعدم اختلاق عراقيل اجتماعاتها ولقاءاتها، ويرى صبري الحو أن في ذلك إشارة من الأمين العام إلى محاولات فرض مناورات لإجراء اللقاء معها داخل المنطقة العازلة لتأكيد فكرة الترويج "للأراضي المحررة"، وهو الأمر الذي ترفضه الأمم المتحدة.

«ائتلاف الكرامة» المتشدد يضع تونس في مأزق مع شركائها الأوروبيين

تونس – لم تعد هناك خيارات كثيرة أمام حركة النهضة الإسلامية سوى التحالف مع أقصى اليمين المحافظ لإنقاذ الأغلبية غير المريحة لحزبها، وبالتالي تفادي شلل سياسي قد ينتهي بحتمية التوجه إلى انتخابات مبكرة.

ومع انفضاض أغلب الأحزاب الفائزة بمقاعد عن مشروع التحالف مع النهضة لم يتبق خيار آخر أمام الأخيرة سوى القبول بدخول "ائتلاف الكرامة" اليميني المتشدد إلى الحكم. ولكن هذا الخيار يعد مخاطرة فعلية لعلاقات تونس الخارجية في ظل الأطروحات والأولويات التي يتبناها الكرامة.

تمثل قائمات الائتلاف تجميعا لمرشحين لا سجل سياسيا لهم ولكنهم عرفوا في أغلبهم بقربهم من الجماعات الدينية المحافظة وبخطاب يسوق لنظرية المؤامرة الدولية في صناعة الراديكالية والإرهاب. كما تدافع هذه القائمات بشكل واضح على تغليب أحكام الشريعة وتجاهر بعدائها للدولة الوطنية الحديثة التي أسسها الزعيم الراحل الحبيب بورقيبة إبان الاستقلال.

واشتهر الناطق باسم الائتلاف، المحامي الشاب سيف الدين مخلوف، بتكفله بأغلب قضايا المورطين في الإرهاب ومن بينهم أيضا مرحلون من دول أوروبية. وقد اقترن اسم المحامي اليميني بالأزمة الدبلوماسية بين تونس وبرلين في قضية ترحيل الإسلامي سامي العيدودي حارس زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن.

وائتلاف الكرامة الذي يتقاطع مع "روابط حماية الثورة" التي عرفت بممارستها للعنف والترهيب إبان الثورة عام 2011، يضم أيضا في صفوفه نشطاء، والإمام المتشدد رضا الجوادي، وإعلامي آخر عرف كذلك بموالاته لجماعات الإخوان المسلمين. وجميع هؤلاء يرفعون شعارات صدامية مع الغرب.

ويتضمن برنامج الائتلاف فرض تأشيرة على السياح الفرنسيين والأجانب انطلاقا من مبدأ المعاملة بالمثل، وهو بند يتغافل عن خصوصية الاقتصاد التونسي المعتمد على عائدات السياحة والاستثمار الخارجي كما لا يضع في اعتباره وزن السوق الفرنسية (الأولى) والأوروبية عموما في حجم قطاع السياحة المتعثر أصلا في تونس. وفي حال تبني هذا البند فإنه سيمثل ضربة قاتلة للسياحة التونسية.

ولا يخلو خطاب "الكرامة" طيلة حملته الانتخابية من النبرة العدائية والشعبوية تجاه الحليف الاقتصادي الأول لتونس فرنسا، بدءا من دعواته إلى مراجعة عقود استغلال الثروات الطبيعية وطلب اعتذار باريس من أجل سجلها الاستعماري وفرض إجراءات صارمة حول تحرك السفير الفرنسي بتونس.

وعموما تجد هذه النبرة المستقطبة التي طغت على الحملة الانتخابية للكرامة، صدى كبيرا لدى الطبقات المحافظة سواء داخل التيار الإسلامي أو التيارات التقليدية.

> برنامج «ائتلاف الكرامة» يتضمن فرض تأشيرة على السياح الفرنسيين والأجانب انطلاقا من مبدأ المعاملة بالمثل

لكن الخطوة الأكثر خطورة بالنسبة لشركاء تونس، تكمن في تعهد "الائتلاف" الذي يمثل اليوم الكتلة الثالثة في البرلمان، لناخبيه بإلغاء القيود الأمنية التي تحاصر تحرك الآلاف من المشتبه بهم ممن ضلعوا في أنشطة متشددة أو من يشتبه بتعاطفهم مع جماعات إرهابية، بدعوى حرية التنقل.

وهذه القيود تفرضها السلطات الأمنية منذ عام 2013 في نظام أمني عرف بـ"أس17" بهدف التصدي لأنشطة شبكات التسفير التي بعثت بالآلاف من التونسيين إلى نزاعات في الخارج بطرق متحايلة منذ 2011. وقد مكن النظام الأمني من منع خروج أكثر من 12 ألف تونسي ممن يشتبه بالتحاقهم بتنظيمات متشددة من السفر خارج البلاد. وفي حال مضى "الكرامة" قدما في فرض هذه الأولويات في مفاوضاته مع الحزب الأغلبي حركة النهضة الإسلامية، فإنه لا مفر من أزمة دبلوماسية مع الاتحاد الأوروبي الذي يستحوذ على 75 بالمئة من التبادل الاقتصادي والتجاري الخارجي لتونس.

وحتى الآن لم تحسم حركة النهضة المترددة بشأن هذا التحالف المر، فضلا عن حاجتها لمزيد من المشاورات مع باقي الأطراف الفائزة لتحصيل الأغلبية، مع ذلك فإن الخطاب الانتخابي "الثائر" الذي روجت له في حملتها يضعها بين فكي رحى، فإما التنكر لهذا الخطاب وتقديم تنازلات مؤلمة ومغرية للمعارضة الليبرالية مقابل التضحية بالكرامة أو الصعود إلى الحكم بمن حضر والذهاب إلى المجهول.

ارتفاع قياسي للبطالة يغذي فتيل الاحتجاجات في الجزائر

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر – يتوقع خبراء ارتفاع مؤشرات البطالة في الجزائر إلى أرقام غير مسبوقة في المدى القريب، بسبب تراجع الاستثمارات الحكومية والخاصة، لاسيما خلال الأشهر الأخيرة التي تشهد ركودا اقتصاديا سيلقي بارتداداته على الجبهتين الاجتماعية والسياسية، خاصة وأن البطالة تعد الخزان الأول للاحتجاجات المشتعلة منذ أشهر.

وتفيد دراسات مختصة بأن الجزائر مطالبة بتحقيق نسبة نمو لا تقل عن سبعة بالمئة، من أجل الحفاظ على مستوى البطالة الحالي المقدر، حسب إحصائيات رسمية، بـ12 بالمئة. ولأن التحدي يندرج في خانة المستحيلات في ضوء الأوضاع الحالية، فإن البلاد مقبلة على موجة بطالة قياسية في المدى القريب والمتوسط.

وعادت مؤشرات البطالة إلى الارتفاع منذ العام 2015، بعدما نزلت إلى ما دون الـ10 بالمئة، خلال سنوات الانفراجة المالية، حيث تبلغ حاليا نحو 12 بالمئة، و25 بالمئة في أوساط خريجي التعليم العالي، الأمر الذي يعتبر قنبلة اجتماعية واقتصادية بصدد التضخم والتهديد بالانفجار.

وأمام حالة الركود الاقتصادي الذي خلفته الاضطرابات السياسية منذ ثمانية أشهر، اضطرت المئات من المؤسسات الحكومية والخاصة إلى تسريح الآلاف من العمال الذين انضموا إلى لوائح البطالة في الأشهر الأخيرة، رغم التطمينات التي تقدمها حكومة تصريف الأعمال للوعاء الاجتماعي المنتسب إلى مؤسسات مملوكة لما يعرف برجالات المال والأعمال الموالين لنظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة.

وذكرت إحصائيات أخيرة أن الركود مسّ بشكل كبير مؤسسات البناء والأشغال العمومية، حيث تعرضت أكثر من ثلاثة آلاف مؤسسة للإفلاس، وإلى تسريح حوالي مئة ألف عامل، بسبب تراجع وتيرة القطاع الذي كانت تدعمه الاستثمارات العمومية في شكل مشروعات سكن وبنى تحتية.

وتعتبر البطالة في الجزائر من أهم التحديات الاجتماعية التي أقلقت الحكومات المتعاقبة، وبرزت تجلياتها بشكل واضح في الاحتجاجات المتواصلة طيلة السنوات الأخيرة، لاسيما في مناطق الجنوب والمحافظات الداخلية النائية، وتصاعدت حدة لهجتها تجاه الطرق الملتوية المنتهجة في مجال التشغيل.

ولم تنجح السلطة في تعميم سياسة شراء السلم الاجتماعي لإشاعة الاستقرار السياسي في البلاد، بسبب تراجع مداخيلها من النفط واستشراء الفساد في مؤسسات الدولة، فالاعتماد على أنماط توزيع الريع عبر القروض البنكية وعشوائية إنشاء المؤسسات المصغرة، أفضيا إلى فشل الآلاف من الشباب في الخروج من مأزق البطالة ودخولهم في متاعب مع البنوك والقضاء بسبب عجزهم عن تسديد قروضهم.

شباب الجزائر يريد تغييرا عميقا

ويلفظ قطاع التعليم العالي الذي يستقطب نحو مليون ونصف مليون طالب، عشرات الآلاف من الطلبة سنويا، وقليلا ما يحصل المتخرجون على فرص شغل، بسبب غياب التكامل بين التعليم العالي وبين سوق الشغل، وتقلص الاستثمارات العمومية التي تفتح مناصب جديدة، نتيجة لتقلص مداخيل الدولة في السنوات الأخيرة.

ويعتبر قطاع الوظيفة العمومية من أكبر القطاعات التي تستقطب أعدادا كبيرة من اليد العاملة في الجزائر، إلا أن الأزمة الاقتصادية التي تتخبط فيها البلاد منذ صائفة العام 2014، حالت دون توفير فرص شغل جديدة رغم حاجة الإدارة والتعليم والصحة ومختلف الخدمات إلى أعداد جديدة للالتزام بتقديم خدماتها.

ودعا التكتل النقابي المستقل الذي نفذ عدة إضرابات في الوظيفة العمومية، إلى مراجعة الحكومة لقوانين التقاعد بغية السماح بتشغيل أعداد جديدة من البطالين لاسيما المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا، إلا أن الحكومة ترى أن القطاع يستقطب أعدادا تفوق حاجته وأن التمديد في سن التقاعد سيمكن الصناديق الاجتماعية من التحكم في توازناتها المالية.

وكان عمال في مؤسسات مملوكة لرجال أعمال محسوبين على نظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، قد هددوا بالدخول في إضرابات مفتوحة، احتجاجا على الإجراءات الحكومية التي قضت بسجن العشرات من رجال الأعمال بتهم الفساد، وتطبيق إجراءات احترازية للمؤسسات المعنية، مما أدى إلى وقف صرف الرواتب ووقف عمليات استيراد المواد الأولية التي تدخل في دورات الإنتاج.

وشكل العاطلون عن العمل خزانا مغذيا للاحتجاجات السياسية المشتعلة في البلاد منذ ثمانية أشهر، ورغم ذوبان التنظيمات والجمعيات التي كانت تتبنى مطلب الشغل لمنتسبيها في زخم الحراك الشعبي، إلا أن البطالة وفشل سياسات التشغيل من بين العوامل التي فجرت الشارع الجزائري ضد السلطة القائمة.

> 25 بالمئة نسبة البطالة حاليا في أوساط خريجي التعليم العالي في الجزائر، الأمر الذي يعتبر قنبلة اجتماعية واقتصادية

وتعكس الشعارات المرفوعة بشكل لافت في مظاهرات العاصمة، وحتى على شبكات التواصل الاجتماعي، حجم الهوة بين السلطة وبين العاطلين عن العمل.

ورغم الطابع الاجتماعي للدولة، حيث تخصص الحكومة نحو 15 مليار دولار سنويا كمساهمات اجتماعية في دعم أسعار المواد ذات الاستهلاك الواسع، ومنح البطالة للأسر المعوزة ولتمويل بعض أنماط التشغيل، إلا أن الآليات الإدارية والقوانين الناظمة لم تترجم الجهود المرصودة في نتائج ميدانية تفكك قنبلة البطالة.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

جوبا تحسم الخلافات السودانية وتستضيف اجتماعات الحكومة والجبهة الثورية

حراك إقليمي يستهدف الاستقرار على المنبر النهائي لعملية السلام

وقع الاختيار على عاصمة دولة جنوب السودان جوبا مقرا لعقد الاجتماعات بين الجبهة الثورية والحكومة السودانية على اعتبار أنها منبر محايد يحظى بتوافق الأطراف السودانية، وهو اختيار نابع من رغبة في تجنب الذهاب إلى أي دولة عربية نظرا للخلافات بين قوى إقليمية ومكونات داخل الجبهة الثورية بشأن مكان عقد الاجتماعات التمهيدية لمفاوضات السلام السودانية.

الخرطوم – حسم اختيار عاصمة دولة جنوب السودان كمكان لعقد اجتماعات بين الجبهة الثورية والحكومة السودانية، الاثنين، تباينا خفيا بين قوى إقليمية ومكونات في الجبهة الثورية، حيث ترك إعلان المبادئ الموقع في 11 سبتمبر الماضي مكان اللقاء مبهما، ما فتح الباب لاجتهادات وتكهنات حول إمكانية عقده في الخرطوم أو غيرها، والحديث عن قمة لدول الجوار بشأن السلام في السودان.

> الجبهة الثورية حشدت الأطراف الإقليمية وتم التوافق حول إشراك جميع دول الجوار، علاوة على الإمارات والسعودية، كرعاة أساسيين لعملية السلام في السودان

وقالت مصادر مطلعة، لـ"العرب"، إن الخلاف على مكان مفاوضات السلام كان حاضرا بقوة خلال ورشة أديس أبابا التي اختتمت أعمالها الخميس، وتمسك عبدالعزيز الحلو رئيس أحد أجنحة الحركة الشعبية- قطاع الشمال بأن تكون جوبا مقرا رئيسيا للمفاوضات، ورفض الذهاب إلى أي دولة عربية كمنبر محايد تندرج تحته منصات متعددة.

وأضافت المصادر ذاتها أن كلا من مني أركو مناوي رئيس حركة تحرير السودان، ومالك عقار رئيس الجناح الآخر في الحركة الشعبية- قطاع الشمال، اقترحا أن تكون المفاوضات بمعية دولة الإمارات العربية المتحدة، وهو المقترح الذي كان قد جرى التوافق عليه خلال اجتماعات العين السخنة في شرق القاهرة مؤخرا، ودعمته مصر.

وواجه هذا الاقتراح تحفظا من قبل عبدالعزيز الحلو لأسباب شخصية، وطرح جبريل إبراهيم رئيس حركة العدل والمساواة، والمعروف بميوله الإسلامية، أن تكون الدوحة منبرا للحوار، بزعم أنها استضافت من قبل سلسلة من الاجتماعات بشأن أزمة دارفور.

وعلمت "العرب" أن الاتحاد الأفريقي، مدعوما من الولايات المتحدة، تدخل في اللحظات الأخيرة لإنهاء التباين عبر تسويق مقترح أن تكون جوبا مقرا مبدئيا لحوار تجري من خلاله الاجتماعات التمهيدية، بحكم أنها مكان يحظى بتوافق حاليا، إلى حين تحديد شكل المفاوضات المستقبلية ومكان انعقادها.

وأكد أسامة السعيد، المتحدث باسم الجبهة الثورية، أن هناك حراكا إقليميا بشأن الاستقرار على المنبر النهائي لعملية السلام، لافتا إلى أن مكونات الجبهة الثورية منفتحة على الجميع وتركز بشكل أكبر على تفاصيل عملية السلام، بعد أن أعادت ترتيب أوراقها وحددت جميع آليات التفاوض، والتي ستطرحها في الجلسة الافتتاحية لمفاوضات السلام في جوبا.

وأضاف، في تصريح خاص لـ"العرب"، أن الأسبوع المنقضي شهد عملية حشد من قبل الجبهة الثورية للأطراف الإقليمية التي ستكون راعية لعملية السلام. وتم التوافق حول إشراك جميع دول الجوار، علاوة على دولة الإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية، كرعاة أساسيين لعملية السلام، وأن ورشة أديس أبابا التي عقدتها الجبهة الثورية انتهت بتشكيل الوفود التي تشارك في المسار التفاوضي.

ووجه رئيس دولة جنوب السودان سلفاكير ميارديت دعوة رسمية الجمعة للفريق أول عبدالفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة بالسودان، لحضور الجلسة الافتتاحية لمفاوضات السلام بين وفدي الحكومة والحركات المسلحة في جوبا الاثنين، بحضور عدد من رؤساء ومسؤولين في دول صديقة.

وسلم الدعوة توت قلواك، رئيس وفد دولة جنوب السودان، وعقد اجتماعا مع المجلس الأعلى للسلام برئاسة البرهان في بيت الضيافة بالخرطوم، وتم التأكد من دعوة المشاركين الإقليميين والدوليين، وشركاء التفاوض في الكفاح المسلح، لحضور لقاء جوبا.

واستضافت أديس أبابا خلال الأيام الماضية ورشة عمل لتوحيد عدد من الحركات المسلحة غير الموقعة على السلام، بجانب شخصيات سياسية وأخرى ناشطة في العمل المدني، للمساهمة في تحقيق السلام خلال الفترة المقبلة.

وناقشت الورشة قضايا السلام تحت عنوان عريض حمل اسم "إستراتيجية السلام المستدام وقضايا الهامش ومستقبل دولة المواطنة في سودان يسع الجميع"، وتمت برعاية المعهد الأفريقي الدولي للسلام في بروكسل.

وتضم الهيكلة الجديدة للجبهة الثورية في عضويتها خمس حركات مسلحة، وهي: الحركة الشعبية لتحرير السودان- قطاع الشمال برئاسة مالك عقار، وحركة تحرير السودان برئاسة مني أركو مناوي، وحركة جيش تحرير السودان- المجلس الانتقالي برئاسة الهادي إدريس، وحركة العدل والمساواة برئاسة جبريل إبراهيم، وتجمع قوى تحرير السودان برئاسة الطاهر حجر، علاوة على أربعة مكونات غير مسلحة وهي: حزب الاتحادي الديمقراطي- فصيل الجبهة الثورية برئاسة التوم هجو، ومؤتمر البجا المعارض برئاسة أسامة السعيد، وحركة تحرير كوش برئاسة محمد داوود، والجبهة الشعبية المتحدة للتحرير والعدالة برئاسة الأمين داوود.

وقال محمد الأسباط، القيادي بقوى الحرية والتغيير، إن جوبا ستكون شاهدة على مفاوضات تمهيدية كمقدمة للدخول في تفاصيل عملية السلام الشامل، ومتوقع لها أن تسير بشكل سلس ومرن، بعد التفاهم على متطلبات التفاوض وإعلان المبادئ وخطة الحوار والاتفاق على ترتيبات الجولات التي سوف تليها.

وأضاف، في تصريح لـ"العرب"، أن الشواهد السياسية تشير إلى عدم وجود خلافات تعرقل الجولة الأولى من المفاوضات.

غير أن الخوض في تفاصيل عديدة، مثل الترتيبات الأمنية وتوزيع الثورات، قد يكون مصحوبا بشيء من الشد والجذب، الأمر الذي يتطلب مرونة كبيرة من قبل الحكومة لتفادي حدوث عثرات تستفيد منها بعض الأطراف.

ويرى متابعون أن إشارات رئيس الحكومة السودانية عبدالله حمدوك المتكررة حول عدم وجود سقف للسلام، وإن استدعى الأمر إدخال تعديلات وزارية، هدفها الأساسي تفويت الفرصة على أي مزايدات سياسية، داخلية أو خارجية، تذهب باتجاه التأثير على مصالح دول قريبة من ملف السلام، وسيكون تحصين عملية المفاوضات التحدي الأصعب أمام جميع الأطراف.

وأشار الأسباط، وكان متحدثا سابقا باسم قوى الحرية والتغيير، إلى أن التحالف القديم بين مكونات الحكومة والحركات المسلحة، قبل عزل عمر البشير، يسهّل من عملية التوصل إلى حلول توافقية في القضايا الخلافية، حيث يدرك كل طرف طريقة تفكير الآخر، في ظل الحاجة الماسة إلى السلام الشامل واتفاق الجميع على أنه لا يوجد مبرر لاستمرار حمل السلاح.

وأوضح مراقبون أن الطريق إلى السلام لن يكون مفروشا بالورود، وسوف يحتاج إلى تدخل قوى صديقة محل تقدير من الجميع، وتستطيع تحريك الأمور السياسية والاقتصادية إلى الأمام، وربما تكون جوبا مكانا مناسبا لاستضافة الاجتماع الأول بين الحكومة والجبهة الثورية، غير أنها بحاجة إلى مساندة أطراف أخرى لديها رؤية وخبرة أكبر، فيكفي جنوب السودان ما يعانيه من خلافات بين الحكومة والمعارضة.

الخرطوم تحتوي غضب المعلمين

الخرطوم – اتخذت الحكومة السودانية، السبت، حزمة قرارات لاحتواء غضب المعلمين، بالتزامن مع احتجاج المئات منهم في العاصمة الخرطوم.

ودعا المحتجون الحكومة الانتقالية إلى تنفيذ ستة مطالب، منها تحقيق العدالة وتحسين أوضاع المعلمين، وهتفوا "حقنا كامل ما بنجامل (لا نجامل)"، ورفعوا لافتات تطالب بتغيير إدارات التعليم.

وبدأت بالسودان، في 21 أغسطس الماضي، فترة انتقالية تستمر 39 شهرا وتنتهي بإجراء انتخابات، ويتقاسم خلالها السلطة كل من المجلس العسكري وقوى "إعلان الحرية والتغيير"، قائدة الحراك الشعبي.

وقالت لجنة المعلمين السودانيين، في بيان، إن وزير شؤون مجلس الوزراء، عمر مانيس، اجتمع مع كل من لجنة المعلمين وقيادات من المجلس المركزي لقوى التغيير ووزير التربية والتعليم، محمد الأمين التوم، لمناقشة مطالب المعلمين. وأضافت أنه "تم الاتفاق في الاجتماع على مطالب المعلمين الستة، وتشمل إعفاء وكيل وزارة التربية والتعليم (من منصبه)، وإعفاء مديري التعليم في ولايات السودان، وإلغاء العمل يوم السبت ليكون عطلة للمدارس".

كما تضمن الاتفاق حلَّ النقابات والاتحادات وتحقيق العدالة والقصاص وبحث الفروقات والتشوهات بين راتب المعلم ونظرائه في المهن الأخرى. وقد تسلمت وزارة المالية مذكرة تحسين الأجور، بحسب اللجنة.

وحكومة عبدالله حمدوك هي أول حكومة في السودان منذ أن عزلت قيادة الجيش، في 11 أبريل الماضي، عمر البشير من الرئاسة (1989 –2019) تحت وطأة احتجاجات شعبية منددة بتردي الأوضاع الاقتصادية.

العملية التركية تصطدم بمقاومة قوات سوريا الديمقراطية

رأس العين (سوريا) – دخل الجنود الأتراك والمقاتلون السوريون الموالون لهم السبت بلدة رأس العين في شمال شرق سوريا حيث تدور اشتباكات عنيفة مع قوات سوريا الديمقراطية في اليوم الرابع لهجوم تقوم به أنقرة برغم تهديدات أميركية بفرض عقوبات عليها.

وأعلنت وزارة الدفاع التركية السبت سيطرتها على البلدة، وهو ما نفته قوات سوريا الديمقراطية ومصادر أخرى.

وتخوض قوات سوريا الديمقراطية معارك عنيفة للحد من تقدم القوات التركية في مناطق سيطرتها. وتتركز المعارك في منطقتي رأس العين في شمال محافظة الحسكة، وتل أبيض في شمال محافظة الرقة.

وأعلنت وزارة الدفاع التركية أنه "نتيجة للعمليات الناجحة تمت السيطرة على رأس العين". إلا أن مسؤولا في قوات سوريا الديمقراطية قال "رأس العين لا تزال تقاوم، والاشتباكات العنيفة مستمرة".

وأكد المرصد السوري لحقوق الإنسان دخول القوات التركية والمقاتلين الموالين لها إلى البلدة دون أن تسيطر عليها. وأشار شهود عيان في المكان إلى صعوبة تقدم تلك القوات بسبب القناصة المنتشرين. كما تحدث قيادي في الفصائل الموالية لأنقرة عن "بطء في التقدم نتيجة للمقاومة الشرسة لوحدات حماية الشعب الكردية، وعدد القناصة الكثيف جدا".

وشاهدت نفس المصادر قرب رأس العين مقاتلين موالين لأنقرة يتوجهون نحو جبهات القتال. كما شاهدوا في تل تمر جنوب رأس العين سيارات تقل مقاتلين من قوات سوريا الديمقراطية محملين بالأسلحة وآليات مدرعة يتجهون إلى الجبهات.

ويتوقع محللون أن يقتصر الهجوم التركي في مرحلة أولى على المنطقة الممتدة بين رأس العين وتل أبيض ذات الغالبية العربية خلافا لغالبية المناطق الحدودية الأخرى ذات الغالبية الكردية. ويبلغ طول المنطقة أكثر من مئة كيلومتر.

وسيطرت القوات التركية منذ بدء هجومها وفق المرصد على 23 قرية حدودية، غالبيتها في محيط تل أبيض.

ومع سقوط عشرة قتلى مدنيين الجمعة بنيران القوات التركية والمقاتلين الموالين لها، بحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان، بلغت حصيلة القتلى في الهجوم التركي إلى 28 مدنيا، فضلا عن 74 مقاتلا من قوات سوريا الديمقراطية.

وفي الجهة المقابلة من الحدود، قتل منذ الخميس 18 مدنيا بقذائف اتهمت السلطات المقاتلين الأكراد بإطلاقها. وأفاد الهلال الأحمر الكردي السبت عن قصف طال نقطته الطبية جنوب رأس العين، ولم يعد بوسعه الدخول إلى رأس العين لنقل المصابين.

وحذرت منظمات دولية من كارثة إنسانية جديدة في سوريا. واعتبرت منظمة أطباء بلا حدود أن التصعيد "سيفاقم من الصدمات التي تكبّدها السوريون" خلال سنوات النزاع، مشيرة إلى إغلاق مستشفى تدعمه في تل أبيض.

وقدرت الأمم المتحدة نزوح مئة ألف مدني من مناطق حدودية منذ بدء الهجوم التركي. وقالت منظمة الأغذية العالمية السبت إن "المزيد من الأشخاص يغادرون (مناطقهم) بشكل يومي، والأعداد في ازدياد".

وفي تل تمر قرب مدينة الحسكة، قالت يسرى الصالح (38 عاما) النازحة حديثا "دائما نُهجّر من كل الأماكن، لقد دُمرنا"، متسائلة "ماذا يريد (الرئيس التركي) منّا؟".

وتهدف تركيا من هجومها إلى إقامة منطقة عازلة تنقل إليها قسما كبيرا من 3.6 ملايين سوري لديها. وأكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الجمعة إصراره على مواصلة العملية برغم التهديدات الأميركية المتصاعدة ضده بفرض عقوبات على بلاده.

وقالت قوات سوريا الديمقراطية إن هجوم تركيا على شمال سوريا أنعش تنظيم الدولة الإسلامية ودعت دول التحالف التي تقاتل هذا التنظيم إلى إغلاق المجال الجوي أمام الطائرات الحربية التركية.

وقال ريدور خليل القيادي الكبير في قوات سوريا الديمقراطية، في بيان بثّه التلفزيون، "الغزو التركي لم يعد يهدد بانتعاش داعش بل أنعشها ونشط خلاياها في القامشلي والحسكة وكل المناطق الأخرى"، مشيرا إلى هجمات بسيارات ملغومة في المدينتين.

> القوات التركية والمقاتلون السوريون الموالون لها دخلوا إلى بلدة رأس العين دون أن يسيطروا عليها لصعوبة تقدمهم هناك بسبب القناصة المنتشرين

وأضاف "ما زلنا إلى الآن نتعاون مع التحالف لمحاربة داعش، إننا الآن نحارب على جبهتين، جبهة الغزو التركي وجبهة داعش".

وبدأت تركيا هجومها بعد يومين من سحب واشنطن مجموعة محدودة من جنودها من نقاط حدودية في شمال شرق سوريا.

وبعدما طالته انتقادات لاذعة متهمة إياه بالتخلي عن الأكراد ومحذرة من عودة تنظيم الدولة الإسلامية، هدد الرئيس الأميركي دونالد ترامب تركيا بتدمير اقتصادها في حال تخطت حدودها.

التقدم الميداني صعب

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

خليج بمعطيات جديدة ينتظر زيارة الرئيس الروسي

تحالف الإمارات - السعودية نموذج لمستقبل المنطقة

يقول محللون إن الرئيس الروسي ينتظره هذا الأسبوع خليج جديد بمعطيات جديدة وإن تحالف الإمارات والسعودية لم يعد محورا لرسم مستقبل جديد للمنطقة بل أصبح لاعبا أساسيا في معظم مخاض التوازنات العالمية في عصر يشهد تحولات متسارعة بوتيرة غير مسبوقة.

سلام سرحان

لندن - تأتي زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين غدا الاثنين إلى السعودية وفي اليوم التالي إلى الإمارات في وقت تشهد فيه بوصلة المنطقة تحولات كبرى تفرض على القوى العالمية استكشاف رؤية أبرز القوى الاقتصادية الصاعدة في المنطقة.

ومن المتوقع أن يكون التحالف المتنامي بين موسكو والرياض وأبوظبي في مجال صناعة النفط في صدارة جدول الاجتماعات بعد أن أصبح تحالف أوبك بقيادة السعودية وشركائها بقيادة روسيا، الوريث الحتمي لمنظمة أوبك ويضم 24 دولة تمثل نحو نصف الإنتاج العالمي.

وسيكون حاضرا في صدارة الأولويات ملف التوتر المتفاقم بين الرياض وطهران إثر الهجمات التي استهدفت منشأتين نفطيتين سعوديتين في سبتمبر، في ظل توقعات بأن تحسم الزيارة الكثير من المواقف الملتبسة بين روسيا وإيران.

كما يمكن أن تنعكس نتائج الزيارة على الكثير من الملفات الأخرى وخاصة الحرب في سوريا، بعد تصاعد الاحتقان بعد المغامرة العسكرية التركية في شمال شرق البلاد، والتي انتقدها بوتين وقال إنها يمكن أن تعيد شبح تنظيم داعش.

وسيلتقي الرئيس الروسي في أول زيارة له إلى الرياض منذ عام 2007 بالعاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز ويجري محادثات مع ولي العهد الأمير محمد بن سلمان.

وقال مستشار الكرملين يوري أوشاكوف للصحافيين إن المحادثات ستتناول التعاون بهدف ضمان استقرار أسعار النفط والوضع في كل من سوريا والخليج واليمن.

وتعاونت روسيا في الأعوام الأخيرة مع منظمة الدول المصدرة للنفط للحد من المعروض، وقادت 10 دول للتحالف مع أوبك، الأمر الذي ساهم في انتعاش الأسعار بعد تراجعها بشكل كبير بين 2014 و2015.

ومن المقرر أن ينتقل الرئيس الروسي يوم الثلاثاء من الرياض إلى أبوظبي في زيارة رسمية إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، يجري خلالها محادثات مع ولي عهد أبوظبي الشيخ محمد بن زايد آل نهيان.

> روسيا وجميع الدول الكبرى لم يعد بإمكانهما إغفال الرؤية الجديدة لمستقبل منطقة الخليج، الذي يرومه الدور المتنامي لتحالف السعودية والإمارات

وقالت وكالة أنباء الإمارات إن المحادثات سوف تتناول "التعاون الثنائي بين البلدين وآليات تنميتها وتعزيزها في المجالات المختلفة، إضافة إلى مجمل التطورات على الساحتين الإقليمية والدولية والقضايا والملفات ذات الاهتمام المشترك".

وأشارت إلى أن الزيارة "تأتي في إطار الشراكة الاستراتيجية التي وقعها البلدان في يونيو العام الماضي، لتعزيز التعاون والتنسيق المشترك في مختلف القطاعات الحيوية".

ويرى محللون أن الرئيس الروسي يدرك أهمية النموذج الاقتصادي الصاعد والدور المتنامي لكل من السعودية والإمارات وأنه سيبحث عن فرص التعاون والاستثمار المشترك مع البلدين في إطار رؤية الرياض وأبوظبي لمستقبل المنطقة ودورهما المتنامي في التوازنات العالمية.

وتملك الإمارات أحدث اقتصاد في المنطقة وتلعب دورا محوره في صناعة وتجارة الطاقة ورسم سياسات مستقبل الطاقة في العالم، إضافة إلى دورها الكبير في التجارة العالمية.

وبدأت السعودية في السنوات الأخيرة بتنفيذ أكبر برنامج إصلاحات هيكلة في تاريخها، في تناغم مع نموذج التنمية الإماراتي. وعزز البلدان تحالفهما الاستراتيجي، الذي أصبح مركز الثقل والتأثير في مستقبل المنطقة.

وقال الصندوق السيادي الروسي إن زيارة بوتين إلى الرياض ستشمل توقيع 30 اتفاقية بقيمة تزيد على ملياري دولار، بينها 10 في مجالي الطاقة واتفاقيات في مجالات الذكاء الاصطناعي والبنى التحتية والزراعة والسكك الحديدية والأسمدة والبتروكيماويات.

ويرى كيريل ديمتريف، رئيس صندوق الثروة السيادي، المعروف باسم صندوق الاستثمار المباشر الروسي، أن "العلاقات الاستراتيجية مع السعودية مهمة للغاية لأن روسيا مهتمة باستقرار سوق النفط واستقرار المنطقة والدخول في استثمارات مشتركة كبيرة".

وذكر أن روسيا والسعودية تعملان أيضا على 25 مشروعا بقيمة 10 مليارات دولار إلى جانب مشاريع أخرى جارية، دون أن يخوض في التفاصيل.

وشدد مسؤولون روس على أهمية علاقات روسيا بالإمارات في إطار اتفاقية الشراكة الاستراتيجية جعلت العلاقات بين البلدين أكثر قوة وقربا وأن الإمارات أصبحت من أهم شركاء روسيا في الشرق الأوسط.

وقال يوري فيداكاس، نائب رئيس البعثة في السفارة الروسية في أبوظبي إن استضافة الإمارات لجالية ناطقة بالروسية تضم نحو 100 ألف شخص، بينهم 40 ألف مواطن روسي ونحو 60 ألف مواطن من دول الاتحاد السوفييتي السابق، تعزز مفهوم التسامح وقيمته وتقوي العلاقات بين البلدين.

وأوضح أن هناك حوالي 111 رحلة أسبوعيا بين روسيا والإمارات، وأن هناك العديد من الرحلات التي تجلب السياح من مختلف المناطق الروسية إلى الإمارات، وهو يؤكد العلاقة المتنامية بين مختلف المناطق الروسية والإمارات.

في المقابل تشهد الاستثمارات الإماراتية في روسيا نموا متسارعا. وقد شارك وفد إماراتي كبير في 6 أكتوبر الجاري في فعاليات قمة فولغا للاستثمار واليوم العالمي للحلال، التي عقدت في مدينة سمارا أوبلاست الروسية.

ويجمع المحللون أن روسيا وجميع الدول الكبرى لم يعد بإمكانهما إغفال الرؤية الجديدة لمستقبل منطقة الخليج، الذي يرومه الدور المتنامي لتحالف السعودية والإمارات، والذي ستكون له انعكاسات كبيرة على التوازنات العالمية.

زيارات متواترة تؤكد أهمية الإمارات في التوازنات العالمية

روسيا تسعى لتطوير علاقتها بالعراق ضمن استراتيجية توسيع النفوذ

موسكو - كشفت مصادر دبلوماسية في العاصمة الروسية أن الحكومة الروسية تخطط لتطوير سياستها الخارجية المتعلقة بالعراق ضمن استراتيجية لتوسيع النفوذ الذي تمتلكه موسكو في المنطقة.

ونقل عن هذه المصادر أن روسيا التي بنت قاعدة سياسية استراتيجية لها في سوريا تطل من خلالها على العالم العربي وحوض البحر المتوسط، تسعى لتدعيم سياستها السورية من خلال تمدد يطال دول الجوار السوري، لبنان والأردن والعراق، بعد أن استطاعت ترتيب علاقاتها مع تركيا.

ويعتبر خبراء في الشؤون الاستراتيجية أن روسيا تعتمد مقاربة حذرة في علاقاتها مع العراق، آخذة بعين الحسبان المصالح الكبرى المتنافسة للولايات المتحدة وإيران في هذا البلد.

ويضيف هؤلاء أن موسكو لا تريد منافسة واشنطن داخل بلد ما زالت روسيا لا تعتبر العلاقة معه استراتيجية، كما أنها لا تريد أن تثير أي حساسية لدى إيران جراء أي مناورة روسية في العراق قد تعتبرها طهران تواطؤا روسيا أميركيا لتقليص نفوذها في هذا البلد، خصوصا أن منابر في طهران كانت قد لمحت إلى تقاطع روسي أميركي إسرائيلي لتقويض النفوذ الإيراني في سوريا.

وتنطلق المقاربة الروسية على أساس سيطرتها الكاملة على سوريا وتحكمها بالمسارات التي ستحدد عناوين التسوية المقبلة، بمعنى أن موسكو لن تقتحم مجالات إقليمية قد تتسبب لاحقا في تقديم تنازلات في سوريا. ويلاحظ المراقبون أن تطور علاقات موسكو مع بغداد، كما مع بيروت وعمّان، بقي تجريبيا موضعيا لم يرق إلى مستوى المقاربة الاستراتيجية الشاملة.

ورصد مراقبون مستوى الحذر الذي واكب زيارة وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف إلى بغداد وأربيل قبل أيام. وتعود آخر زيارة له إلى العاصمة العراقية إلى 5 سنوات، فيما تعتبر زيارته إلى إقليم كردستان هي الأولى لشخصية روسية بمستوى وزير خارجية.

وسعى لافروف، الذي تزامنت زيارته مع موجة التظاهرات التي اندلعت في بغداد ومدن عراقية أخرى، إلى تجنب اتخاذ أي موقف متعلق بالوضع الداخلي، منصرفا إلى تكثيف اجتماعاته في اليوم الواحد الذي استغرقته زيارته إلى بغداد، والتي شملت جميع الشخصيات الرئيسية في الحكومة العراقية: الرئيس برهم صالح، ورئيس الوزراء عادل عبدالمهدي، ورئيس البرلمان محمد الحلبوسي، ووزير الخارجية محمد الحكيم.

والظاهر أن موسكو في تجنبها التعاطي في الشؤون السياسية الحساسة المرتبطة بالشأن العراقي، تعمل على قطف ثمار اقتصادية تتيحها سوق العراق أمام الشركات الروسية.

وقد رافق لافروف وفدٌ من رجال الأعمال، من بينهم ألكساندر ديوكوف، مدير شركة غازبروم نفت، والرئيس التنفيذي لشركة سويزنفتغاز، يوري شافرانيك، وممثلون عن الخدمة الفيدرالية للتعاون التقني العسكري ومسؤولون من شركة النفط الروسية العملاقة روسنفت وتكنوبروم‌كسبورت، وهي شركة هندسية روسية تبني منشآت طاقة في روسيا والخارج.

وتقول إحصاءات روسية إن حجم التجارة بين الدولتين ما زال دون المستوى المطلوب وأنه ارتفع إلى 1.4 مليار دولار في عام 2017 لكنه انخفض إلى حوالي نصف ذلك في عام 2018.

غير أن موسكو تعتبر أن العراق أحد الشركاء الاقتصاديين الرئيسيين لروسيا في الشرق الأوسط، ويرجع ذلك في معظمه في مجال التعاون العسكري والطاقة.

موسكو تعتبر العراق أحد الشركاء الاقتصاديين الرئيسيين في المنطقة

وتلفت مصادر روسية إلى أنه على الرغم مما تمتلكه الولايات المتحدة من نفوذ في العراق ومن قدرة على الضغط لتقليص تعاملات بغداد التجارية مع موسكو، إلا أن العراق احتل المرتبة الثانية في عام 2014 كمشتر عالمي للأسلحة الروسية بحوالي 11 بالمئة من جميع صادرات الأسلحة الروسية. كما أن النفوذ الأميركي لم يعرقل التعاون في تجارة النفط والغاز.

ويطمح الروس إلى زيادة استثمارات شركاتهم العملاقة، في مجال الطاقة، إلى 40 مليار دولار بحلول عام 2025. وأعربت شركة غازبروم نفت عن اهتمامها بحقل المنصورية النفطي ودُعيت للمشاركة في مناقصة لهذا المرفق. ووقع العراق اتفاقية مع شركة ستروي‌ترغاز لتطوير حقل للغاز في محافظة الأنبار، رغم أن المشروع لم ينفذ بعد.

وتأتي جهود روسيا الاقتصادية مع بغداد مواكبة لتلك المبذولة مع إقليم كردستان. فقد سبق لروزنفت أن وقعت مع حكومة الإقليم متجاهلة اعتراضات الحكومة المركزية في بغداد.

وعمل لافروف في زيارته الأخيرة للإقليم على الإشادة بالعلاقات الجيدة حاليا بين أربيل وبغداد. وقد حضر سفير العراق في روسيا حيدر منصور هادي أيضا اجتماعات الوزير الروسي في كردستان، ما يدل على استعداد موسكو للحفاظ على الشفافية في علاقاتها مع بغداد.

غير أن مراقبين في العراق يعتبرون أن روسيا تسعى لتثبيت موطئ قدم لها في العراق يعزز سياستها في المنطقة.

ويرى هؤلاء أن موسكو تعتبر أن العراق هو بلد استراتيجي مهم بالنسبة للسياسة الخارجية الروسية في العالم، وأن البلد يلعب دورا أساسيا في تحديد مستويات الأحجام الراهنة كما المستقبلية المتعلقة بنفوذ إيران والولايات المتحدة.

ويكشف المراقبون أن بغداد لمست في السنوات الأخيرة عزما روسيا على تطوير السياسة الروسية في العراق على نحو يتجاوز تفاصيل العقود الاقتصادية.

> المقاربة الروسية تنطلق على أساس سيطرتها الكاملة على سوريا وتحكمها بالمسارات التي ستحدد التسوية، لكنها لن تقتحم مجالات تتسبب لها تقديم تنازلات في سوريا

وتتحدث بعض التقارير عن حاجة بغداد إلى تطوير سياساتها حيال روسيا ضمن الحاجة إلى الانفتاح على دول أخرى تتجاوز علاقة بغداد المثيرة للجدل مع طهران من جهة وواشنطن من جهة أخرى. غير أن أوساطا سياسية عراقية تعتبر أن العراق وحتى إشعار آخر خاضع لأجندة إيران والولايات المتحدة.

وفيما يعتبر بعض المراقبين بأن الانفتاح العربي والخليجي على العراق يتكامل مع السياسة الأميركية مع بغداد، يستبعدون أن تبني موسكو سياستها مع العراق على أساس التكامل مع الأجندة الإيرانية في ما يخص العراق.

ويخلص هؤلاء إلى أن اتفاقا على توازن روسي أميركي في سوريا، سيقود حكما، وبنسب متفاوتة، إلى إنتاج توازن أميركي روسي في العراق للتعامل مع الحالة الإيرانية كما يجري أمر ذلك بأشكال وواجهات مختلفة في سوريا.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

أردوغان الهارب إلى سوريا

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

سيذهب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بعيدا في اختبار نيّات الرئيس الأميركي دونالد ترامب. سيحاول بدوره تجريب حظّه مع ترامب. بعدما نجحت إيران في تفادي أي ردود فعل أميركية على الصعيد العسكري، لماذا لا يجرّب أردوغان بدوره حظّه مع رئيس أميركي حصر كلّ همومه بالعودة إلى البيت الأبيض في انتخابات خريف السنة 2020؟

تركيا ما كان لها الإقدام على الخطوة السورية لولا إدراكها أن ترامب لا يعترض على العملية. تدلّ على ذلك كلّ التصريحات التي صدرت عن المسؤولين الأميركيين في الأيام التي سبقت التحرّك العسكري التركي

بات واضحا أن تركيا انضمّت إلى الذين يراهنون على أن ترامب لن يفوز بولاية ثانية. ولذلك لا بدّ من الاستفادة إلى أبعد حدود من وضعه الحالي، أي من رغبته في تفادي أي مواجهة عسكرية من أيّ نوع.

لو لم يكن الأمر كذلك، لما تجرّأ أردوغان على دخول سوريا من أجل إقامة منطقة آمنة بعمق ثلاثين كيلومترا قد تصل مساحتها إلى نحو خمسة آلاف كيلومتر مربّع. ليس ما تقوم به تركيا سوى استيلاء على قطعة من الكعكة السورية بعدما كرست كلّ من إيران وروسيا وإسرائيل وجودها في هذا البلد. تدفع سوريا ثمن إدارة أميركية أسيرة رغبة ترامب في العودة إلى البيت الأبيض. ولكن في أساس المأساة التي باتت كلّ القوى الفاعلة، بما في ذلك أميركا، تتجاهلها، وجود نظام سوري لا يهمّه سوى البقاء في السلطة حتّى لو كانت دمشق تحت السيطرة الإيرانية أمنيا وأسيرة النفوذ الروسي سياسيا. فضلا عن ذلك كلّه، لم يتردّد النظام السوري، من أجل البقاء، في التغاضي عن تكريس الاحتلال الإسرائيلي للجولان، وهو احتلال مستمرّ منذ العام 1967.

يظلّ التوقيت العنصر الأهم في الدخول التركي الذي نجح رجب طيب أردوغان في إعداد الداخل له وتعبئته. ليس معروفا إلى متى سيبقى الداخل التركي داعما لأردوغان وللعملية العسكرية، خصوصا في حال سقوط عدد كبير من القتلى في صفوف القوات التركية. الأكيد أن تركيا تتحمّل مقتل المئات من العسكريين، لكن تبقى هناك حدود لحجم الخسائر التي يمكن أن تتحمّلها، خصوصا إذا طالت العملية العسكرية والاشتباكات أشهرا عدّة من دون تحقيق هدف واضح، اللهمّ إلا إذا كان أردوغان مصمّما على اقتطاع جزء من سوريا وتحويله إلى جرم يدور في الفلك التركي، كما حال دولة شمال قبرص التركية. هذه الدولة، التي لم يعترف بها أحد غير تركيا، قائمة منذ العام 1974، تاريخ الإنزال التركي في قبرص التي شهدت وقتذاك انقلابا نفّذه اليمين المتطرف في صفوف القبارصة اليونانيين، وأدّى إلى تقسيم الجزيرة.

ما كان لتركيا الإقدام على الخطوة السورية لولا إدراكها أن ترامب لا يعترض على العملية. تدلّ على ذلك كلّ التصريحات التي صدرت عن المسؤولين الأميركيين في الأيام التي سبقت التحرّك العسكري التركي، وصولا إلى تبرير الرئيس الأميركي لطعنه الأكراد السوريين في الظهر. ذهب في تبرير تخليه عن حلفاء الأمس إلى حدّ قوله إن الأكراد، الذين "يحبّهم" لم يدعموا القوّات الأميركية في إنزال شاطئ النورماندي الذي مهّد لنهاية الحرب العالمية الثانية في العام 1945. عاد ما يزيد على سبعين عاما إلى خلف بغية فتح حساب مع الأكراد، من دون أن يكون معروفا هل كان مطروحا مشاركة الأكراد، الذين لم يتمكنوا من إيجاد دولة مستقلة خاصة بهم، في إنزال النورماندي؟

يدفع الشعب السوري ثمن غياب الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط، وذلك منذ فترة طويلة. يتبيّن بعد العملية العسكرية التركية أنّ دونالد ترامب لم يكن أفضل من باراك أوباما الذي اختزل كلّ أزمات الشرق الأوسط والخليج بالملفّ النووي الإيراني. لم يقدم أوباما على أيّ ردّ فعل جدّي بعد تجاوز النظام السوري كلّ الخطوط الحمر التي رسمها له، بما في ذلك استخدام السلاح الكيميائي لقتل شعبه. أما ترامب، فقد ذهب بعيدا في التخلي عن الشعب السوري بتركه تركيا تتصرّف بالطريقة التي تتصرّف بها، بما يؤدي إلى تهجير المزيد من السوريين الأكراد والعرب وتكريس وجودها في منطقة سورية تعتبرها مهمّة بالنسبة إليها لأسباب كردية قبل أيّ شيء آخر.

يظلّ أسوأ ما في العملية التركية كونها جاءت متأخّرة جدا ولم تصبّ في خدمة الشعب السوري كما يدّعي أردوغان. جعل التوقيت، الذي كشف تخلي أميركا عن حلفائها الأكراد الذين قاتلوا "داعش"، من تركيا إيران أخرى. فلو كانت تركيا جدّية في دعم الشعب السوري ولا أطماع لها في البلد، لكانت أقامت المنطقة الآمنة باكرا، أي في العام 2011 و2012. هنا أخطأ رجب طيب أردوغان الذي حاول إلباس خطابه عن العملية العسكرية في سوريا لباسا دينيا تحت عنوان "فتح من الله ونصر قريب". ربّما أراد عن طريق الرداء الديني لخطابه الظهور في مظهر رئيس جمعية خيرية مستعد لتقديم تضحيات من أجل سوريا والسوريين...

تعاطت تركيا مع بشّار الأسد باكرا. عرفت أنّه شبيه بمصاب بمرض التوحّد. عرف أحمد داود أوغلو، وزير الخارجية التركي في تلك الأيام، إلى أيّ حدّ يعيش الرجل في عالم خاص به لا علاقة له بالواقع. اكتشفت تركيا منذ آذار/ مارس 2011 خطورة ما يجري في سوريا وأبعاده. فقد ولدت وقتذاك قناعة لدى المسؤولين الأتراك بأنّ بشّار ونظامه هما في أساس المشكلة وأنّه يستحيل استخدام المنطق في التعاطي معه.

بدل اتخاذ الإجراءات المطلوبة للتخلّص سريعا من بشّار الأسد وإنقاذ سوريا، راحت تركيا تماطل وتمارس سياسة الابتزاز. فتحت أبوابها مشكورة لملايين السوريين الذين لجأوا إليها هربا من ظلم النظام وقمعه. لكنها ما لبثت أن ندمت على ذلك. ليس معروفا لماذا أضاع أردوغان كلّ هذا الوقت وصولا إلى تحوله إلى باحث عن دور في سوريا بعدما كان صاحب الدور الأول فيها. هل يعود ذلك إلى العقد التي تحكّمت بالرئيس التركي منذ قرّر ألّا يكون له أي شريك في السلطة؟ هل هذا عائد إلى اعتقاده أنّه يستطيع التنافس مع إيران وروسيا بعدما كان قادرا على قطع طريق سوريا عليهما؟

لا حاجة إلى الترحّم على أحداث الماضي القريب ولا على الفرص الضائعة لتركيا في سوريا ولا على فشل تركيا في المواجهة التي خاضتها مع روسيا والتي انتهت إلى تحوّلها إلى حليف لها. لعلّ أفضل دليل على وجود هذا الحلف شراء تركيا شبكة الصواريخ "أس- 400" الروسية المضادة للطائرات التي ليس معروفا ما الذي ستفعله بها.

الحاجة إلى بحث تركي عن مكان في المعادلة السورية يعوّض الفرص الضائعة في تركيا بسبب العقد التي عانى منها ولا يزال يعاني منها رجب طيب أردوغان الهارب إلى سوريا من أزماته الداخلية، بما في ذلك أزمته مع رجالات حزبه الذين انفضّوا عنه الواحد تلو الآخر.

تركيا تتوارى خلف حربها على الأكراد لترسيخ أقدامها في الساحة السورية

رانيا مصطفى

دقت ساعة الحرب التركية، وبدأ الهجوم ليل الأربعاء الماضي على مناطق تمركز وحدات حماية الشعب الكردية بالقرب من الشريط الحدودي شرق الفرات، وذلك بعد عشرة أشهر من التهديدات التركية، التي عجزت الدبلوماسية الأميركية عن تهدئتها وتلبية مطالب أنقرة الأمنية، بسبب التخبط في السياسة الأميركية، نتيجة التجاذبات داخل إدارة الرئيس دونالد ترامب، بين البنتاغون والقادة العسكريين من جهة، والذين يريدون دعم قوات سوريا الديمقراطية حتى النهاية، والبالغ عددهم 60 ألف مقاتل، بوصفهم حلفاء مخلصين ومقاتلين أشداء ضد تنظيم داعش، وبين دبلوماسيي الخارجية من جهة ثانية، والذين يفضّلون تلبية المطالب التركية، دون التخلي عن الحلفاء الأكراد.

ونهاية العام الماضي، أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن سحب قواته الفوري من سوريا، فيما تمكنت إدارته من تعطيل القرار، لعدم واقعيته؛ الآن وجد ترامب فرصة الهجوم التركي مناسبة لإعلان سحب قواته من الحدود السورية التركية، قبل يوم من بدء العملية العسكرية التركية، هي فرصة ليقول ترامب لناخبيه إنه يفي بوعوده الانتخابية، وهو على أبواب الترشح لولاية جديدة، ويعاني الكثير من المساءلات من قبل إدارته، ويواجه الدعاوى القضائية من قبل منافسيه.

ورغم ما يقال عن الرئيس الأميركي من مزاجية أو رعونة في قراراته، لكنه لا يستطيع الخروج عن سياسة أميركية تتطلبها المرحلة الحالية، تتعلق بالانسحاب من الشرق الأوسط، بدأها الرئيس السابق باراك أوباما، وكان الانكفاء الأميركي عنوان حملة ترامب الانتخابية. وبالفعل، منذ بداية العام الماضي حتى الآن تم تخفيض عدد القوات الأميركية في سوريا من 2000 إلى 500 جندي، وتعويض النقص بقوات من فرنسا وبريطانيا ودول أخرى، فيما تمسكت واشنطن بقاعدة التنف على المثلث الحدودي بين سوريا والعراق والأردن، بغرض الحد من النفوذ الإيراني في سوريا.

ما سبق يعني أن أنقرة أخذت ضوءا أخضر من واشنطن بتوغل عسكري محدود داخل الأراضي السورية، وأن الإدارة الأميركية لا تمانع فيه كلياً، على أن يكون ضمن الحدود المتفق عليها، مع بقاء المخاوف الأميركية من ترك العنان لتركيا للتوغل داخل الأراضي السورية، وما يترتب عليه من عواقب؛ أولاها عودة تنظيم داعش، خاصة أن قرابة 14 ألف مقاتل من تنظيم داعش، معظمهم أجانب، محتجزون في سجون تابعة لقوات سوريا الديمقراطية.

وثانيًا، سيمثل ذلك تنازلات أميركية مجانية تصب في مصلحة زيادة نفوذ تركيا، وقوة تحالفها مع روسيا عبر مسار أستانة، وزيادة في التوغل الإيراني، وكلّها عواقب مرفوضة إسرائيلياً ومن العديد من الدول العربية، التي أبدت موقفا واضحا وصارما ضد التوغل التركي في سوريا.

وثالثا، هي بمثابة ترك الساحة السورية لموسكو، لتعقد الصفقات مع أنقرة، بفتح حوار بينها وبين دمشق، لتقوم الأخيرة، بدعم روسي، بالسيطرة على ما تبقى من شرق الفرات، حيث تتركز غالبية الثروات النفطية والزراعية، وعلى إدلب، مقابل توسيع اتفاق أضنة إلى عمق يرضي الأتراك، ويشمل كامل الحدود مع تركيا، حتى شمال اللاذقية، بطول 900 كيلومتر؛ فقد التبس موقف موسكو من الهجوم العسكري التركي الأخير، بين متخوف من احتمال عقد اتفاق تركي- أميركي، وبين راغب فيه يريد تجييره لمصلحته، حيث جدد الروس مطالبتهم الأتراك بالعمل باتفاق أضنة، الذي لم تنكره حكومة أنقرة في رسالتها إلى الأمم المتحدة، لتبرير الهجوم.

ورابعا، مطامح أنقرة، وفق ما أعلنته، تتعلق بأن يكون كامل الشريط الحدودي وبعمق 32 كيلومتراً منطقة نفوذ لها، تريد إجراء تغيير ديموغرافي فيها، بإسكان مليوني نازح سوري في تركيا، ليسوا من أبناء هذه المنطقة، عبر بناء وحدات سكنية فيها، وهددت المجتمع الدولي بفتح الحدود أمام اللاجئين إلى أوروبا في حال تمت معارضة خطتها.

وعمدت تركيا إلى إعطاء العملية العسكرية صبغة إسلامية، حيث سمّت جيشها بالمحمدي، فيما ينفذ "الجيش الوطني" السوري، المشكل من فصائل تابعة لها، أجندتها؛ بينما لا ينبئ سلوك فصائل درع الفرات في جرابلس والباب، وغصن الزيتون في عفرين، بالقدرة على تحقيق الاستقرار، حيث تتصرف كعصابات للسرقة وطرد السكان الأصليين من الأكراد، وفرض لباس شرعي على النساء، وتهديم المقامات الدينية.

وخامسا، قد ينهار تحالف قوات سوريا الديمقراطية مع تخلي واشنطن عن دعمها، نتيجة سياسة التمييز التي يتبعها الأكراد ضد العرب، إضافة إلى الشقاق الكردي- الكردي، بين حزب الاتحاد الديمقراطي الموالي لعبدالله أوجلان التركي، وبين المجلس الوطني الكردي الموالي لتركيا، والذي قد يستقطب الكثير من الأكراد.

خوفاً من تلك العواقب، عاد الرئيس ترامب إلى الحديث عن خطوط حمر للعملية العسكرية، ربطها باستهداف المدنيين، ملوحاً بالعقوبات الاقتصادية، فيما طالب جمهوريون وديمقراطيون من الكونغرس بفرض عقوبات على تركيا.

كانت واشنطن قد عرضت على قوات سوريا الديمقراطية القبول بآلية أمنية بعمق 14 كيلومترا، وطول 70-80 كيلومترا، وهي المسافة بين تل أبيض ورأس العين. القصف التركي يتركز على هذه المنطقة، رغم توسعه شرقاً حتى ريف القامشلي، وإلى أعماق تصل حتى ريف الرقة الشمالي؛ لكن التوغل البري يهدف إلى محاصرة تل أبيض ورأس العين، من أجل استسلامهما، بعد أن سحبت القوات الأميركية قواتها من قاعدتها في المنطقة، فيما لا تتواجد قوات أميركية أخرى في العمق.

قد تكون هذه هي حدود العملية التركية المسموح بها أميركيًا، والأكراد أبلغوا بها في الغالب، ولعلها تنفيذ للعرض الأميركي، لكن بإعطاء رجب طيب أردوغان فرصة لحفظ ماء الوجه، مع تراجع قوته في الداخل التركي، بعد خسارته الانتخابات البلدية في إسطنبول.

مطامح أنقرة، وفق ما أعلنته، تتعلق بأن يكون كامل الشريط الحدودي وبعمق 32 كيلومترا منطقة نفوذ لها، تريد إجراء تغيير ديموغرافي فيها، بإسكان مليوني نازح سوري في تركيا، ليسوا من أبناء هذه المنطقة

في كل الأحوال يجب تذكّر أن وحدات الحماية الكردية لم تستهدف الأمن التركي طيلة فترة سيطرتها شرق الفرات، ما يضعف الحجة التركية، خاصة أمام الأوروبيين الذين أدانوا العملية. وكان الزعيم الكردي عبدالله أوجلان المحتجز في تركيا قد كتب رسالة إلى أتباعه الأكراد يوافق فيها على احترام المخاوف الأمنية التركية، ويفتح باباً للحوار مع السلطات. لكن حكومة أردوغان تصر على فرض أجندتها بالسيطرة على مناطق سورية واعتبارها ولايات تابعة لها.

هذه العملية ستكلف السوريين ثمناً باهظاً، ليس بسبب القتل والدمار الذي سينجم عنها وحسب، بل بسبب تعميق الشرخ العربي- الكردي؛ مع المخاوف من ذهاب العملية إلى الأسوأ، أي استبدال سكان تل أبيض ورأس العين والدرباسية الأكراد بآخرين عرب، مع فعل مماثل في مناطق عربية في الرقة، تحت السيطرة الأميركية، يشبه ما حصل في عفرين التي كانت بغالبية كردية، وتسيطر عليها فصائل عربية إسلامية تابعة لتركيا، وتل رفعت العربية، التي يسيطر عليها الأكراد تحت الوصاية الروسية.

العملية العسكرية تزيد من مأساة السوريين

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

«اللقاء المشرقي» و«لقاء سيدة الجبل» يثيران الجدل المسيحي الهوياتي في لبنان

هل يسعى التيار العوني وراء تأسيس «حلف الأقليات» في المنطقة

قلق وجودي ينتاب مسيحيي لبنان

يفتتح لبنان دائرة النقاش حول أوضاع المسيحيين في ظل أوضاع المنطقة المتوترة، عبر مؤتمر "اللقاء المشرقي" الذي ينعقد بداية من الأحد، بحضور الرئيس اللبناني ميشال عون، ويثير المؤتمر تساؤلات حول أهدافه وسط شكوك حول مساعي التيار العوني إلى تأسيس "حلف الأقليات" في المنطقة، حيث توحي رعاية عون وصهره وزير الخارجية جبران باسيل شخصيا لأشغاله، بأن المؤتمر ينزع في اتجاه الترويج للخيارات العونية في ما يخص مسألة الهوية.

بيروت - تشهد العاصمة اللبنانية في 13 و14 أكتوبر الجاري أول مؤتمر يعقده "اللقاء المشرقي" تحت عنوان "الحوار نهج حياة وطريق سلام: إشكاليات التعددية والحرية". ويعقد اللقاء برئاسة رئيس الجمهورية اللبنانية ميشال عون.

ويعبّر المؤتمر بشكل أو بآخر عن تيار فكري قريب من عون والتيار الوطني الحر، ويثير أسئلة عن مقاصد هذا اللقاء وأهدافه، وسط اتهامات من قبل الخصوم بأنه يضع اللبنات الأولى لما يعرف بـ"حلف الأقليات في المنطقة".

وينفي منظمو هذا المؤتمر هذه التهمة ويعتبرون أن هناك أجندة سياسية مضادة تود إضفاء طابع لا يمت بصلة إلى الهدف من عقد هذا المؤتمر. ويقول حبيب أفرام، رئيس الرابطة السريانية في لبنان، وهو أحد المشرفين على عقد هذا المؤتمر، إن اللقاء هو ورشة تفكير للتعاطي مع المستجدات التي طرأت على المنطقة من أجل البحث عن سبل الدفاع عن حريات الجميع في المنطقة وإنهاء فكر الاستبداد الذي كان يسيطر على العالم العربي.

وينفي أفرام أي تهمة للمؤتمر تتحدث عن انخراطه لتشكيل حلف الأقليات، رافضا مسمى الأقليات، معتبرا أن على كل مكونات المنطقة أن تكون سواسية في الحقوق والواجبات. واعتبر أفرام أن المؤتمر هدفه التمسك بهوية مشرقية على نحو لا يجعله غربيا ولا يجعله مرتبطا بأي أجندات لدول أخرى في الشرق.

وأهمية هذا الجدل تكمن في أن المؤتمر يعبر عن جانب من الجدل المسيحي في لبنان والمنطقة حول كيفية تموضع المسيحيين داخل منطقة تتقاذفها الأنواء الداخلية التي اندلعت منذ عام 2011 تحت مسمى "الربيع العربي"، كما تضارب الأجندات والمصالح الإقليمية والدولية المتعلقة بالشرق الأوسط.

و"اللقاء المشرقي"، "مؤلف من مجموعة مسيحية كانت لصيقة بالرئيس ميشال عون وعُرفت بخلية السبت، مؤلفة من سبع شخصيات هي: وزير الخارجية والمغتربين جبران باسيل (رئيسا للقاء)، نائب رئيس المجلس النيابي إيلي الفرزلي، وزير شؤون رئاسة الجمهورية سليم جريصاتي (نائبا للرئيس)، الوزير السابق كريم بقرادوني، سفير لبنان في واشنطن سابقا عبدالله بو حبيب، رئيس الرابطة السريانية حبيب أفرام (أمينا عاما)، ومستشار رئيس الجمهورية سابقا جان عزيز (أمينا للصندوق).

الخيارات العونية

على الرغم من الطابع الفكري للمؤتمر، إلا أن رعاية عون شخصيا للمؤتمر الذي يرأسه صهره وزير الخارجية جبران باسيل، يوحي بأن روحية المؤتمر تنزع باتجاه الخيارات العونية في مسألة الهوية، والتي تم التعبير عنها بشكل غير مباشر من خلال دعوات مضمرة لإقامة تحالف الأقليات في المنطقة.

وكانت أوساط لبنانية قد استغربت التصريح الذي أدلى به عون أمام الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أثناء زيارته موسكو في مارس الماضي، والذي شكر فيه الزعيم الروسي على جهوده لحماية الأقليات المسيحية في المشرق.

> **المؤتمر يعبر عن تيار فكري قريب من ميشال عون، ويثير أسئلة عن أهدافه، وسط اتهامات من قبل الخصوم بأنه يضع اللبنات الأولى لما يعرف بـ«حلف الأقليات في المنطقة»**

واعتبرت الأوساط أن رئيس الجمهورية المفترض أنه رئيس كل لبنان، بمسلميه ومسيحييه، تصرف أمام زعيم دولة كبرى كروسيا، بصفته زعيم أقلية في لبنان يأتي لتوسل الدفاع عنها، فيما أن مهامه الدستورية تفرض عليه العمل على الدفاع عن كل البلد بكافة مكوناته.

ويرى مراقبون أن كلام عون حول الدفاع عن "الأقليات"، يؤكد العنوان الأساس للحركة الفكرية السياسية التي يعمل عليها التيار العوني في لبنان، لجهة ربط حماية المسيحيين بحلف يجمعهم مع الأقليات الأخرى في المنطقة تبتعد عن البيئة العربية وتلتصق بطهران من جهة، وتسعى إلى استدراج رعاية روسية من جهة ثانية.

وفي إطار هذا الجدل المسيحي-المسيحي، يعقد "لقاء سيدة الجبل" الذي يرأسه النائب اللبناني السابق الدكتور فارس سعيد مؤتمرا في باريس في 23 نوفمبر المقبل، تحت عنوان "أي دور للمسيحيين العرب في المرحلة المقبلة".

ويتضح من خلال هذا العنوان أن المؤتمر يدعو إلى مقاربة مناقضة لتلك التي يشي بها مؤتمر "اللقاء المشرقي" لجهة تأكيد المسيحيين على الهوية العربية وانتمائهم الكامل والأصيل إلى العالم العربي.

ويقول سعيد إن المؤتمر يؤكد على الدينامية التي يتمتع بها المسيحيون في لبنان وسوريا والأردن وفلسطين والعراق ومصر، من حيث أنهم نسيج من هذه المنطقة ويرفضون المحاولات التي تريد أخذ المسيحيين نحو تحالف الأقليات.

ويضيف سعيد أن انعقاد المؤتمر في فرنسا ناتج عن عدم قدرة عدد من المشاركين على المجيء إلى لبنان خصوصا الشخصيات المسيحية التي تعيش قسرا خارج بلادها.

توثيق الحوار

يؤكد سعيد أن رسالة وجودية ينطوي عليها المؤتمر مفادها أنه في ظل القلق الوجوديّ الذي ينتاب المسيحيين العرب جرّاءَ ما تشهدُه المنطقة العربية من عنف إرهابي متفلت، تتبلور ضرورة ملحة للعمل على توثيق الحوار والتعاون بين النخب وقيادات الرأي العام المسيحية والإسلامية، آملا أن يصل صداها إلى أرجاء العالم، بهدف صياغة مشروع لعروبة معاصرة، إنسانية، تتّسع للجميعً.

ويتحدث سعيد عن البحث عن عروبة معاصرة بعيدة عن الكليشيهات القديمة التي حولتها إلى أنظمة شمولية في عداء مع العالم. ويدعو إلى عروبة متصالحة مع ذاتها ومع الغرب وتحترم حقوق الإنسان وحقوق المواطنة.

ويرفض جورج صبرة، الرئيس السابق للمجلس الوطني السوري المعارض، الذي سيشارك مع عدد من المسيحيين العرب في هذا المؤتمر الباريسي، ما يتردد عن أن أنظمة الاستبداد هي الخيار الأفضل لحماية المسيحيين.

ويذكر صبرة أن عدد المسيحيين في سوريا قد انخفض من نسبة 25 بالمئة قبل قيام نظام الاستبداد في سوريا إلى نسبة 5 بالمئة بسبب هذا النظام. وأكد أن المسيحيين هم جزء من هذه المنطقة يسعون إلى قيام ديمقراطيات وحريات تحمي المواطن أيا كانت ديانته، رافضا أي مشروع لربط المسيحيين بحلف الأقليات وبأجندة نظام الجمهورية الإسلامية في إيران.

لماذا تؤجل الإدارة الأميركية رفع اسم السودان من لائحة الإرهاب

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

مضى أكثر من شهر ونصف الشهر على تعيين حكومة مدنية في السودان، ولم تظهر إشارات واضحة تشي بالتفاؤل حول قرب رفع اسم السودان من اللائحة الأميركية للدول الراعية للإرهاب، كأحد المطالب الرئيسية للشعب والدولة، بل جاءت تصريحات رسمية صادمة قالت إن هذه الخطوة "عملية قانونية غير معلومة الأجل"، وقبلها نفت واشنطن وعد عبدالله حمدوك رئيس الحكومة برفع اسم بلاده.

أحبطت التلميحات المتتالية من راهنوا على تحرك أميركي كبير يساعد السودان على تخطي جانب مهم من العقبات التي تعتري طريقه الاقتصادي، فوضع اسم الخرطوم على قائمة الإرهاب يقلص فرص الحصول على مساعدات مادية سخية من المجتمع الدولي، ويقف حائلا أمام بعض التطورات السياسية العميقة في هذه المرحلة، ويسيء إلى الخطوات الإيجابية التي قطعها السودانيون في التخلص من نظام الرئيس عمر حسن البشير، وإرثه الأمني.

كما أنه يخالف التوقعات التي ذهبت إلى صهر السودان ضمن الكتيبة الإقليمية والدولية التي تبغي الأمن والاستقرار، ويضع عليه مجموعة كبيرة من علامات الاستفهام، ويخالف تقديرات دول كثيرة، مثل فرنسا وألمانيا ومصر والسعودية والإمارات، وعدت علنا بالمساهمة في حذف اسمه من اللائحة الأميركية، ويسير عكس اتجاه واشنطن التي رحبت بالثورة السودانية والحكومة المدنية وأشادت ببطولة المواطنين الذين تصدوا بجسارة للآلة العسكرية.

تجاهل الكثير من المسؤولين في السودان تفسير أسباب التعثر، حتى رئيس الوزراء أكد مؤخرا أنه "أحرز تقدما كبيرا مع الجانب الأميركي"، مع ذلك لن تتبلور ملامح عملية تشير إلى رفع اسم السودان، ربما كان وزير المالية إبراهيم البدوي الأكثر شفافية في هذا السياق، عندما قال في 24 سبتمبر الماضي "واشنطن أبلغتنا بصعوبة رفع اسم السودان بسبب وجود تعقيدات"، ولم يفسر البدوي أو غيره طبيعتها.

بالرجوع إلى بدايات الحديث في هذه القضية، يمكن معرفة جوانب من دوافع التأجيل، فمعروف أن قرار وضع أي دولة على هذه اللائحة يمر بمراحل كثيرة، إدارية وسياسية، في الولايات المتحدة حتى يتم التصديق عليه. وفي حالة السودان جاء النقاش الإداري حول القضية في أجواء يحتدم فيها الشد والجذب بين الكونغرس والبيت الأبيض بشأن مصير الرئيس دونالد ترامب وإمكانية صدور قرار عزله، ما يجعل قضية السودان تتوارى كثيرا، لأنها ورقة قد يستثمرها أحد الحزبين الكبيرين الجمهوري والديمقراطي، في صراعهما السياسي بالسلب أو بالإيجاب، وربما يكون ترحيل البت فيها خيارا يرضي الطرفين الآن.

على المستوى السياسي، ربطت واشنطن في 8 أغسطس الماضي، على لسان ديفيد هيل وكيل وزارة الخارجية الأميركية، بين رفع اسم السودان وبين "التحول إلى حكومة مدنية، والاستجابة للشواغل الأميركية المتعلقة بمكافحة الإرهاب". وهي العبارة السريالية التي يستوجب التوقف عندها، لأنها تساعد على فك بعض الألغاز في ملف الصعود والهبوط الآمن في العلاقات بين واشنطن والخرطوم.

عند تحليل الجملة الأخيرة، والتي لم يقف عندها كثيرون تحت وطأة الحماس العاطفي لتجربة السودان، يمكن أن تحمل دلالات مختلفة، فالحكومة المدنية تشكلت فعلا برئاسة حمدوك، كمرشح لتحالف الحرية والتغيير والقوى المدنية، وتم اختيار نصف أعضاء مجلس السيادة من المدنيين، لكن لا يزال النصف الآخر من العسكريين، ما يعني أن السلطة الانتقالية الحالية تحتوي على مكون عسكري غير خفي، بما يقلل من القيمة التي اشترطتها واشنطن والخاصة بحكومة مدنية خالية من دسم الجيش ومشاركته مباشرة.

تؤدي هذه الثغرة إلى فتح الباب لكثير من الشياطين السياسية في الولايات المتحدة، وسط ظروف تكتنفها التباسات في العلاقة بين الإدارة الأميركية والكونغرس، باعتبارهما جهتين رئيسيتين منوطة بهما شرعنة المعاقبة والمكافأة. وهذا يُفهم منه أن رفع السودان سوف يستغرق نحو ثلاث سنوات، مدة الفترة الانتقالية.

يبدو هذا الاستنتاج صحيحا، نظريا، لكن عمليا يتوقف على مدى المساهمة السياسية للمكون العسكري في مجلس السيادة والسلطة الانتقالية عموما، والمسافة التي من حقها التوغل فيها.

وحتى الآن تقدمت الحكومة المدنية، وأخذت على عاتقها تسيير الكثير من الأمور، وتوارت أذرع الجيش في أجهزة متعددة، ويكاد يكون دور المؤسسة العسكرية محصورا في الشق الأمني، وهو ما تراهن عليه الإدارة الأميركية، ويمثل الربط الضمني بين رفع اسم السودان وبين تعاظم دور الجناح العسكري في السلطة، طريقا سلسا لدعم النكوص عن الحكم المدني.

سواء كان هذا المحدد مقصودا أم لا، ففي كل الأحوال يمنح الحكومة المدنية مزايا لتكريس مهامها في السلطة، ويقوّض أي دور نشط للجناح العسكري فيها، على الأقل في ما يتعلق بالقرارات السياسية الحاسمة، الخارجية والداخلية. لكنه يحد من طموحات الحكومة في التعويل على تدفق الاستثمارات ورفع الكوابح الأميركية التي تعطل مرورها إلى السودان الذي لا يزال رسميا في القائمة السوداء.

لعل الخرطوم انتبهت إلى هذه العقدة جيدا، وبدأ رئيس الحكومة يخاطب مباشرة دولا عدة، مستفيدا من التصريحات الإيجابية من الولايات المتحدة وغالبية دول العالم، وجميعها تثمن جهوده في إخراج السودان من الحلقة القاتمة التي دخلتها البلاد منذ ثلاثة عقود بموجب نظام "الإنقاذ"، وهو ما يمكن توظيفه في تطوير العلاقات الإقليمية والدولية وما تحمله من مردودات مادية، وتفريغ عنصر القائمة الأميركية من المضامين السياسية والاقتصادية.

تنطوي الزيارات التي قام بها حمدوك لكل من مقر الأمم المتحدة والإمارات والسعودية وفرنسا ومصر وجنوب السودان وإثيوبيا، على إشارات ملموسة في هذا الاتجاه، وتؤكد أن أمام الخرطوم أفقا واعدا لتكون واحدة من العواصم ذات الصفة الطبيعية مع العالم، الأمر الذي يخفض محتوى التأثيرات لو بقي السودان لفترة أخرى على اللائحة الأميركية.

مع ذلك فالمشكلة تظل أكبر من تجاوز الحكومة تكتيكيا لعقبة في مجال طموحاتها، حيث يحيل الجزء الثاني من الشرط الأساسي إلى "الاستجابة للشواغل الأميركية المتعلقة بمكافحة الإرهاب". فإذا كان الشعب السوداني أسقط حكم البشير وهمّش دور الحركة الإسلامية، وجرى تشكيل سلطة انتقالية تشدد على أنها بعيدة كل البعد عن روافدهما، فما هي طبيعة الشواغل؟

> **هواجس أميركية تدفع إلى التمهل في عدم رفع اسم الخرطوم، أبرزها ما هو ظاهر في الأدبيات السياسية، وهو أن اللائحة -وما يترتب عليها من عقوبات- تعد سيفا مسلطا على رقبة أي دولة، حتى لو قطعت شوطا جيدا في تحجيم المبررات التي أفضت إلى هذه الخطوة، طالما توجد مخاوف**

معروف أن لائحة الدول الراعية للإرهاب لا تخلو من أهداف سياسية معينة، دفعت إلى اختيار كوريا الشمالية وسوريا وإيران والسودان، غير أن هذه الأهداف تنطلق من أدلة حقيقية، وقد يتم التغاضي عن دولة تقوم بالدور ذاته، أو أكثر أو أقل، لكن الدول الموضوعة اختيرت بعناية ورفعها من الضروري أن يتم بعناية أيضا، ولا تكون هناك مخاطر تلوح في الأفق ويمكن أن تعيد هذه الدولة أو تلك إلى المربع الأول.

في حالة السودان، ثمة جملة من الهواجس الأميركية تدفع إلى التمهل في عدم رفع اسم الخرطوم، أبرزها ما هو ظاهر ومنتشر في الأدبيات السياسية، وهو أن اللائحة -وما يترتب عليها من عقوبات- تعد سيفا مسلطا على رقبة أي دولة، حتى لو قطعت شوطا جيدا في تحجيم المبررات التي أفضت إلى هذه الخطوة، طالما توجد مخاوف أو ذيول.

الأهم أن السودان لم يتخلص تماما من نظام البشير، وأي تهاون -أو تساهل أو تسامح- يمكن أن يقود إلى استعادة نفوذ أتباعه في الدولة، بما يجعل شبح المتطرفين مخيما على السودان، ولذلك بدأت الخرطوم فتح قنوات للتعاون مع الدول المعنية بمكافحة الإرهاب في المنطقة، وأخذت خطوات جادة في سد المنافذ الحدودية مع مصر وليبيا وتشاد، والتي عرفت بأنها طريق آمن للعناصر المتشددة من السودان إلى الخارج.

هذا علاوة على أن قضية السلام الشامل لم تتحقق وتنتظرها أشواط طويلة من المفاوضات بين السلطة الانتقالية والجبهة الثورية كمكون رئيسي للفصائل المسلحة، خاصة أن واشنطن وعواصم كثيرة، ترى في نشر السلام إحدى القضايا الأساسية في السودان، لأن بفقدانه خرجت معظم المشكلات التي أرهقت العباد والبلاد، وفي مقدمتها الاعتداء على الحريات وانتهاكات حقوق الإنسان في الأقاليم التي شهدت حروبا وعرة، وتحويل أراضي السودان إلى ملاذ مستقر لتنظيمات متشددة، يحتاج قنصها إلى حزمة من الإجراءات، اتباعها سوف يقود تلقائيا إلى خطوات جادة في حلحلة القائمة الأميركية وخلوها من اسم السودان.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

التأهب كلمة السر في مواجهة التهديدات الأمنية المبتكرة

القانون وقيود الشركات لا يوفران المرونة الأمنية المطلوبة لمواجهة خصم يجدد أساليبه

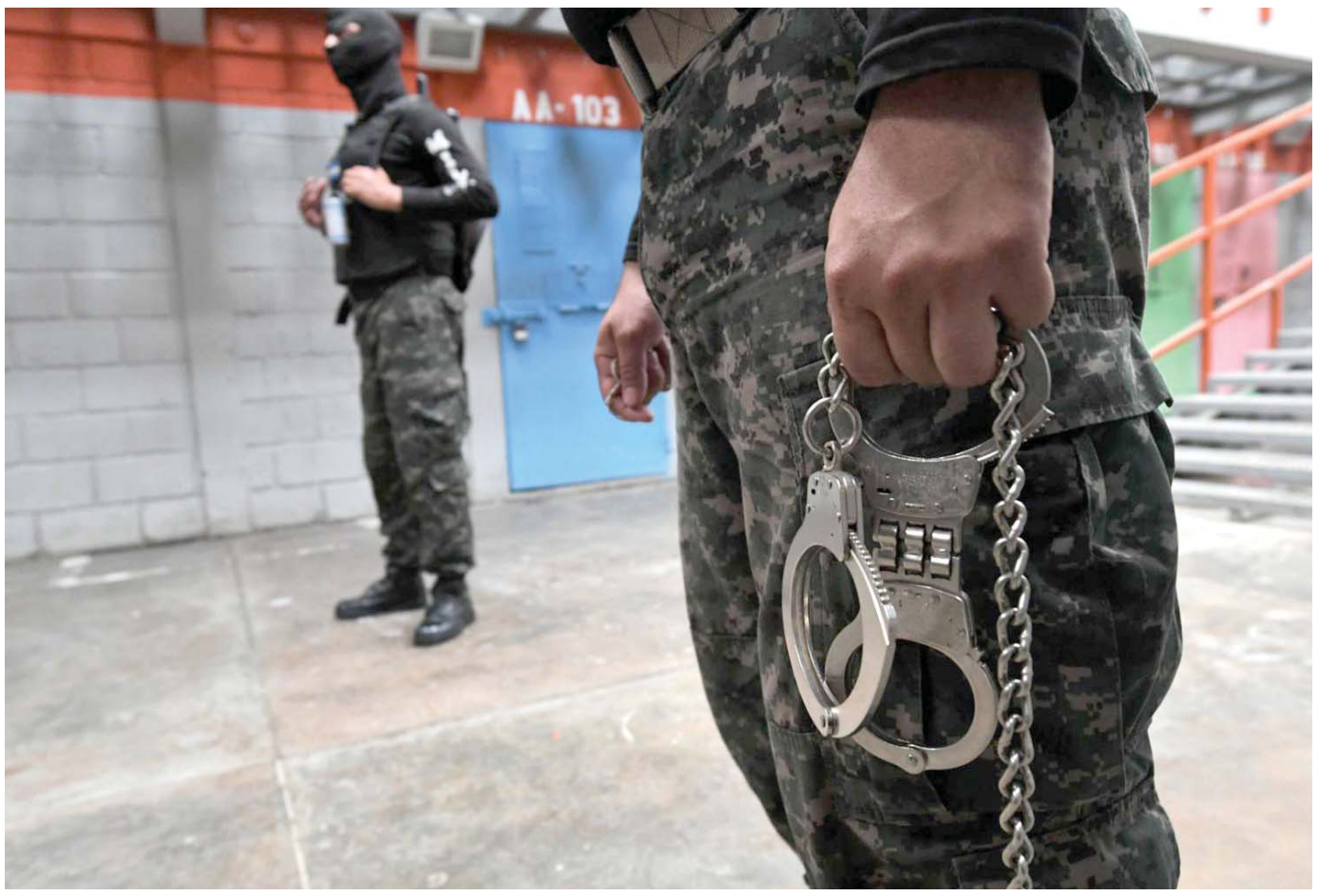

ماذا ينفع إغلاق باب الإسطبل بعد هرب الحصان

واشنطن - تعد أقسام الأمن في الشركات بجميع أنحاء العالم أساسية. وفي حين تفتخر هذه المؤسسات بقوة أمنها، إلا أنها غالبا ما تفتقر إلى المرونة وهي سمة يمتلكها خصومها. وتشدد قدرات الخصوم المتطورة على الحاجة إلى التأهب وتوقع التهديدات التي قد تأتي في أي وقت.

وتبقى اليقظة المستمرة أمرا بالغ الأهمية لمواجهة عدوّ يستغل كل الموارد المتاحة أمامه.

خصص سكوت ستيوارت، محلل قضايا الإرهاب والأمن، في مركز ستراتفور للأبحاث الأمنية الاستخباراتية، أحدث تحليلاته ليسلط الضوء على أهمية التأهب في مواجهة التهديدات الأمنية المبتكرة، لافتا إلى أن المثل القائل إن "الحاجة هي أم الاختراع"، ينطبق على الجرائم أيضا.

ويلفت ستيورت إلى أنه لا فرق في الخطر سواء أكانت المسألة مرتبطة بتهديدات الإرهاب، أم بالمجرمين وجواسيس الشركات والناشطين.

جاءت فكرة الحديث عن هذا الموضوع خلال مشاركة ستيوارت في ندوة بشيكاغو شملت تبادل الخبرات في مجال الأمن العالمي. ناقش خلالها المشاركون التحديات الخاصة التي يواجهها الأمن.

سكوت ستيوارت

يجب على المسؤولين في أقسام الأمن الاستعداد للمعركة المحتملة القادمة، بدلا من الاكتفاء بالتركيز على المعركة المنتهية

ويقول ستيوارت إن الحديث مع عدد المشاركين قاده إلى اكتشاف شيء ما وهو أنه: سواء كان العدو مجرما أو جاسوسا أو ناشطا، فإن كل تهديد يمتاز بالقدرة على التكيف مع الإجراءات الأمنية وبالإبداع من حيث القدرة على ابتكار حلول لتجاوز أي عقبة. لكنه أدرك جمود أقسام الأمن في الشركات والبرامج التي يصممونها، حيث إنهم غير مرنين؛ فالعديد من اختصاصيي الأمن سواء من الجيش أو من وحدات إنفاذ القانون (أو كليهما، مثل حالته)، ينتمون إلى خلفيات مختلفة تميل إلى التقاط العديد من السمات التي تعطل هذه المؤسسات خلال العمل فيها.

عموما، يحمل الأشخاص الذين ينتمون إلى الجيش أو وحدات إنفاذ القانون قدرة هائلة على التنظيم، لكن غالبا ما يعجزون أمام التغيير. يقول ستيوارت "حتى نكون منصفين، لا يستطيع العاملون في أقسام أمن الشركات اتباع منهجياتهم الخاصة، على عكس خصومهم. ولا يتمتع الموظفون بأي خيار لا يعني اتباع معايير الشركات وإرشادات الصناعة والعمل ضمن قيود القانون المدني والجنائي".

يمكن أن يضع غياب المرونة البرامج الأمنية في وضع حساس أمام خصم قابل للتكيف.

في النهاية، إذا أرادت أقسام الأمن البقاء في الصدارة، فعليها أن تخطط لمواجهة التهديد المحتمل بدلا من الاكتفاء بالترقب للرد على الهجوم الأخير.

مهاجمون مرنون

لا يشك أحد في مرونة المجرمين وإبداعهم. وكلما كانت المكافأة أكبر، كلما زاد إبداع المخالفين للقانون. وينطبق هذا على مهربي المخدرات الذين يلعبون لعبة القط والفأر مع قوات الأمن منذ عقود؛ اضطر هؤلاء الأفراد إلى تكييف أوضاع التهريب وأساليبه استجابة لاستراتيجيات قوات إنفاذ القانون. ويستخدم هؤلاء المهربون مجموعة من الأساليب لنقل بضاعتهم عن طريق الجو أو البحر أو البرّ أو حتى تحتها، كما تمكنوا من نقل المواد غير القانونية عبر الحدود تحت أغطية مختلفة.

لكن الحيلة والإبداع تمتد إلى المجرمين الآخرين؛ طورت بعض الجهات أجهزة لوضعها على الصرافات الآلية وغيرها من الفتحات التي تدخل فيها بطاقة الائتمان لسرقة معلومات المالك. وبالمثل، طوّرت بعض مجموعات سرقة البضائع مراقبة إلكترونية متطورة وماسحات ضوئية للكشف عن أجهزة نظام تحديد المواقع العالمي المخفية في شحنات البضائع وتشويشها. وستستخدم بعض المجموعات أجهزة التشويش على نظام تحديد المواقع العالمي لحجب الإشارة في حالة عدم تفطنها لبعض أجهزة التتبع.

وأثبت الجواسيس في مجال الصناعة قدرتهم على توظيف طرق مختلفة للحصول على المعلومات التي يحتاجونها.

يمكن أن تكون الطرق التي يتخذونها تقليدية مثل التسلل إلى مكان يمنع عليهم الدخول إليه، ويمكن أن يشنوا حملة تصيد احتيالي أو قرصنة كما يستطيعون تجنيد موظف من الداخل يمكنه الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها.

وأظهر جواسيس الشركات وأولئك الذين يجندونهم القدرة على التكيف لمواجهة التغييرات التي تطال السياسات والإجراءات الأمنية.

للحصول على أدلة تؤكد ما ذكر، لا تنظر إلى أبعد من شركة أبل؛ بعد أن اكتشفت الشركة جاسوسا كان يحاول تنزيل المعلومات الحساسة عبر منفذ "يو.أس.بي"، قررت تعطيل هذه المنافذ الموجودة على الأجهزة التي يدخل إليها الموظفون.

وأجبر ذلك العميل الثاني على التكيف والتقاط صور للمستندات الحساسة الظاهرة على شاشة الكمبيوتر باستخدام هاتفه المحمول.

الجماعات المسلحة

يخصص ستيوارت حيزا هاما للجماعات المسلحة، مشيرا إلى أنها تحمل سجلا يبرز مرونتها وقدرتها على انتهاز جميع الفرص المتاحة. ولا يوجد دليل أوضح من تاريخ الهجمات على الطائرات؛ التجأ الماركسيون والكوبيون المناهضون لكاسترو والكارتلات الكولومبية والسيخ والجهاديون وحتى ضباط المخابرات الكورية الشمالية والليبية إلى اختطاف الطائرات أو تفجيرها.

ومن المفاتيح البارومترية والخلايا الإلكترونية إلى قنابل الأحذية والملابس الداخلية، وظّف أولئك الذين يرغبون في مهاجمة الطائرات مجموعة من التكتيكات لتمرير أجهزتهم القاتلة عبر نقاط التفتيش وتفعيلها.

ويقف الباحث الأميركي عند تفجيرات الحادي عشر من سبتمبر مشيرا إلى أنه خلال التخطيط لهذه الهجمات، درس تنظيم القاعدة نظام الفحص الأمني الذي تعتمده شركات الطيران وبحثت عن طرق لاستغلال نقاط الضعف التي يعاني منها.

وفي صباح الـ11 من سبتمبر 2001، اختطف الجهاديون 4 طائرات باستخدام سكاكين الجيب، حيث لم تمنع القواعد الأمنية الركاب من حمل هذه الأدوات إلى الطائرة في تلك الفترة. وتحدث زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري في الذكرى الـ18 لهجمات 11 سبتمبر، وحث أتباعه على شن هجمات ضد المصالح الأميركية والغربية، وشجعهم على الابتكار في هذا المجال.

ويتمتع الناشطون بهذه القدرة على التكيف؛ خلال العقد الماضي، وسّع البعض أنشطتهم المباشرة بطرق تجاوزت التركيز على شركة مستهدفة معينة. وتحولوا إلى الضغط على المؤسسات المالية والموردين والعملاء وغيرهم ممن يتعاملون مع الشركة المعنية. كما يعتمدون تطبيق عدد من الأساليب المباشرة المختلفة لإبقاء انتباه الأمن الذي يستهدفونه مشتتا مثل التجمع أمام منزل المدير التنفيذي.

مواجهة الخصوم

مثل أي تهديد، تتمثل خطوة مواجهة الخصم الأولى في الاعتراف بوجود المشكلة، ثم اتخاذ خطوات لمعالجتها. في هذه الحالة، يعني ذلك فهم ضرورة تعديل البرامج والسياسات والإجراءات الأمنية حتى تصبح مرنة بما يكفي لتوقع التهديد المتغير باستمرار. لكن تعديل الإجراءات الأمنية بعد الهجوم لا يكفي، إذ يجب على المسؤولين في أقسام الأمن الاستعداد للمعركة القادمة بدلا من التركيز على المعركة المنتهية. يتطلب هذا تحديد منبع التهديد حتى تتمكن الدوائر الأمنية من اتخاذ خطوات استباقية لتفادي المهاجمين المحتملين والتخفيف من التهديد بدلا من مجرد الرد على هجوم حدث بالفعل.

يعدّ التركيز على تكتيكات المخالفين أفضل طريقة للتعرف على مصادر التهديد. في مركز ستراتفور، يشير المحللون إلى ضرورة الانتقال من التركيز على هوية الخصوم إلى كيفية عملهم. ويعدّ الأمر مهمّا نظرا إلى قدرة مجموعة متنوعة من الجهات الفاعلة على تبني التكتيكات التي يستخدمها الآخرون. كما يضمن التركيز على الكيفية بدلا من الهوية، التفطنَ إلى علامات الهجوم الوشيك.

يسمح التركيز على التكتيكات للمسؤولين الأمنيين بمراقبة الاتجاهات الجديدة وبناء توقعات تفصّل التهديدات القادمة. تعلم أمن المطار هذا الدرس في سنة 2009، بعد أن جاء جهادي ادّعى توبته إلى نائب وزير الداخلية السعودي للشؤون الأمنية الأمير محمد بن نايف. في أغسطس 2009. زعم الجهادي أنه ينوي طلب العفو من الأمير، إلا أنه فجّر عبوة ناسفة مخبأة في أحشائه. فشل الإرهابي في اغتيال الأمير، لكن القاعدة لاحظت نجاحها في إخفاء عبوة ناسفة. وسعت إلى تهريب المتفجرات على متن طائرة متجهة إلى ديترويت في ديسمبر 2009 في ملابس أحدهم الداخلية. لكنها فشلت. ولم يكن ذلك بفضل أمن المطار، إذ لم تنفجر المواد الناسفة وتمكن الركاب من السيطرة على الإرهابي.

يكمن الحل الآخر الذي يمكن أن يساعد على هزيمة المهاجمين المحتملين في حرمانهم من القدرة على تنظيم عمليات المراقبة، حيث منح الخصوم حرية في مراقبة المعدات والإجراءات الأمنية مما ساعدهم على التخطيط لهجماتهم.

لذلك، يجب تدريب موظفي الأمن على التعرف على علامات المراقبة العدائية واتخاذ إجراءات لإيقافها. كما تشمل الشركات مناطق يجب أن يتواجد فيها شخص لمراقبة الأنشطة التي تجري فيها مباشرة. يساعد هذا على استباق الهجمات، ولا يجب إبقاء الأنظمة مجرّد آلية تسجل النشاط لمراجعته بعد وقوع الحادث.

ويخلص ستيورات إلى أن قيود الشركات والقانون لن يوفرا المرونة التي يحتاجها أفراد الأمن لمواجهة الخصم الذي يجدد أساليبه. حيث يعدّ توقع كيفية حدوث الهجوم التالي ووضع برامج استباقية لتعطيله، أمرا أساسيا إذا أرادت الشركات أن تبقى متقدمة على منافسيها. ويبقى أي إجراء آخر بمثابة إغلاق باب الإسطبل بعد هرب الحصان.

برمجيات خبيثة تتجسس على الدبلوماسيين بأساليب غير معتادة

سيرجيو غاتلان

اكتشف باحثون في شركة إسيت لأمن تكنولوجيا المعلومات في براتيسلافا برامج ضارة جديدة مصممة لاستهداف الشخصيات الدبلوماسية والحكومية. استخدمت هذه البرامج في الهجمات ضد الأفراد الناطقين بالروسية لمدة 7 سنوات على الأقل.

تسلّحت برامج التجسس الخبيثة التي أطلق عليها الباحثون اسم "أتور" ببعض الميزات المبتكرة بما في ذلك استخدام الوحدات المشفرة والاتصالات القائمة على شبكة تور الخفية وبرامج المساعدة المصممة خصيصا لـ"جي. أس.أم" (النظام الموحد للاتصالات المتنقلة).

وقالت محللة البرمجيات الخبيثة في شركة إسيت، زوزانا هروموكوفا "يركز المهاجمون الذين يستخدمون أتور على البعثات الدبلوماسية والمؤسسات الحكومية". وأشارت إلى أن "هذه الهجمات بدأت منذ سنة 2013 على الأقل. وهي موجهة إلى المستخدمين الروس، وخاصة أولئك الذين يهتمون بخصوصياتهم".

ويشير الصحافي المحلل سيرجيو غاتلان، المتخصص في الأمن الإلكتروني، إلى أن أتور صمم باستخدام هياكل نمطية، مع وحدات تم تطويرها خصيصا من أجل التسلل وجمع البيانات وتجنب البرمجيات المضادة للبرامج الضارة.

وعثرت شركة إسيت على 8 وحدات (تعرف أيضا باسم البرامج المساعدة)، وتشمل برنامج تثبيت، وبرنامج مراقبة، ومسجل صوت، ومصور شاشة، ومسجل كلمات سر، ومحمل ملفات، ووحدة اتصال.

ولفت غاتلان، في متابعته لهذه القضية، في موقع "بلبينغ كمبيوتر"، إلى أنه أثناء تحليل حالات عدد من ضحايا أتور، اكتشفت شركة إسيت أن البرامج نقلت إليهم عبر وحدة إرسال تستخدم أساليب تشفير متعددة وتقنيات تساعدها على التخفي داخل الأجهزة المصابة. ويحقن هذا البرنامج نفسه في معظم العمليات التي تجرى على الأجهزة التي تعرضت للاختراق، باستثناء تلك التي تتضمن برامج شركة سيمانتك المتخصصة في مجال الأمن وإدارة المعلومات والعديد من عمليات نظام التشغيل.

بعد ذلك، يفعّل أتور آلية المراقبة وجمع البيانات عبر تحميل البرامج المساعدة التي تظهر كملفات مكتبة الربط الديناميكي المشتركة في نظام مايكروسوفت ويندوز.

وحسب شركة إسيت، يستهدف أتور عمليات محددة من بينها العمليات المرتبطة بالشبكات الاجتماعية الروسية وبعض الأدوات المساعدة على التشفير الرقمي، والبرامج التي تعالج إعدادات الشبكة الخاصة الافتراضية، وخدمات تشفير البريد الإلكتروني مثل هاشميل، وبرنامج تروكربت الذي يستعمل في تشفير الملفات والأقراص.

تخزّن البرامج المساعدة "مضغوطة ومشفّرة"، وتفعّل عندما تتلقى إشارة من المرسل الذي يحمّل البرامج الإضافية. وتعدّ هذه محاولة لإخفاء هذه البرمجيات لأنها دائما ما تظهر مشفرة.

برنامج «أتور» الخبيث صمم باستخدام هياكل نمطية، مع وحدات تم تطويرها خصيصا من أجل التسلل وجمع البيانات وتجنب البرمجيات المضادة للبرامج الضارة

وقال تقرير أعدته شركة إسيت إن أتور يحمل آليات تمكنه من إضافة برامج مساعدة إضافية جديدة، ومن تحديث نفسه. كما يستطيع أن يغير مواقع الملفات التابعة له لحمايتها.

ويتمثل البرنامج المساعد الأبرز الذي يحمله أتور في آلية لمراقبة الجهاز، وتشمل وحدة تستخدم البيانات الوصفية التي تم تجميعها من أجهزة الهاتف والتخزين والـ"مودم" المتصلة بالجهاز. كما يستخدم هذا البرنامج المساعد الآليات التي تم تطويرها خلال الثمانينات للتسلل إلى الأجهزة المتصلة بالمنافذ التسلسلية في الكمبيوتر المصاب.

وتعتقد إسيت أن هذا البرنامج المساعد يستخدم لاستهداف أجهزة الـ"مودم" والهواتف القديمة واسترداد العديد من معرفات المشتركين والأجهزة مثل هوية مشترك الجوال الدولية والهوية الدولية للأجهزة المحمولة.

وقالت هروموكوفا، "يمكن أن يوظف ذلك لتأسيس قاعدة لسرقة المزيد من البيانات. إذا عرف المهاجمون نوعية الجهاز المتصل، فيمكنهم صياغة مكوّن برنامج مساعد إضافي يمكنه سرقة البيانات من هذا الجهاز وإدخال تغييرات عليه، بما في ذلك تغيير برامج الجهاز الثابتة".

وسمح استخدام أتور لتقنيات الاتصال التي توفرها شبكة تور على إبقائه مخفيا، حتى بعد استخدامه في هجمات ضد أهداف بارزة منذ سنة 2013 على الأقل. وعلى الرغم من أنهم كانوا قادرين على تحليل حالات البعض من الضحايا، فالباحثون في إسيت لم يتمكنوا من تحديد كيفية وصول البرامج الضارة الأولى وحجم البيانات الكاملة التي صممت لجمعها.

وأضافت شركة إسيت "تشير إصدارات البرمجيات في البرامج المساعدة إلى وجود برامج إضافية أخرى لم نجدها بعد. ومع ذلك، يوفر بحثنا نظرة عميقة تبرز وجود هذه البرامج الضارة، ويؤكد الحاجة إلى تتبع عمليات المجموعة التي تقف وراء هذه البرامج الضارة".

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

مغربية صحراوية تتحدى من أجل حياة سياسية متطورة

حسناء أبوزيد لـ«العرب»:
قادتنا أدخلونا حكومة العثماني من الباب الصغير

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

● العاهل المغربي يشدد دوماً على ضرورة أن تقوم الأحزاب بتطعيم الحكومة بوزراء ذوي كفاءة يرفدون التجربة السياسية المغربية، وهذا ما لا ترغب به بعض القيادات التي تكرّس الشعبوية والأنانية.

● أبوزيد تعرف ما هو متوقع منها سياسيا ودبلوماسيا، فهي ليست طارئة على المشهد السياسي المغربي باعتبارها سليلة آل بيروك، إحدى أكبر عائلات الصحراء وأكثرها عراقة.

لا تفارق لحافها الصحراوي بألوانه المختلفة حسب المناسبة والظرفية، باعتباره رمزا لهويتها وتحته تخفي شخصيتها القوية، يسارية حتى النخاع وصحراوية حد التعصب غير الأعمى، بَسمتُها لا تفارق المحيّا حتى وإن هاتفتها عبر كيلومترات تحس بتلك النبرة من التعاطف والصرامة ونموذج السياسي المثقف، وما أحوج العرب اليوم إلى سياسيين جادّين.

قيل عن المسار السياسي لحسناء أبوزيد الكثير لكنها تؤكد أنها لا زالت في الطريق ممارسة ومتعلمة، ذكاء وتواضع هذه السيدة الى جانب فصاحتها، خصال أهّلتها لتكون من الأسماء الوازنة داخل حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وتحظى بمكانة خاصة لدى جميع الاتحاديات والاتحاديين، ما جعل المتعاطفين والمعجبين بسيرتها يرشحونها لتكون سيدة حزب الاتحاد الاشتراكي، ولم لا إذا كانت تحمل صفات السياسي النزيه والكفء والشجاع، هكذا قالوا، لكن المجال يحتاج أكثر من هكذا خصالا بكثير.

حسناء أبوزيد تؤكد لـ«العرب» أنها لا تميل إلى شخصنة الصراعات السياسية المغربية، فهي تعتقد أن الأمر يتعلق بالتوجس من التغيير ومن المستقبل، ومع الأسف فإن التاريخ القريب، كما تقول، يرجح كفة هذا التقدير

هناك من يعتقد أن الخوف من الفشل هو لعنة السياسيين التافهين، في حين أن الفشل طريقة أخرى للوصول إلى الهدف لمن خبروا دهاليز صناعة الرأي وتوجيه الجماهير، ونموذج حسناء أبوزيد يقع مع الزمرة الثانية كسياسية ترى في الفشل فرصة فهي تجمع بين الطموح والنبل ورجاحة الفكر ما يؤهلها لقيادة الاتحاد الاشتراكي في المرحلة المقبلة.

صراع الزعامة

المدرسة الواقعية تعتقد أن العالم عبارة عن أقطاب متنافسة أو في تصادم مستمر، والأحزاب السياسية ليست سوى بيئة مصغرة عمّا يقع خارجها، وضمن هذا الفهم يُعتقَدُ، أن أبوزيد إنما يخشاها إدريس لشكر كمنافسة له في تسيير دواليب الحزب، وهي التي واجهته بجدارة في العديد من المحطات. هو يقول إن سنوات خدمته تحت تصرف قيادات سابقة من اليوسفي واليازغي والذين قبله، فهو غير مستعد ليترك الفرصة لأحد كي يأخذ مقود القيادة.

كانت من المرشحين قبل عامين لقيادة سفينة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بدل الرئيس الحالي، وتعتبر من أشرس المعارضين للقيادة التي تدبر شؤون الحزب، وآنذاك كان الاختلاف قائما حول المنهجية التي اعتمدت في التحضير للمؤتمر العاشر. تلتحف ثوبا صحراويا وببشاشة واضحة توصل فكرتها وتدافع عنها بقوة وصرامة.

من الممكن أن يكون طموح لشكر كرئيس الاتحاد الاشتراكي هو كتابة تاريخه الفريد الذي سيمحو كل المنافسين السابقين والقادمين إلى الأبد، لكن أبوزيد تؤكد لـ"العرب"، أنها لا تميل إلى شخصنة الصراعات السياسية، وتعتقد أن الأمر يتعلق بالتوجس من التغيير ومن المستقبل ومع الأسف التاريخ القريب يرجح كفة هذا التقدير، وبالنسبة للتغيير والتأنيث والتشبيب فهي مفاهيم تقدمية ولن يستقيم أبداً أن تسجن فكرة تقدمية في أثواب الركود بالتآمر على المستقبل.

عندما تسألها عن ملابسات اقتراحها من طرف رئيس الحكومة سعدالدين العثماني، وزيرة للصحة باسم الاتحاد الاشتراكي أثناء المشاورات مع إدريس لشكر، في فريقه الحكومي الذي يتم الإعداد له، لا تنفي أبوزيد ولا تؤكد، عكس المصادر القريبة من مطبخ الاتحاديين التي أكدت رفض لشكر بشدة هذا المقترح معتبرا أن الأمر هو شأن اتحادي والاتحاديون هم من يقررون في هذه المرحلة.

يرجح المتابعون أن نظافة اليد ولكونها مقبولة من طرف النخبة الاتحادية وكل القوى السياسية، وهو ما جعل الإحساس السياسي عند أبوزيد جيدًا، وهو الذي أصبح إشعارا منذرا بالانحدار السياسي لخصومها، وسببا كافياً كي تنكوي بنار المنافسة من عدة أوجه وبطرق قد تكون غير نظيفة.

لا تريد أبوزيد التخلي عن مكون أساسي من مكونات شخصيتها، ألا وهو التحدي وانتظار الفرص دون انتهازية فجّة وتنتقد الوضع بجرأة معهودة وهذا ما خلق الفجوة بينها وبين قيادة الحزب اليساري، وها هي تفسر لـ"العرب"، الأمر بتأسيس أعراف حزبية تؤوّل كل انتقاد بأنه يمس بتماسك الصفّ كجانب من موروثات المرحلة السرية للحزب في الأيام الصعبة.

غالبا ما يكون المتنافسون في مجال السياسة أكثر استعمالا لوسائل الإبادة الأكثر فتكا لتحطيم كل الآخرين، لذلك استغل خصومها داخل وخارج الحزب موقع زوجها الذي يشتغل محافظا بإقليم مديونة، لإفراغ محتوى دفاعها عن الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية والممارسة السياسية السليمة، لكنها ترد بأنها لا تَعَارُض في هذا الوضع، وبأن الثقة التي وضعتها الدولة في شريك حياتها العائلية والحزبية، هي نموذج يجب اتباعه، فالاتحاد هدفه كان دائما إصلاح الإدارة والمساهمة في تجديدها.

النخبة وخدماتها

كثر الحديث عن النخب والحاجة إلى خدماتها في الآونة الأخيرة خصوصا من داخل الأحزاب لملء فراغ في الحكومة والإدارات والمؤسسات. هذا الشح البشري، له من الأسباب الكثير نظرا للطبيعة غير التأملية والمشتتة لجل ما يحتويه الوسط السياسي الحزبي بشكل خاص في السنوات الأخيرة.

وكثيراً ما شدد العاهل المغربي الملك محمد السادس في خطبه الرسمية، على أن تعمل الأحزاب السياسية على تطعيم الحكومة بكفاءاتها لأجل تجويد التدبير الحكومي، بتقديم وزراء ذوي كفاءة ومصداقية لإنقاذ التجربة السياسية المغربية، وهذا ما لم ترغب فيه بعض القيادات التي تكرّس الشعبويّة والأنانية، هناك من طرح اسم أبوزيد ككفاءة تستحق تحمل المسؤولية داخل الحكومة، باعتبارها "قيمة وطنية" و"إضافة نوعية تخدم قضية الوطن في الصحراء".

وتعليقها على هذا الاقتراح لم تجعله هذه السيدة فرض عين على القيادة والقاعدة لكن يُفترض ألا تشكل مسألة قيادة نسائية للاتحاد الاشتراكي مطلباً عزيزاً بل أن يفرزها تطارح المشاريع الحزبية والتباري المتكافئ للكفاءات الحزبية التي تحظى باحترام وثقة المغاربة جميعاً.

التراجع السياسي الانتخابي والشعبي وخصوصا القيمي الذي عاشه الاتحاد الاشتراكي يتجاوز في تفسيره تأثير ما دأبت أدبياتنا على ربطه بالسلطوية وتعثر الانتقال الديمقراطي بما هي جزء مؤثر في التحليل، ليعرّي واقعاً مراً، صحيح لكنه ليس مستحيل التغيير، والمتعلق بالبيئة الداخلية ومدى تمثلها لقيم الديمقراطية، والتحديث، والقدرة على بعث حزب الحق والقانون وقيم التدبير الديمقراطي، كمساهمة مسؤولة لإنتاج نخب الديمقراطية لبناء دولة ومجتمع ديمقراطيّين، بإيجاز بلورة نموذج سياسي جديد للحزب.

ولـ"أبوزيد" رأي في هذا النموذج باعتباره أنتج الكثير من الصراعات في الممارسة السياسية الاتحادية

كما صنع ثقافة اجترارها بالتجاهل الجماعي واللامسؤولية وثقافة التطبيع مع التضحية بأجيال من النخب كنمط مكلف لدوران النخب وأشاع قيماً دخيلة على العمل الرفاقي والعقيدة المجمعة، والحل هو الديمقراطية الداخلية لإنتاج ما يمكن تسميته بدَمقرطة المناصب حسب الكفاءة.

الحكومة ومحتكرو القرار

من قال إن بلوغ الذروة يحتاج إلى السنوات الطوال في العمل السياسي، فالوصفة الناجحة تتطلب الجرأة والبلاغة في التواصل والإلمام بالقضايا والانتماء الحقيقي للبيئة الحاضنة. كل هذا كان متوفرا سنة 2005 عندما بادرت أبوزيد بنيل عضوية المجلس الوطني لمنظمة النساء الاتحاديات، لتتمرس أكثر على العمل التنظيمي، وتصبح بعد خمس سنوات نائبة الكاتبة الوطنية لتنظيم النساء الاتحاديات، وكانت هذه فرصة لتنسج لنفسها تشكيلة من العلاقات لتيسير مهمتها داخل وخارج الاتحاد الاشتراكي وتضحي وجها نسائيا بارزا.

من خلال اللائحة الوطنية لنساء الحزب، أصبحت أبوزيد نائبة في البرلمان، فكانت النائبة الرابعة لرئيس لجنة القطاعات الاجتماعية، والنائبة الثالثة لرئيس لجنة مراقبة المالية العامة. كما شغلت عضوية لجنة المساواة وتكافؤ الفرص بمجلس النواب، إضافة إلى عملها مستشارة بمكتب شبكة برلمانية ضد عقوبة الإعدام.

هذه المسيرة جعلت من أبوزيد نموذجا حزبيا نسائيا نخبويا جديرا بالاهتمام.

التراجع التدريجي الذي عرفه الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية سياسيا وانتخابيا كان واضحا للعيان، من حزب كانت بياناته السياسية تجعل السلطة في استنفار كبير وقيادته كما قاعدته كان لهما الحضور والاحترام والكلمة في كل الأوساط وفئات المجتمع، إلى حزب بالكاد يحصل على فريق كامل من 12 برلمانيا، إنها انتكاسة. وبالرغم من هذا الواقع فحسناء ترى في هذا الحزب تجسيدا لأمل تحمله روح تقدمية، لا يمكن أن يموت إلا بدفن السياسة.

أزمة الاتحاد الاشتراكي مرتبطة في اعتقادها، بحالة انحباس فكري أسبابه داخلية محضة، في ما يشبه الأمراض المناعية التي ينتج فيها الجسد مضادات حركيته وديناميته وصحته، فالذي أشرف على نهايته هو النموذج التاريخي للممارسة السياسية الاتحادية وليست الفكرة الاتحادية في خد ذاتها.

ليس من السهل تفادي الاختلاف لكن عندما تجد أن أغلبية القيادات الاتحادية خارج هذا التنظيم السياسي، فهذا الوضع يتطلب أكثر من مصالحة داخلية شاملة تعيد اللحمة ووحدة الصف للحزب أطلقتها القيادة الحالية، ورغم موقفها من هذه القيادة الحالية فقد أسرّت أبوزيد للصحيفة، أنه بغض النظر عن حمولة المصطلح وهل يعبر فعلا عن طبيعة الأزمة التي يعيشها الحزب، فهي مبادرة جيدة ومحمودة، ويجب على لشكر أن يفكر ملياً في توفير الشروط الضرورية لإنجاح مبادرته ولعل أهمها المصداقية والالتزام.

لقد وجد محتكرو القرار الفعليّون داخل القيادة الاتحادية أنفسهم في مأزق متشابكة رهنت حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ليس فقط إلى غير خطه السياسي بل حشرته في فوضى قيمية وسياسية وأخلاقية، هكذا تقيّم حسناء الوضع الداخلي، "فوضى تعبر عنها ضبابية رؤيته اليوم وحجم التردد بل والتوجس والذبول الذي يطبع مواقف حزبنا"، والاستنتاج هو أن القيادة الحالية لم تُوفق في امتحان المشروعية.

وبعد أيام من حسم خريطة الحكومة المعدلة، وبعد انصرام قرابة أكثر من منتصف الولاية، ترى أبوزيد، أن منهجية تدبير قيادة الاتحاد الاشتراكي للتحالفات وَصمتْ صورة مشاركة الحزب في الحكومة، وتضيف "مشاركتنا باهتة ودون أدنى أثر سياسي"، معتبرة أن محتكري قرار القيادة الاتحادية أدخلوا الحزب إلى حكومة العثماني من الباب الصغير، فقد "حُشرنا في اصطفافات لا تليق بمكانتنا الرمزية ولا تخدم طموحاتنا في إعادة الاعتبار للعمل الحزبي والسياسي".

حل ملف الصحراء المغربية

يبدو أن أبوزيد تعرف ما هو متوقع منها سياسيا ودبلوماسيا فهي ليست طارئة على المشهد السياسي المغربي باعتبارها سليلة آل بيروك، إحدى أكبر عائلات الصحراء وأكثرها عراقة، وهي من أولى الأسر الصحراوية التي انفتحت على عالم المعمار وممارسة التجارة والفلاحة والتصدير البحري في بيئة صحراوية عرفت بكثرة الترحال.

ولا يمكن الحديث عن هذه المرأة الصحراوية دون التعريج على سيرة جدها القايد دحمان بن بيروك الذي يعد أحد مؤسسي الحركة الوطنية بالجنوب المغربي ومؤسس أول فرع لحزب الاستقلال بالصحراء نهاية الأربعينات وجيش التحرير في كلميم، الذي عارض سياسته وتجاوزاته ضد الصحراويين بعد ذلك في الجنوب، وقبلها اعتقلته السلطات الاستعمارية وعزلته وهو قائد منطقة وادنون بعد رفضه التوقيع على عزل السلطان محمد الخامس. ومن منطلقات الخلفية العائلية والقرب التاريخي والعائلي والسياسي من حيثيات ملف الصحراء، تعتبر حسناء أبوزيد أن هذه القضية يجب أن تُعالج في إطار سياسة عمومية يشكل فيها الجانب الدبلوماسي جزءاً فقط وليس كلاً، وتؤمن أن الفاعل السياسي والمثقف والجامعي وغيرهم لا يمكن أن يحصروا مساهمتهم فقط في ترقب القرارات ورصد المستجدات، وأحيانا تكييف الفهم والتحليل. فإلى جانب إقرارها بأن المجهود التنموي الوطني في الصحراء يجبُ أن يواكبهُ تأطير على المستوى السياسي، فمن غير المقبول عند هذه السيدة، أن يمتنع الفاعل السياسي والإعلامي والأكاديمي خصوصا بالنسبة لجيل ما بعد المسيرة الخضراء عن خدمة قضيته ويُخضع أداءَه لآلية ضبط مفرطة أنتجتها ظروف سياسية ولى زمنها وانتهى.

أبوزيد ترى أن حماية مكوّن البوليساريو وضمان استقلاليته مدخل مهم وأساسي لأن الجبهة في صيغتها المستقلة والعقلانية يمكن أن تساهم بشكل بناء في مناقشة المقترح المغربي المتعلق بتمتيع المناطق الصحراوية بحكم ذاتي، شرط توفير ضمانات الثقة

ترى هذه المرأة القريبة من ملف الصحراء، أن تركيز الفاعلين السياسيين يجب أن ينصب على تقوية البناء الديمقراطي لأن المشروعية الديمقراطية هي الضامن الأساس للوحدة، طرحها هو أن قضية الصحراء يجب أن تستفيد من ثراء التجربة السياسية المغربية ومن أعطابها كذلك، ولا يمكن أن تدرج في الشق الدبلوماسي بل يجب أن تبنى سياسة عمومية تمنع الداخل وتقوي الجبهة الوطنية بطريقة تقطع مع المفاهيم القديمة.

عندما تنتهي الحجج تبدأ السفسطة لهذا أراد الكثير من خصوم أبوزيد الدخول من زاوية ملف الصحراء للتشويش على صورتها، لهذا تقترح على الجميع المساهمة في بناء بيئة الحل وتقوية الثقة بين الأطراف كطريق للوصول إلى الحل النافع والدائم، وبشكل أكثر جرأة تقول إن حماية مكون البوليساريو وضمان استقلاليته مدخل مهم وأساسي لأنها – جبهة البوليساريو – في صيغتها المستقلة والعقلانية يمكن أن تساهم بشكل بناء في مناقشة المقترح المغربي المتعلق بتمتيع المناطق الصحراوية بحكم ذاتي، شرط توفير ضمانات الثقة.

عند القيام بتصميم النموذج الملائم للمرحلة والقضايا المطروحة، لا بد من الامتداد عبر حدود الممكن والمتاح نحو تصورات مبتكرة لمخارج الحلول، وفي قضية الصحراء المغربية بشكل خاص لا بد من الاعتماد على كفاءات المنطقة لاستجلاء الحدود الممكنة التي قد يمنحها الواقع المحلي والدولي، وهنا نقول إن حسناء أبوزيد استندت، في ممارستها للدبلوماسية الموازية كبرلمانية وقيادية يسارية، على مكانة عائلتها التي دافعت عن حدود الدولة المغربية وسيادتها عندما ناهضت الاحتلال الإسباني.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

من الصحراء وإليها

سعدي الكعبي
رسام الكائنات التي تسافر إلى الغد

فاروق يوسف
كاتب عراقي

حين يمزج الفنان أسلوبه والتقنية التي يستعمل من خلالها مواده في التعبير عن إخلاصه لبيئته المحلية فإنه يصل إلى نتائج جمالية، يحق له من خلالها أن يكون على يقين من أنه لم يعد أسير ما تعلمه من تجارب الآخرين أو فنون الأمم الأخرى وصارت تجربته بمثابة عنوان لما يمكن أن يُسمى بالفن الوطني.

يرى بعيون الموتى

ذلك ما يجعل الفنان العراقي سعدي الكعبي ينظر إلى تجربته بقدر عال من الاعتزاز، وهو ما دفع لجان التحكيم في الكثير من الملتقيات الفنية العالمية التي اشترك فيها إلى أن تنظر إلى أعماله باعتبارها ذات خصوصية تنبعث من داخلها فكان "حاصد جوائز" لم يظهر في تاريخ الفن العراقي الحديث مثيل له في ذلك المجال.

تمثل الكعبي بيئته الصحراوية من خلال أسلوبه الذي كان استلهاما للصمت العميق البليغ في قدرته على الإلهام ومن خلال تقنيته التي كان الرمل المادة الأساسية فيها. ذلك ما جعل كائناته، مجهولة الهوية كما لو أنها تنبعث من سراب. إنها كائنات محتملة لا علاقة لها بالواقع.

فن الكعبي هو خلاصة لقاء منسجم بين التجريد والتجسيد. ذلك مثالي في استبعاد أي مسافة بين الأسلوبين. وهو ما يشجع على النظر إلى رسومه بطرق مختلفة وفق طريقة المتلقي في النظر إلى العمل الفني وما يرغب في رؤيته

وليس من اليسير الحكم على تلك الكائنات من جهة وجودها العبثي فهي تحضر مثقلة بالأسئلة. أسئلة تتعلق بالوجود اللانهائي. ذلك ما يعد إرثا شخصيا بالنسبة لابن مدينة تضم أكبر مقبرة في العراق. الكعبي يرى بعيون الموتى ما لا تتمكن عيون الأحياء من رؤيته. ولأن الكعبي هو سيد كائناته فقد رافقته في مختلف مراحل حياته.

فالفنان الذي بدأ انطباعيا ووصل بتجربته الفنية إلى حافات التجريد كان حريصا على أن يطور تجربته من داخلها هو ما وهبه وقتا طويلا للإنصات إلى أصوات كائناته التي هي أصوات الصمت.

سيد الجمال بقلته

قبل سنوات وفي آخر مرة التقيته بعمان حدثني بشغف عن حديقة بيته في مهجره في الولايات المتحدة وحين التقط في عيني نوعا من الأسى صمت وقال لي "أعرف يا صديقي أنها ليست بجمال الصحراء". كنت أعرف أنه يتسلى في مهجره مع كائناته مثلما يفعل الأطفال.

ولد الكعبي في النجف عام 1937. تخرج من معهد الفنون الجميلة عام 1960. انضم إلى "جماعة الانطباعيين" وهي الجماعة التي تأسست في الخمسينات وتزعمها الفنان الرائد حافظ الدروبي. درس الرسم في المملكة العربية السعودية بضع سنوات. وعمل في مجال "الديكور المسرحي" وصمم خلفيات لعدد من المسرحيات العراقية. ترأس جمعية الفنانين التشكيليين، وأقام معارض شخصية في بغداد والكويت وبيروت وكاليفورنيا كما شارك في بينالات فنية ونال الجائزة الذهبية في عدد منها "بينالي دكا" "بينالي الكويت" مهرجان "سور مير" في فرنسا. أسس نادي الفنون التشكيلية العراقي. ونفذ جداريات في عدد من الأماكن العامة بالعاصمة العراقية.

ظهوره في العقد الستيني لم يدفعه إلى الانخراط في الجماعات الفنية الستينية وظل مخلصا لمعلمه وصديقه حافظ الدروبي.

يتميز عالم الكعبي بتقشفه وزهده واختزاله بما أغنى قدرته على أن يثبت أن القليل يمكنه أن يخلق جمالا كثيرا. غير أنه من المؤكد أيضا أن الكعبي الذي لا يظهر شغفه بالألوان علنا ينتج عالما خفي الألوان، يتسلل بهدوء وخفة إلى العين من غير أن يمارس أي ضغوط صاخبة عليها. فهو يعالج أصباغه بسرية لكي لا تتحدى اللون الأساس الذي يجعلها قريبة من عالم الصحراء. ولأنه أضفى حساسية من نوع خاص على السطح من خلال ملمسه الخشن فقد كان رائدا في مجال صناعة السطح بالاستعانة بمادة مستعارة من الطبيعة هي الرمل وهي المادة التي فُتن بسحر تجلياتها البصرية. يعيده الرمل إلى مدينة طفولته النجف التي تطل على الصحراء وإلى السنوات التي قضاها في الجزيرة العربية. يقف الكعبي في أسلوبه بين التجسيد والتجريد. فهو لا ينظر إلى كائناته باعتباره رساما تشخيصيا يحرص على إظهارها في حدود صفاتها الواقعية، كما أنه من جهة أخرى ليس رساما تجريديا خالصا يسعى إلى الوصول إلى طريقة في النظر تستمد قوتها من موجز الأشياء المرئية.

يختزل الكعبي ما يراه على هيأة رموز تعيده إلى ما يتذكره. وهو مسعى يُقام على أساس مجرد. ذلك لأنه يستمد قوته من "المثال" الذي يجتهد في خلقه، مستخرجا دعائمه من تأثير قوتين. الذاكرة وملمس السطح. وحين يتعلق الأمر بالذاكرة فإن كل شيء يبدو قابلا لإعادة النظر وهو ما يعني الاعتراف بسلطة الوهم أما حين يتعلق بملمس السطح فإنه يعيدنا إلى حضور الأشياء باعتبارها وقائع تنهمك الحواس في التعرف عليها.

لذلك فإن فن الكعبي هو خلاصة لقاء منسجم بين التجريد والتجسيد. ذلك مثالي في استبعاد أي مسافة بين الأسلوبين. وهو ما يشجع على النظر إلى رسومه بطرق مختلفة وفق طريقة المتلقي في النظر إلى العمل الفني وما يرغب في رؤيته. فإن كان يميل إلى التجسيد فإنه سيرى تلك الكائنات كما لو أنها تحضر مغطاة بغبار سفرها الطويل وإن كان مولعا بالتجريد فإنه سيراها باعتبارها رموزا لأفكار قُدر له أن ينصت إلى صمتها.

ليست صدفة أن يقيم الكعبي معرضا في عمان "دار المشرق" بعنوان "خطاب الصمت". ذلك لأن الصمت هو حيلته التي يمرر من خلالها أفكاره عن حياة عاشها بطريقة استثنائية. فهو على المستوى الشخصي كائن اجتماعي ناعم غير أنه في المقابل يمكن أن يقاوم بخشونة كل ما يعتقد أنه يخترق نزاهته الشخصية. رسام يفكر حين الرسم بنزاهة كائناته.

صانع الغربة في غربته

قيل عنه إنه رسام اللوحة الواحدة. بمعنى أن لوحاته تتشابه. وهو حكم غير صحيح. رهانه على الصحراء لم يكن خاسرا. ذلك لأن الصحراء ليست مكانا ضيقا. وهو ما أثبته من خلال لوحاته التي تعالج موضوعا واحدا. موضوعا لم يغادره منذ خمسين سنة.

قاوم الكعبي بطريقته الخاصة. لم يتغير إلا بما ينسجم معه مزاجه الثقافي. إنه شخص يضع خبرة حياته في خدمة فنه. لا تؤثر فيه الأمكنة الجديدة التي ينتقل إليها كثيرا وليس مطلوبا منه أن يفعل ذلك. فهو لا يغادر لحظة إلهام أبدية. وهي اللحظة التي تعرف من خلالها على الرسم باعتباره وسيطا سحريا بينه وبين العالم. لقد رأى العالم ذات مرة جميلا. وهو في كل مرة يحاول الرسم يستعيد تلك اللحظة التي كان فيها العالم جميلا. لذلك نتعثر في رسومه بأحجار الاستفهام والحيرة وسوء الفهم والرغبة في أن يحدث شيء مختلف. فالرسام يقودنا إلى مناطق يعرف وحده أن العالم كان فيها جميلا وهو ما تستعرضه رسومه غير أنها لا تقوم بذلك إلا بعد أن تقنعنا بأن القبول بغربتنا هو الحل لمشكلاتنا الوجودية.

الكعبي يمارس من خلال رسومه تأثيرا وجوديا على متلقيي تلك الرسوم بحيث يجعلهم يصدقون بأنه عاش حياته كلها غريبا.

واليوم إذ يعيش الكعبي في بلاد أخرى، أظنه ينظر إلى غربته بطريقة أخرى. غير أن ما أنا على يقين منه أنه لن يكون غريبا عن أعماله. ذلك لأنه لم يسجل في تلك الأعمال فكرته عن العالم بقدر ما كان منهمكا في التفكير في غربته من خلالها. كانت حيلته لكي يستمر حيا. لقد حمل الصحراء معه باعتبارها سره الوحيد.

لجان التحكيم في الكثير من الملتقيات الفنية العالمية تنظر إلى أعمال الكعبي باعتبارها ذات خصوصية تنبعث من داخلها، بينما بتعامل معها هو بالكثير من الاعتداد

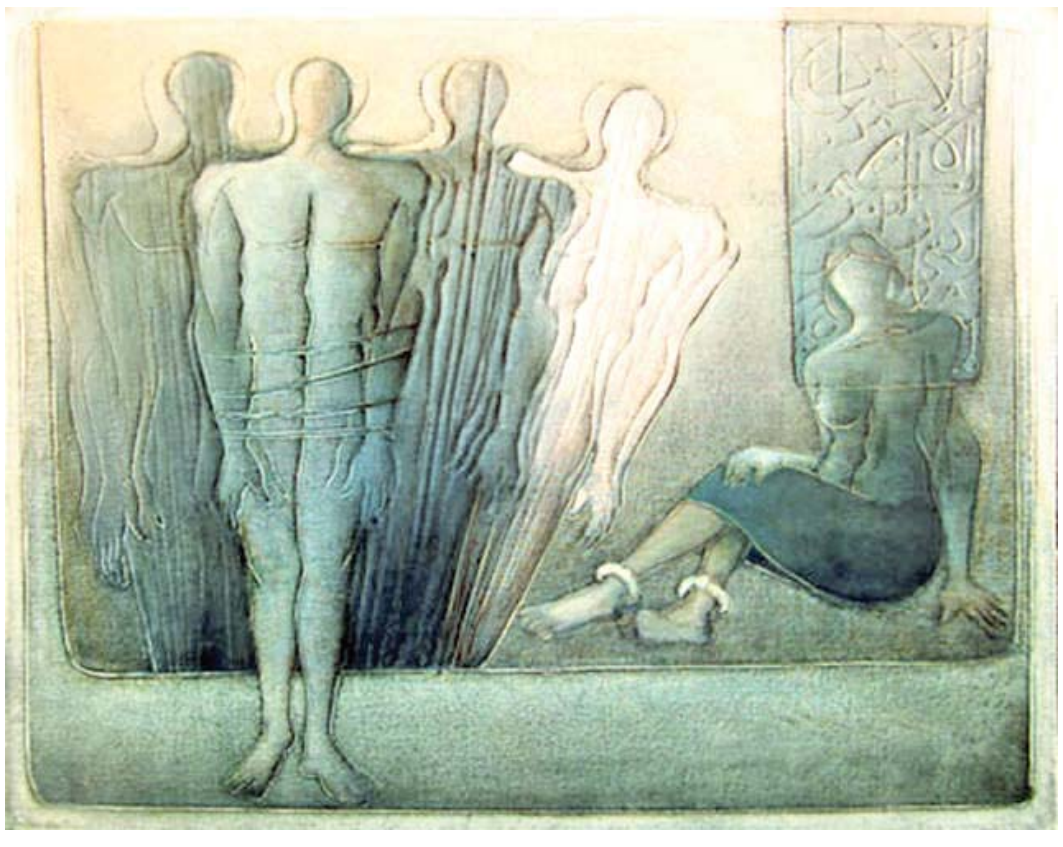

العرب الثقافي
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

هكذا تكلمت الآنسة نظيرة زين الدين في بيروت

فتاة شامية في العشرينات تثير ضجة في الحياة الثقافية العربية بخطابها التحرري

نوري الجراح
شاعر سوري

عندما نشرت نظيرة زين الدين كتابها "السفور والحجاب" في بيروت سنة 1928 لم تكن تجاوزت الثلاثين، من عمرها، من هنا نجد في خطابها الذي سرعان ما انقسم الرأي العام العربي من حوله، لهجة تتسم بجرأة لم تسبقها إليها كاتبة في بلاد الشام، وهي لم تطلب الحرية لنفسها وبنات جنسها وحسب، بل وطلبتها للرجل عندما اعتبرته أسير أوهامه، مستهدفة في خطابها النسوي الذهنية العامة السائدة في مجتمع شرقي ذكوري النزعة والقيم، وقد فعلت ذلك بوجد وتحدّ، وبرغبة عارمة وإيمان خالص بأحقية دعوتها، مستنهضة المرأة ومطالبة إياها بنزع حجابها ورفع صوتها طلبا للحرية، ونيل الحق بالتغيير.

كتاب نظيرة زين الدين الذي قيض له أن يهزّ العالم العربي حمل عنوان "السفور والحجاب- محاضرات ونظرات مرماها تحرر المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الإسلامي". مؤلفته كانت ابنة لشخصية قانونية هي سعيد زين الدين الذي شغل في ذلك الوقت منصب الرئيس الأوّل لمحكمة الاستئناف في الجمهورية اللبنانية، والكتاب مهدى إليه. وقد تألف من خمسة أقسام وعناوين كثيرة اندرجت تحتها موضوعات أثارت مجتمعة قضايا تتصل بحقوق المرأة وحريتها ومكانتها الاجتماعية، وأحوالها المتأخرة في ذلك الزمن، والدعوة إلى التجديد والالتحاق بالمدنية الحديثة.

تطرقت نظيرة زين الدين إلى مسائل الحرية والحق والشرع والدين والعقل، بوعي نقدي لافت، وقدمت ما اعتبرته نوعين من الأدلة على وجوب تحرر المرأة ومساواتها بالرجل: الأدلة العقلية والأدلة الدينية، ورأت تداخلاً بين هذه وتلك، لأن الدين والعقل متآزران متضامنان في الحق لا يفترقان. وساقت في كتابها آراء مضادة لتحرر المرأة فندتها وعلقت عليها، ورفضتها. واتسمت لغتها بالبساطة والوضوح ولم تغب عنها الفصاحة، بل إن الخطاب الذي بلورت فيه نقدها اللاذع للذكورية المجتمعية احتفظ بنبرة أدبية رائقة. ولقد تميز خطاب الكاتبة بالقدرة على الإقناع، حيث أنها استقطبت لدعوتها الانصار من حيث جلبت على نفسها الأعداء، الذين ما لبثوا أن اشتبكوا في ما بينهم في سجالات استمرت زمناً طويلاً، وهو ما حدا بها لاحقاً إلى جمع مادة السجال واستعراضها والردّ عليها في كتاب آخر أطلقت عليه اسما متحدياً هو "الفتاة والشيوخ" جدد بدوره الضجة التي أثارها كتابها الأول. وقد شارك في تلك السجالات كبار الشعراء والمفكرين والكتاب وعلماء الدين العرب في القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت، ممن طبقت شهرتهم الآفاق وسادت أقلامهم في النصف الأوّل من القرن العشرين.

***

واحدة من أبكر المحاولات، ولعلها الأبكر، في استعادة هذا "السفور والحجاب" من التعتيم والنسيان، في إطار مشروع ثقافي عربي للكشف عن الأعمال والشخصيات المؤسسة لدعوة تحرير المرأة في الثقافة العربية تمت على صفحات مجلة "الكاتبة" التي صدرت في مطلع العشرية الأخيرة من القرن العشرين.

> **تطرقت نظيرة زين الدين إلى مسائل الحرية والحق والشرع والدين والعقل، بوعي نقدي لافت، وقدمت ما اعتبرته نوعين من الأدلة على وجوب تحرر المرأة ومساواتها بالرجل: الأدلة العقلية والأدلة الدينية**

وقد أثار نشر المجلة لنماذج من كتابات نظيرة زين الدين إلى جانب أعمال كوكبة من الكاتبات والكتاب ممن تصدرت أسماؤهم الدعوة لتحرير المرأة، انتباه القراء العرب الذين اكتشفوا في ما أعادت "الكاتبة" نشره وتسليط الضوء عليه من نصوص وأعمال مجهولة، نماذج وأسماء وسّعت بحضورها المتجدد رقعة مؤسسي خطاب تحرير المرأة في أذهان القراء، وأعادت إحياء أسماء أساسية في ذاكرة الثقافة العربية المعاصرة.

***

وبالعودة إلى تجربة نظيرة زين الدين، فإن السؤال الذي ظل يشغلني إثر حصولي، سنة 1993 على نسخة من الطبعة الأولى لـ"السفور والحجاب" المحفوظة في مكتبة سانت أنتوني في جامعة أكسفورد، هو عن أسباب إهمال الكتاب فلم تظهر منه إلى النور حتى مطالع التسعينات سوى طبعة واحدة، على الرغم من كل ما أثاره الكتاب من جدل في المراكز الأساسية للثقافة العربية؟ فهل كان يكفي الانتصار المؤقت للسفوريين على الحجابيين بدءاً من الثلاثينات، حتى تضرب الثقافة العربية صفحاً عن الكاتبة وكتابها وتتركه يؤول الى النسيان؟

الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى بحث مستفيض ليس في سيرة الكاتبة، وحسب، وإنما في الوقائع والصراعات المجتمعية والسياسية والتحولات التي عرفتها المنطقة في ظل الانتدابين الفرنسي والبريطاني في العشرينات والثلاثينات من القرن الماضي، وتمكن الإشارة هنا إلى بعض النشاطات الثقافية التي جرت في ظل الانتداب ونشطت من خلالها النساء العربيات المطالبات بحريتهن في مصر والشام. وهو ما يفسر الاتهام الذي وجهه أحد المثقفين التقليديين اللبنانيين -مصطفى غلاييني- للكاتبة وكتابها، بقوله إن "السفور والحجاب" هو كتابهم. ويقصد أنه كتاب وضع بوحي وتشجيع مباشرين من القوى الناعمة للانتداب، بقصد اختراق المجتمعات الشرقية المسلمة فكرياً وخلخلة قيمها عن طريق استقطاب النساء وجعلهن يتبنين قيم الغرب الاستعماري، ويرتبطن بمنظومة الأفكار الغربية.

هنا قطوف من كتاب "السفور والحجاب" حول مسألتي "الحجاب" و"حرية المرأة"، أخلي لها ما تبقى من مساحة هذه الكلمة.

(غرافيك «الجديد»)

قول في الحرية

كذلك هي الحرية أيها السادة، إنها منبع الخير للإنسان، وأساس رقيه الأخلاقي وكماله الأدبي إذا هي بنيت على التربية الصحيحة، هي التي ترفع عقل المرأة وتزيده نماءً وتثقيفاً، وتفهم المرأة معنى الشرف وطرق حفظه، وتحيي فيها عاطفة الثقة بنفسها، وتحمل الرجال على احترامها، يجب أن نعلم كما يعلم سائر الناس أن استقلال النساء كاستقلال الرجال، يحلّق بالنفوس إلى ما فوق، ويبعدها عن مواطن الزلل.

يجب أن نعلم، أن استقلال الإرادة أهم عامل في نهوض الرجل، فلا يكون له في نفوس النساء إلا مثل ذلك الأثر الطيب.

يجب إطلاق المرأة وتحريرها، وإيقاظ ضميرها الذي خدره الخدر، وأنامه النقاب والحجاب، وجعل ذلك الضمير المستيقظ الحي متولياً بنفسه محاسبة صاحبته على جميع أعمالها، ومراقبة حركاتها وسكناتها، فهو أعظم سلطاناً وأوقى يداً من سيدي الرجل.

***

يجب أن يعرف سيدي الرجل أن العبودية، وهي مصدر الذل والخمول والجمود، لن تكون أبداً كما قال بعض الحكماء مصدراً للفضيلة، ومدرسة لتربية النفوس على الكبر إلا إذا صح أن يكون الظلام مصدراً للنور، والموت علة للحياة والعدم سلماً للوجود.

***

لا نستطيع أردنا أم لم نرد أن نقف حاجزاً في سبيل تيار النهضة الحديثة وما تتحفنا به من آراء جديدة في العلم والاجتماع.

***

يدلنا التاريخ، أن قوى الكون القاهرة، ما استطاعت إيقاف شمس الحرية عن الشروق، متى حانت ساعته، إنه ليس من قوة في الأرض تمنع الحرية أن تشمل هذا الكون بنورها الساطع كما يشمل نور الشمس هذا العالم. ولكن، كما أن الشمس، لا تشرق دفعة واحدة على العالمين، بل تتناول الجبال أولاً ولا تهبط أشعتها إلى الأودية إلا بعد أن تصل إلى أعلى العرش، كذلك شمس الحرية، تشرق في أوّل الأمر على النوابغ والمفكرين والفريق الراقي من البشر، ثم يضيء نورها الفريق الآخر الجاهل متى بلغت قمة العرش، وإنه لسعيد ذلك النابغ المفكر الذي يستنير قبل غيره بنور الحرية الساطع، هذا النور الذي ينعش العقل والفكر والاجتماع، بما يحدثه من تجدد، وهو من مظاهر الحياة، خلافاً للجمود، وهو من مظاهر الموت.

***

كفى الشرق جموده، وموت روح الحرية والاستقلال فيه، وكفى الشرقيين حرمانهم حرية التفكير التي هي أساس كل نهضة، بل كفاهم أنهم يمشون على منهاج آبائهم لا يتطوّرون ولا يتجددون، ما دامت الأرض أرضاً والسماء سماء. إنهم هم الخاسرون.

***

يا سيدي الرجل القوّام على النساء، إن كل حكومة هي قوّامة على الشعب، وقد طالما ادعت الحكومة في الأدوار المظلمة أن سلطانها مستمد من قوتها أو من الله، ولكن، ما هي إلا حقبة من الزمان حتى سقطت دعواها، وانهارت صروح مجدها، وتدحرجت تيجان أصحابها، وأكرهت على التسليم بأن الشعب قوّام عليها، كما هي قوّامة عليه، فحفظت الموازنة، وبطل الاستبداد، وسادت الحرية والعلم، ونكمل الأدب، وسعدت العيلة، والمجتمع البشري.

***

يا سيدي الرجل، إن الرقي والأخلاق في الحكومات المستبدة الغاشمة المستعبدة شعوبها أحط منها جداً في الحكومة الحرة العاقلة، كان يقال إنما العاجز من لا يستبد، فأصبحنا اليوم، وكل يخجل من أن يوصم بالاستبداد، لأنه ينافي العدل والمروءة، ينافي العقل والمصلحة، والأدب والاجتماع.

يهم الحكومة المستبدة أن تقبض على رقاب الناس، فتقيد حرياتهم وتخفت أصواتهم وتكسر أقلامهم لتأمن.

***

يا سيدي الرجل، إن القول بوجوب بقاء المرأة عندنا على حالها من الجمود، وحجبها وحبسها دون تبديل ولا تغيير، خروج عن سنّة النشوء والارتقاء، ولا يصح القول إن حق الارتقاء من حال إلى أصلح منها، مختص بالرّجل وحده فقد قال أحد الفلاسفة: أما آلاّ يكون حق لأحد الناس، أو أن يكون لكل فرد حق مساو حق الآخر، ومن جرّد غيره عن حقه، فقدّ داس بقدمه حق نفسه.

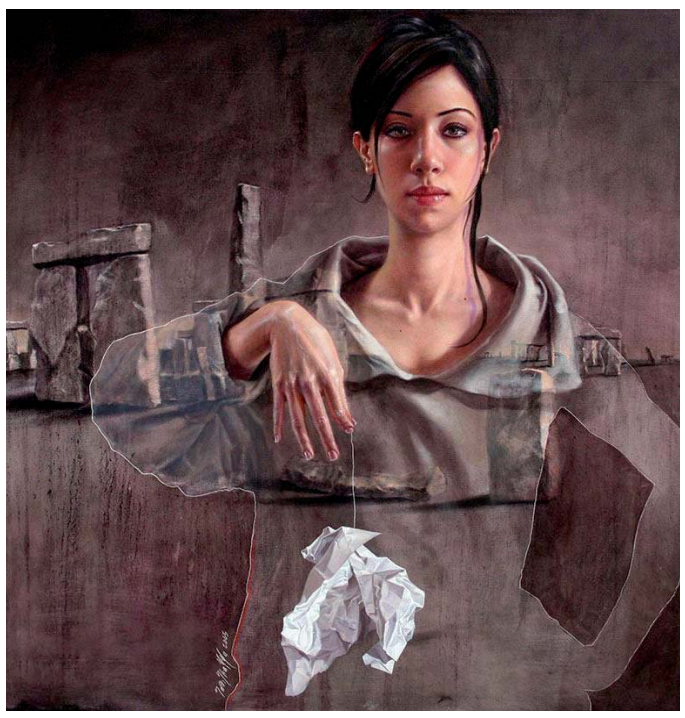

لوحة للفنانة سارة شمة

التراث الشعري هو الأقدر على تمثيل الروح العربية

المستعرب البولوني مارك. إم. جيكان: الأدب العربي أثر في الأدب البولوني منذ القرن 17

مارك.إم.جيكان: الشعر العربي أكثر تمثيلا لروح الثقافة العربية من كتاب ألف ليلة وليلة

يعتبر البروفيسور مارك جيكان (مواليد بولندا 27 مارس 1965) واحدا من ألمع النمستشرقين البولونيين، فهو باحث ضليع بالثقافة العربية، أستاذ العلوم الإنسانية في جامعتي وارسو و"ووج" في بولونيا. وهو مؤلف ومترجم للعديد من الأعمال التاريخية والنقدية في الثقافة شعراً ونثراً وتاريخاً للظواهر الأدبية. ويشغل منصب رئيس قسم دراسات الشرق الاوسط وشمال أفريقيا في جامعة ووج/بولونيا.

متخرج قسم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة وارسو (1988). حاصل على الدكتوراه في الأدب العربي (1992). ألقى عدة محاضرات في ألمانيا، التشيك، سوريا، الجزائر، ليبيا شارك في العديد من المؤتمرات في ألمانيا، ليتوانيا، سويسرا، إيطاليا، لبنان، المجر، الكويت.

اهتماماته الرئيسية تجلت في بحوثه ودراسات وترجماته في تاريخ الإسلام، تاريخ الثقافة العربية والأدب العربي، الإسلام في العالم المعاصر، الفكر العربي المعاصر، العادات والتقاليد العربية.

من مؤلفاته المختارة (باللغة البولونية): السحر عند العرب قبل الإسلام (1993)، قس بن ساعدة الإيادي (1996)، الرموز العربية الإسلامية (1997)، تاريخ العراق (2002)، العراق: الدين والسياية (2005)، الحضارة الإسلامية في آسيا وأفريقيا (2007)، تاريخ الثقافة العربية (2008)، في الفكر العربي المعاصر (2011)، أحمد الناصري–المغرب في القرن 19 في كتاب الاستقصا (ترجمة وتعليق) (2018).

ترجماته الشعرية تمحورت حول الشعر العربي القديم، والنثر الكلاسيكي العربي.

وله ترجمات شعرية معاصرة من العربية إلى البولونية منها لشعراء عرب إما مقيمين في بولونيا كهاتف الجنابي، وخلود شرف، أو ممن هم معروفون كأدونيس.

يرأس جيكان جمعية الاستشراق البولونية وجمعية العلوم السياسية في بولونيا. ويرأس تحرير حولية الدراسات الشرقية.

خلود شرف
كاتبة سورية مقيمة في بولونيا

يصلح هذا الحوار مع البروفيسور جيكان إلى ان يكون مدخلا تعريفيا ممتازا لصورة الأدب العربي قديما وحديثا في مرآة الثقافة البولونية. وهو يقدم لقارئ العربية معلومات تسمح بتكوين فكرة ممتازة عن طبيعة الاستشراق البولوني ومديات اختلافه عن الاستشراق في أوروبا الغربية. كما ويعطي فكرة عن الاهتمامات الأدبية المعاصرة لهذا الاستشراق، من خلال النماذج التي قام المترجمون البولونيون باختيارها من الأدب العربي الحديث وتقديمها لقرّاء البولونية.

● **الجديد:** بداية هل لك أن تعطينا فكرة عن تاريخ الاستشراق البولوني، لا سيما الدراسات والدارسين للثقافة العربية من بين الثقافات الشرقية، بم يتميز عن الاستشراق الأوروبي الغربي والاستشراق الروسي، وأنت اسم لامع في هذا المجال؟

■ **جيكان: يرجع تاريخ الاستشراق البولوني بمعناه العلمي إلى القرن التاسع عشر، وبولونيا لم تكن موجودة في خريطة العالم لأنها كانت مقسمة بين القوى السياسية الأوروبية العظمى وهي روسيا وبروسيا والنمسا. رغم ذلك كانت هناك مجموعة من الناس الذين اهتموا بالشرق العربي الإسلامي. وأهم المراكز العلمية في مجال الاستشراق كانت آنذاك جامعة فيلنيوس (حاليا في لتوانيا). هناك اشتغل المؤرخ يواخيم ليليفيل الذي شجع بعض طلابه على التعمق في الثقافات الشرقية، ومنها العربية. بسبب عدم وجود بولونيا كدولة مستقلة آنذاك فإن عدداً من المستشرقين البولونيين في ذلك القرن اشتغلوا في الجامعات الأوروبية المختلفة منها الروسية والألمانية والفرنسية والنمساوية، وهم ساهموا في بناء الاستشراق في هذه البلدان.**

استقلت بولونيا في سنة 1918. ومن هذه النقطة يمكن أن نتحدث عن الاستشراق البولوني المعاصر. وأب الدراسات العربية في بلدنا هو تاديوش كوفالسكي، مؤسس قسم الاستشراق في جامعة ياغيلونسكي في كراكوف عام 1919. والمركز هذا قائم الى يومنا هذا. بعد كراكوف أسس زيغمونت سموغوجيفسكي في سنة 1924 معهد الاستشراق في جامعة لفوف (حاليا في أوكرانيا). وفي سنة 1932 تم إنشاء معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو، ولكن دون الدراسات العربية التي تأسست في سنة 1958 على يد يوزف بيلافسكي. وحاليا قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو هو أكبر المراكز العلمية في هذا المجال في بلدي.

تشمل البحوث العربية في بولونيا كل مظاهر الحضارة العربية منها اللغة العربية والتاريخ والإسلام والأدب والفن. وإلى جانب وارسو وكراكوف هناك عدد من المراكز الصغيرة في مجال الدراسات العربية في كل من بوزنان، ووج، تورون وبيدغوش. والدراسات الشرقية في بولونيا تختلف عن الدراسات في هذا المجال في البلاد الغربية بعدم وجود خلفيات سياسية. فبولونيا بلد صغير وليس له تاريخ استعماري، ويأتي الاهتمام بالشرق عندنا من الرغبة العلمية البحتة، ولا نقصد بدراساتنا التأثيرات السياسية على الشرق عربيا كان أو هنديا او غيره.

انطواء ثقافي

● **الجديد:** هل توافق على التوصيف الذي يقول إن الوضعية الثقافية لبولونيا تبدو وضعية منعزلة أو منكفئة على نفسها بعض الشيء، قياسا إلى الانفتاح الذي يميز الثقافات الأوروبية الأخرى، لاسيما الفرنسية والألمانية والإنكليزية، وهل ترد ذلك، لو صح، إلى تاريخ مضطرب وعصيب وربما يمكن وصفه بالمأساوي لبولونيا، كيف تُستقبل الثقافة العربية أو المعروف منها في مجتمع الثقافة البولونية في ظل وضع كهذا؟

■ **جيكان: نعم هو بلد منعزل على نفسه بعض الشيء وأهم الاسباب لهذا "الانعزال" كما وصفتُ وضع ثقافتنا، هو اللغة. ولكن في رأيي أن الانعزال هذا قائم من نقطة النظر العربية وليس العالمية، فمثلا بين فائزي جائزة نوبل في الأدب هناك 4 كتاب بولونيين، فماذ نقول بالمقارنة بالأدب العربي وهو اقدم وأكبر؟ ولكن في البلاد العربية هناك حقيقة وجود عدم اهتمام بثقافتنا. وأنا متأكد أن هذه الحالة هي نتيجة الدور المتواضع لبلدي في السياسة العالمية. والغريب بالنسبة إليّ أن العرب يحتفون قبل كل شيء بثقافات مستعمريهم السابقين (اقصد بريطانيا، فرنسا وأميركا) ولا يهتمون بالثقافات الاخرى ومنها البولندية والألمانية أيضا على سبيل المثال أو السويسرية.**

الشعر والمستشرقون

● **الجديد:** أنت متخصص في الشعر العربي القديم على ما أظن؟ ما الذي حملك على تعلم اللغة العربية والخوض في الثقافة الشعرية العربية القديمة؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى ما الذي اكتشفته شخصياً في هذا الشعر، ما هي الميزات التي يتوفر عليها ولا يتوفر عليها شعر أمّة أخرى؟

■ **جيكان: بدأ اهتمامي بالثقافة العربية عامة من خلال اطلاعي على ترجمة المعلقات السبع الجاهليات التي صدرت باللغة البولندية في بداية ثمانينات القرن الماضي. اكتشفت في هذا الشعر –وأنا مهتم بالشعر بشكل عام وأيضا شاعر شاب في ذاك الوقت– عالما جديدا لم أتوقع وجوده. الصور الفنية الجديدة والاستعارات الجديدة وبعض معلومات عن واقع العالم العربي في ذاك الوقت والتي شرحها المترجم وهو الاستاذ يانوش دانتسكي دليلي في متاهات الثقافة العربية في المستقبل.**

وقد كتب المترجم عن جمال اللغة العربية وبأن من غير الممكن الفهم الحقيقي للشعر العربي من دون معرفة اللغة التي فيها البيان والسحر. هذه هي الأسباب الرئيسية التي ساقتني إلى قسم اللغة العربية في جامعة وارسو. والشعر والأدب بشكل عام مرآة الحضارة. وفي هذه المرآة نظرت للمرة الأولى إلى الحضارة العربية التي تعمقت فيها خلال دراستي في الجامعة تحت رعاية أساتذتي وهم بيلافسكي ودانتسكي وإيفا ماخوت–ميندیتسكا وكريستسنا سكارجينسكا–بوخينسكا ودانوتا ماديسكا الذين سلكت طريقهم فيما بعد.

وهذه الفئة من المستشرقين تشكل الجيل الثاني من الباحثين في الثقافة العربية إلى جانب تاديوش ليفيتسكي وماريا كوفالسكا وإنجي تشابكيفيتش وإنجي زابورسكي في كراكوف. أما الجيل الثالث فيشكله زملائي: كاتاجينا باخنياك، باولينا ليفيتسكا، مارتشين غروتسكي في وارسو، وألجبيتا غورسكا، باربارا ميخالاك–بيكولسكا، باربارا أوستافين وبشيميسواف تورك في كراكوف. أما الباحثون البولونيون من الأصل العربي فمن الجدير ذكر عدنان عباس، أحمد نظمي وهاتف الجنابي.

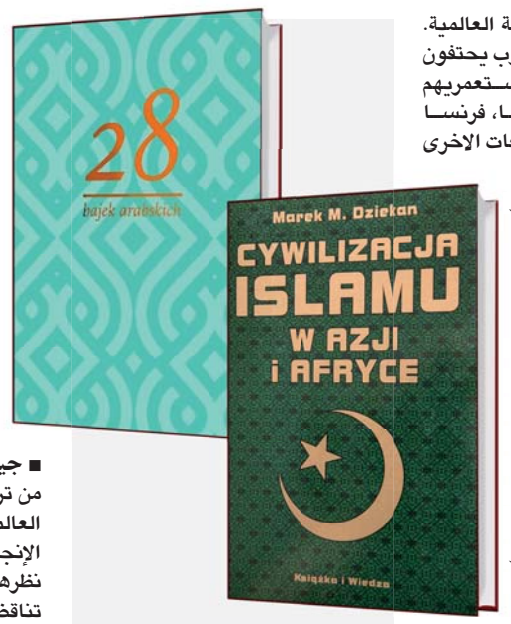

الأدب العربي بعيون غربية

● **الجديد:** ما هي الوضعية التي يشغلها الشعر العربي القديم بين كلاسيكيات الآداب التي أنجزتها الأمم الأخرى، وعندما يحضر ما العلامة التي يجرحها في أزمنة القراءة، وما الأثر الذي يتركه.

■ **جيكان: كل أمّة تبحث عن سبل لتجعل من تراثها الثقافي مؤثراً في الحضارة العالمية. وكل أمّة لها مجموعة من الإنجازات الحضارية التي هي في نظرها أهمّ من غيرها. وأحيانا هناك تناقض بين آراء هذه الأمة ورأي العالم فيها. فبصراحة في عيون الغرب أهم إنجازات أدبية للحضارة العربية هو كتاب "ألف ليلة وليلة" وليس شعر المتنبي أو أبي العلاء المعري.**

يؤلمني هذا الواقع كثيرا ولكن هذه هي الحقيقة المرّة. شهرزاد وشهريار أو سندباد البحري هم الذين أصبحوا رمزا للأدب العربي في الغرب، وهم الذين شكلوا رأي الغرب في الشرق العربي منذ القرن الثامن عشر وربما حتى الآن.

يمكن القول بدور الشعر العربي القديم في الثقافة الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في إطار التيار الاستشراقي في الادب الرومنطيقي، ولكن في الحقيقة أن هذه الظاهرة كانت هامشية وقصيرة الحياة، مرتبطة بالرحلات الرومنطيقية ومنها رحلة الى الشرق التي قام بها الشاعر البولوني الكبير يوليوش سلوفاتسكس (زار لبنان، فلسطين، سوريا ومصر، في الفترة ما بين 1836 و1837).

الأدباء البولون يأخذون بعض الرموز وأبطال ألف ليلة وليلة ويستلهمونها في أعمالهم. ونجد هذه الرموز والأبطال في أدبنا البولوني منذ القرن 17 تقريبا إلى يومنا هذا

عرب وبولونيون

● **الجديد:** من موقعك كمطلع على الشعر العربي، والثقافة المحيطة به، هل ثمة ما هو مشترك في التقليد الشعرية العربية والتقاليد الشعرية البولونية؟

■ **جيكان: للوقوف على العناصر المشتركة بين الشعر العربي والشعر البولوني من الضروري أن نرجع إلى الاستشراق الأدبي البولوني في القرن التاسع عشر. كما ذكرت آنفا كانت بولونيا في هذا العصر مقسمة بين القوى الأوروبية الكبرى، وكان البولونيون يشتاقون إلى الحرية. لهذا السبب أصبح الفارس العربي الحر رمزا لطموحات الشعب البولوني.**

لذلك نجد مثلا الشنفرى في شعر سلوفاتسكي المذكور (مثلا قصائد "الشنفرى") وفي شعر أكبر شعراء بولونيا آدم ميتسكيفيتش (ترجم عن الفرنسية الشنفرى والمتنبي). فأصبحت الحرية التي يشتاق إليها البولونيون تساوي حرية الصعاليك العرب في شبه الجزيرة العربية.

وبعد قرن ونصف تقريبا كتب الشاعر إنجي فاشكسفيتش قصيدة طويلة "المربد 7" التي يربط فيها الشاعر صور العراق زمن الحرب العراقية الإيرانية بما كان يتذكره من صور وارسو بعد انقلاب سنة 1944 ضد الألمان النازيين.

وهذه القصيدة أعتبرها شخصيا أهم إنجاز أدبي يعكس تفاعلا بين عالمين. وفي أعمال سلوفادسكي (إلى جانب القصيدة المذكورة سابقا "الرحلة من نابولي الى الأرض المقدسة" و"يوميات من الرحلة إلى الشرق" نثرا) وميتسكيفستش من القرن 19.

أثر الأدب العربي في البولونيين

● **الجديد:** ما هو نصيب الشعر العربي من الحضور في اللغة البولونية، أعني الشعر بصورة عامة قديماً وحديثاً؟

■ **جيكان: ذكرت فيما قلت سابقا بعض أسماء الشعراء البولونيين الذين تأثروا بشكل أو بآخر بجو الثقافة العربية، وأعتقد أنها أهم الإنجازات في هذا المجال. وذكرت أيضا كتاب ألف ليلة وليلة.**

ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغة البولندية لأول مرة في نهاية القرن 18 ومباشرة من العربية في سنة 1973 وقامت بالترجمة مجموعة من المستشرقين من كراكوف ووارسو برئاسة تاديوش ليفيتسكي. وأصبح هذا الكتاب المصدر الأول للشعراء والأدباء للرموز والقصص والصور الشرقية. فكان الأدباء يأخذون بعض الرموز وأبطال ألف ليلة وليلة ويستلهمونها في أعمالهم. ونجد هذه الرموز والأبطال في أدبنا منذ القرن 17 تقريبا إلى يومنا هذا.

وممن استفاد –شعرا ونثرا– من التراث العربي في القرن 20 مثلا: ياروسلاف أفاشكيفيتش (قصيدة نثر "العودة إلى بغداد")، بوليسواف ليشميان ("قصص سمسم"، "مغامرات السندباد البحري")، ماريا بافليكوفسكا–ياسنوجيفسكا، كورنيل ماكوشينسكي (مجموعة قصص "المغامرات العربية") يوزيف لوبودوفسكي (ديوان "القصائد والغزليات")، يانوش ماكارتشيك (الرواية "جعفر من بغداد")، هنريك شينكيفيتش (الرواية "في الصحراء وفي الغابة").

المقال والحوار في الصفحتين 10 و11 ينشران بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

كتاب خارج التصنيف

سرادقات سمير غريب في جديده السردي «خلود المحبة»

غرافيتي للفنان علاء عوض

ممدوح فراج النابي
كاتب مصري

عندما عرّف جورج لوكاتش الرواية بأنها جنس لم يتته، سمح هذا التعريف غير المؤطر بحدٍّ في دخول أنواع لصيقة وقريبة من جنس الرواية إليها. الغريب أن بعض هذه الأجناس، وتحديدا السيرة الذاتية، مع صرامة التعريفات والشروط التي وُضعت لها، هي الأخرى لازمتها هذه الصفة. لكن مع هيمنة السيرة الذاتية، التي أزاحت الرواية عن عرشها حتى أعلن البعض أن أطراد السيرة الذاتية معناه إعلان موت الرواية. فالسيرة الذاتية منذ النصوص التأسيسية الأولى عند القديس أوغسطين وجان جاك روسو في الاعترافات، وهي تصارع بين الصراحة والإخفاء، البوح والتصريح. لازمت هذه الصفة التي وصف بها لوكاتش الرواية، الجنس القريب منها السيرة الذاتية، فأبسط هذه التعريفات تقرّ بأنها سيرة حياة المرأة يكتبها عن نفسه. إلا أن كثيرا من الأعمال التي صدرت مؤخرا تأخذ فقط إطار السيرة الذاتية، دون أن تأخذ في اعتبارها شرائط السيرة الذاتية، والالتزام بالقيود التي حددها منظرو السيرة الذاتية، واعتبروها أشبه بمواثيق مغلظة بين كاتب السيرة وقارئها.

في الكتاب الجديد الصادر مؤخرا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب لسمير غريب بعنوان "خلود المحبة" 2019، يضعه المؤلف تحت إطار السيرة الذاتية أو "نثار من السيرة" وبتعبيره "نتفا من سيرة ذاتية ومدخلا وثائقيّا بما فيه من معلومات وصور فوتوغرافية وصور لخطابات شخصية تنشر للمرة الأولى".

الكتاب في حقيقة الأمر يكسّر الإطار التصنيفي الذي وضعته فيه هيئة الكتاب، حيث أشارت في بطاقة فهرسته إلى أنه قصص قصيرة، وهو يدفع إلى التساؤل عن لجان الفحص والقائمين على إخراج الكتاب، ما دورهم؟ وما هي مؤهلاتهم التي تجعلهم لا يفرّقون بين السيرة الذاتية والقصة القصيرة على سبيل المثال، فيقعون في هذا الخطأ ـ الفجّ؟ كما أن المتن ذاته يكسر حدود الإطار الذي وضعه فيه المؤلف نفسه بإشارته إلى أنه "نتف من السيرة الذاتية"؛ حيث احتوى الكتاب على قصيدة وقصتين قصيرتين، وهو ما يعود بنا إلى مفهوم الكتابة عبر النوعية الذي اقترحه إدوار الخراط في ما مضى.

جاء الكتاب في أربعة أقسام؛ يحمل كل قسم عنوانا مستقلا، كما أن كل قسم يتكوّن من وحدات سردية منفصلة أو لوحات مستقلة، بما في ذلك العناوين. لا رابط بين هذه الوحدات سوى الموت الذي يوحّد الجميع ويجعلهم يقعون في دائرة الاستعادة، والراوي الذي يقوم بالاستعادة، إضافة إلى قيمة الوفاء التي تسري وتوحّد بين جميع الوحدات. كما تتنوّع النصوص ما بين تخليد للبشر، والأماكن كشرم الشيخ وتشيلي ونقادة والمكسيك وباريس ومنفلوط. والأماكن تجمع بين المحلية والعالمية، وهو ما يشير إلى تساوي القيمة لديه في أهميتها فلا فرق بين نقادة التي تقبع في جنوب مصر، وباريس في حضارتها وتراثها الذي يجب أن يهتم به المسؤولون.

وكأن المحبة التي يوزّعها غريب لا تقتصر على البشر، بل تنفذ هي الأخرى إلى الأماكن والمدن، فيتحدث في نصوصه السردية عن شرم الشيخ وباريس ولبنان وكذلك دار الكتب والوثائق القومية القديمة في باب الخلق ومطعم جروبي بوسط البلد.

القسم الأول جاء بعنوان "فناء الجسد.. خلود الروح"، وهو عبارة عن سرادقات عزاء، أشبه بشهادات عمّن تتلمذ على أيديهم، أو رافقهم في رحلة العمل ويدين لهم بالولاء، ويستهل هذه المراثي العذبة بمرثية عن زوجته سمية التي ترك فراقها أثرا كبيرا في حياته، فيقدم مرثيته كنص استهلال بعنوان "خلود المحبة" وهو أشبه برسالة حبّ لزوجته التي توفيت في 2004، بثّها فيها شجونه وشعوره بالوحدة بعد غياب شريكة الحياة. فيقول لها "أنت لم تشته الرحيل عني يوما ولا أنا اشتهيت. رحلت عني رغما عنك فزاد وجودك معي والتصقت بك. تعرفين أنني تشبّثت بمركب الموت بجسدي كله حتى لا يأخذك مني لكنه – بالطبع – كان أقوى".

تأتي هذه الشهادات مع أنها في صيغة رثاء، وكأنّها تقدم إضاءات كثيرة عن جوانب الشخصية المرثية، سواء على المستوى الإنساني أو على المستوى العلمي، كما فعل مع أساتذته جلال الدين الحمامصي، وسمير سرحان، وجمال بكري، وعاطف العراقي الذي مات وهو واقف يؤدّي عمله تأكيدا لقيم العلم والإخلاص له.

الشهادات تأخذ في بعضها لوحات وصفيّة عن المكتوب عنهم، على نحو ما هو ظاهر في شخصية المطرب الشعبي "أحمد برين"، والذي وصفه بأنه "قبس من روح مصر"، وقدم إطلالة عن رحلته في الإنشاد. كما لا يتوقف السرد عند الجوانب الإيجابية، وإنما يقدّم قراءة واعية نقدية للكثير من الأعمال كما فعل مع لويس عوض، وبالمثل في قراءته لمقدمة كتاب "الآداب السلطانية" لأحمد محمد سالم.

الجزء الثاني من الكتاب هو أشبه ببورتريهات لأصدقاء أحياء، ومن ثم أسماه "وطن من المحبين" وفي واحدة من النصوص يقدّم استعراضا لمأساة الكاتب المسرحي، السيد حافظ، كاشفا عن حالة العوز التي يعانيها المبدعون، وتخاذُل وزارة الثقافة في الدفاع عنهم، وحمايتهم من عوائل الزمن.

مع كل ما قرأنا من لوحات سردية، عن أحياء وراحلين، نتساءل: أين السيرة الذاتيّة الخاصة بالمؤلف في الكتاب؟ في الحقيقة المؤلف لم يقدم سيرة بالمفهوم الكلاسيكي "سيرة حياة المرء يكتبها بنفسه"، أو "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص" كما هي عند الفرنسي فيليب لوجون، حيث يتحدث عن النشأة والزمن الكرونولوجي، متتبّعا المؤثرات التكوينية وغيرها.

يقدم سمير غريب كتابات أشبه بنتف من السيرة الذاتية، كما ذكر، حيث لا يقف بما يسرده عند شخصياته فقط، وإنما يوثق ما يكتبه بمعلومات وصور فوتوغرافية وصور لخطابات شخصية، وهذا التوثيق يتأتى في إطار المحبة التي قال عنها إن "كل نصوص كتابي هنا تعبّر عن محبتي لأشخاصها وأماكنها. وهل هناك أجمل وأنقى من المحبة؟ وهل هناك أكثر خلودا من خلود المحبة؟" ومن ثم فصورة سمير غريب تأتي أولا من خلال الآخرين، وكأنه يستقي ملامحه من مرآة الآخرين سواء أكانوا شخصيات أم أماكن، ارتبط بهم/ بها.

الجزء الخاص بسيرته الشخصية، أو تكوينه يأتي في نهاية الجزء الثالث المعنون بـ"تجوال"، ويقصر الحديث فيه عن حياته على ثلاث وحدات من مجمل سبع عشرة وحدة. أخذت الثلاث وحدات عناوين هكذا "يا لها من فرصة رائعة.. اجتماع العيدين: الميلاد والأضحى، وثورة 23 يوليو مرآة شخصية، والعيد الذي كان في منفلوط". ويقدم عبرها صورة مقتضبة عن نشأته في مدينة منفلوط التي قدمها الأب في رحلة عكسية، بعد الثورة، حيث تولّى مهام بياض أوّل مستشفى في المدينة، لكن رحلة الأب امتدت حتى وفاته في المدينة.

> الشيء المهم الذي يُحسب لمؤلفه، أنه كسّر مفهوم السيرة الذاتية الكلاسيكي، وأخذنا في أهاب كتابة جديدة تجمع بين الذاتي والموضوعي، دون أن تتخلى عن النطاق الذاتي، حيث يتناول الأحداث الكبرى والوقائع المهمّة من منظور شخصي

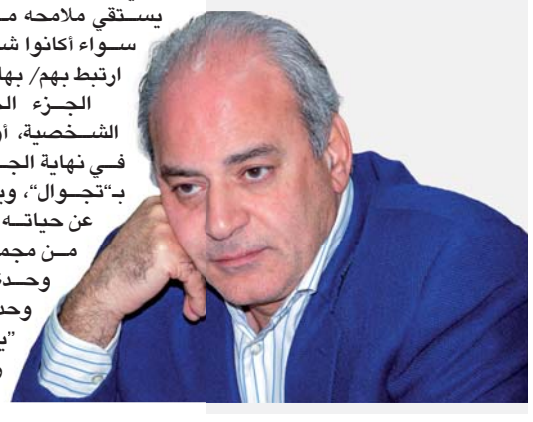

يستعرض بدايات تكوينه في مدرسة الشيخ الصيّاد، التي صار اسمها مدرسة التحرير بعد الثورة، الشيء المهم أنّ الراوي وهو يستعرض أجواء دراسته في الماضي، يقارن بما حاق التعليم في الوقت الراهن، ومع تغيّر الظروف والسياسات إلا أن المقارنة تنسحب للماضي، حيث المساواة التي لم تبدأ في ارتداء الطلاب الأغنياء والفقراء على حد سواء، مريلة موحدة مصنوعة من قماش التيل السميك.

يتخذ من أحداث ثورة يوليو مدخلا لاستعادة نشأته وطفولته في محافظة أسيوط بجنوب مصر، فيسرد عن التغيّرات الاجتماعية التي أحدثتها الثورة على الطبقة المتوسطة، فيتوقف عند دور الكُتّاب كبداية في سلم التعليم، وأيضا عند ما أحلّته الثورة من مفاهيم جديدة كالقومية العربية، والوحدة وقوانين الإصلاح الزراعي.

اللافت أن سمير غريب وهو يقلّبُ أوراق الثورة والماضي، لا يسهب في السرد دون أن يضع رأيه في الأحداث وما آلت إليه، فيعيد الأمور إلى نصابها دون مبالغة أو تهويل، فمجانية التعليم بدأها طه حسين قبل الثورة، وإن كانت الثورة استكملت مسيرتها في مرحلة التعليم الجامعي، وتبدّل النشيد الوطني، وفقا للأهواء السياسية وصولا إلى النشيد الحالي، الذي كتبه محمد يونس القاضي، يرى فيه نرجسية كبيرة رغم نبل المقاصد. ويقدّم في هذه الوحدة سردا تفصيليا بتطورات الغناء الوطني، بدءا من أغاني صلاح جاهين للثورة، وصولا إلى عبدالرحمن الأبنودي، ومن الغناء الجماعي كما بدا في أغنية الوطن الأكبر، وصولا إلى الحلم العربي. وعبر وصفه لحكاية موكب المحفل الذي كان يمرّ صباح كل عيد فطر، يسرد عن صورة من صور التآلف بين المصريين، ومشاركة الأُسر المسيحية في هذا الاحتفال.

تنبع أهمية هذا الكتاب من المواقع التي شغلها سمير غريب، فقد بدأ حياته العملية صحافيا في جريدة الأخبار، ثم تقلّد عدة مناصب بوزارة الثقافة، فشغل موقع رئيس صندوق التنمية الثقافية، ثم تولى رئاسة دار الكتب والوثائق القومية، وصولا إلى رئيس الجهاز القومي للتنسيق الحضاري ومدير الأكاديمية المصرية للفنون في روما. وجميعها مناصب تضعه في دائرة القرار، ومن ثم كنّا ننتظر أن يتطرق لحكايات من داخل هذه الدائرة، ولكنه اكتفى بالحديث عن علاقاته بأصدقائه ورثاء من رحلوا، دون أن يعطي للسيرة مفهومها المتداول في الغرب، حيث قائمة على الفضائح والخبايا التي لم يطلع عليها أحد.

لكن الشيء المهم الذي يُحسب لمؤلفه، أنه كسّر مفهوم السيرة الذاتية الكلاسيكي، وأخذنا في أهاب كتابة جديدة تجمع بين الذاتي والموضوعي، دون أن تتخلى عن النطاق الذاتي، حيث يتناول الأحداث الكبرى والوقائع المهمّة من منظور شخصي، وفي نفس الوقت يعمد إلى التقييم والمراجعة، فلا تأتي الأحداث كنوع من الاستدعاء والاسترسال في الذكريات، بقدر ما تأتي لتراجع وتقيّم، حتى في علاقاته بالشخصيات التي قدم مرثيات عنها، كانت الاستعادة بمثابة تجديد الوفاء لها، وتخليدها سواء بالكتابة وإظهار مآثرها، أو بالألبوم المصور الذي وزعه على الوحدات السردية، فالصور هي الأخرى كانت شاهدة على سياق ثقافي وتاريخي مهمّ أراد المؤلف أن يكون هو الآخر حاضرا، وعلى القارئ أن يستنطق ما وراء التواريخ والحوادث التي وثّقت لها الصور، والوثائق التي أوردها.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

قدم أوديب وكلام المرآة

معرض باريسي يحتفي بالفنان البريطاني فرانسيس بيكون ويكشف علاقته بالكتب الملهمة

أعمال فاخرة لفرنسيس بيكون

عمار المأمون
كاتب سوري

باريس – يصف الروسي ميخائيل باختين الجسد الغروتيسكي بأنه غير منتظم الحواف، فتحاته متداخلة، لا حدود واضحة بين داخله الدمويّ-السحريّ، وخارجه السياسيّ-الموضوعي، هو جسد لا ملامح ثابتة له، ولا يُحتَوى ضمن مقياس "نظاميّ"، هو ينشر الرعب، ويهدد تماسكنا الداخليّ، خصوصا أنه يراهن على القرف والمنحطّ والهذيانيّ، فهذا اللحم غير المُنضبط يقدم تصورا مختلفا لكيفية تحركنا في هذا العالم، هو بلا جلد يضبط الشكل ويحتويه، الأهم أن وظائفه متغيّرة، لا يحوي "أعضاء" واضحة، بل كيانات لحميّة تتغير وفق السياق الذي تظهر فيه، هذه الخاصيّة تجعله ينتمي إلى جماليات مختلفة عن تلك التي نألفها، ويشكل غواية فنية للبحث عن بدائل لعالمنا هذا، المتماسك، مضبوط الحواف، شديد الوظيفيّة.

يحتفي مركز بومبيدو في العاصمة الفرنسيّة بالفنان البريطانيّ فرانسيس بيكون، في معرض باسم "بيكون بكلّ آدابه"، ليكون الأول من نوعه منذ أكثر من عشرين عاما، ونشاهد فيه أعماله التي تمتد فترة إنجازها من عام 1971 إلى عام 1999، سواء كانت بورتريهات أو لوحات ذات مقاييس كبيرة، كما يحوي المعرض مختارات من مكتبته الشخصيّة، في محاولة لتعريفنا على بيكون القارئ النهم وكيفية تأثير الكتب على رؤيته الفنيّة وتكوينه الفكريّ، خصوصا أننا نشاهد شخصيات من عالم الأدب والفنّ في لوحاته التي تبدو أقرب إلى تعبير بصري عن الموضوعات الثقافيّة التي قرأها وجال عوالمها.

لحم بلا حدود

تظهر الأجساد في لوحات بيكون كأنها مازالت قيد التكوين، أو أثناء العجن قبل الخلق، فهي نتاج مجموعة من القوى الخارجيّة التي تكونها ضمن اللوحة، كما أن الجلد، أو الوعاء الذي يحتوي اللحم والأجهزة غير متماسك، ليبدو الجسد أشبه بكتلة قادرة على أخذ أشكال جديدة بحسب علاقتها مع العالم وما حولها، كما في الثلاثية التي أنجزها عام 1964، فسواء كان الجسد مستلقيا أو جالسا أو مضجعا هو غير منتظم، شهوانيّ، في ذات الوقت ذو كتل عضلية تمكننا من التنبؤ بحركته، هذه "الجسمانية" في لوحات بيكون تهدد متخيّلنا عن ذواتنا نحن المشاهدين، الذين نرى أجسادنا متناسقة و"مغلقة"، وهذا ما نراه في الثلاثيّة التي أنجزها عام 1973 المُرتبطة بموت صديقه جورج داير في الحمام في غرفة الفندق الذي كان فيه، فهو يتحوّل بين ميت وحيّ دون أن نعلم كيف ستكون "النهاية"، وكأننا أمام سلسلة من التصورات الآنية والمتداخلة للحم لا نمتلك تصوّرا عن شكله النهائيّ.

تحرر بايكون في الثمانينات من الرقابة الذاتيّة التي كان يمارسها على نفسه، والتي كان يخفي بسببها المراجع الأدبية التي يعتمدها في إنجاز لوحاته، ومن ضمن نتاجه بعد هذا الانعتاق نُشاهد لوحة "أوديب والسفينكس بعد أنغر" وهي لوحة أنجزها عام 1981، ويتضح من الاسم أنها تتحدث عن الملك أوديب، ومحاكاة للوحة الفرنسي جان أوغوست دومينيك أنغر التي تحمل اسم "أوديب يحل الأحجية أمام السفينكس"، في نسخة بيكون نرى أوديب أيضا على "باب" طيبة يقف أمام الكائن الأسطوريّ لحل اللغز لكنه لا يمتلك ملامح واضحة، يقف أمام السفينكس رافعا ساقه المنتفخة، حسب معنى اسم أوديب، إذ نراها ملفوفة بضمادة، بل ويمكن أن نذكر دراسة كلود ليفي ستراوس التي تشير إلى العاهة الجسديّة التي تمتلكها سلالة أوديب، فهم عرجان لأنّهم ملعونون، وهنا يبرز أوديب نفسه بوصفه لغزا يرفع قدمه المعطوبة أمام السفينكس الذي يمكن أن يجيبه عن أصله وسلالاته وسبب اللعنة التي حلّت عليه.

جماليات الاختفاء

تطور العصر منذ اختراع القطار حتى الآن، جعلنا أمام أشكال جديدة من الحركة والتسارع، تلك التي يطلق عليها بول فيريليو اسم جماليات الاختفاء، والتي نراها في الصور التي تتحرك بسرعة كبيرة أمامنا، خالقة أشكالا جديدة ولطخات لونيّة تتفوق على إدراكنا، وهي تظهر عادة إن كنا ننظر من شبّاك قطار مُسرع أو نشاهد صورا تعرض بُسرعة كبيرة، هذه السرعة الفائقة واللطخات اللونيّة تظهر أيضا في أجساد بيكون، التي تتلاشى ملامحها وكأنها تتحرك بسرعة هائلة، تاركة وراءها انطباعات بشكل ما، وكأنها ذرات من فيزياء الكم، تتحرك بسرعة لا يمكن إثرها ضبطها، كونها تتشكل وتتفكك في كلّ لحظة، لتأتي اللوحة كما في البورتريه الذاتيّة التي أنجزها عام 1971، بوصفها واحدا من احتمالات متعددة للذات في لحظة واحدة، أو شكلا من الأشكال التي يمكن أن يأخذها "وجه" في عدة لحظات متتالية ومتسارعة، وكأن اللوحة محاولة لالتقاط حركة الذرات فائقة السرعة، تلك التي تفوق حتى قدرة الفنان نفسه على إدراكها.

شعريات المرآة

تحضر المرآة في عدد من لوحات بيكون، خصوصا تلك التي يستذكر فيها داير، ونراها أيضا في الثلاثية التي أنجزها عام 1970 بعنوان "دراسة لظهر مذكّر"، والمثير للاهتمام أن الوجه على المرآة لا يتطابق مع ذاك الموجود أمامها، وكأن الرحلة داخل المرآة تغير من تكوين الأصل، ليظهر الانعكاس بأبعاد مختلفة، الأهم أن المسافة بين المرآة وبين الوجه لا تتطابق مع المقاييس التقليديّة، وكأن عودة الانعكاس من عوالم المرآة تجعله لوحة جديدة، ما يجعل المرآة بوابة نحو رحلة عجائبيّة، تدخل فيها الآنا لتعود "آخر" غريبا كليا لا يمكن تمييزه من قبل الذات.

> تظهر الأجساد في لوحات بيكون كأنها مازالت قيد التكوين، أو أثناء العجن قبل الخلق، فهي نتاج مجموعة من القوى الخارجيّة التي تكونها ضمن اللوحة، كما أن الجلد، أو الوعاء الذي يحتوي اللحم والأجهزة غير متماسك، ليبدو الجسد أشبه بكتلة قادرة على أخذ أشكال جديدة

بالرغم من صغر المعرض نسبيا إلا أننا نتعرف على الموضوعات التي ألهمت بيكون، كثلاثية أوريست لأسخيلوس، والعوالم السفليّة لنيتشة والماديّة المنحطّة لباتاي، فبيكون يقدم لنا رؤية فضائحية وذبائحيّة للفن، محررا كائناته من أشكالها التقليديّة والمثاليات المرتبطة بها، مُقتحما مساحات لاأخلاقيّة، تنفي بنيان العالم المهذب وأشكاله المتزنة، وهذا ما نتعرف عليه بدقّة عبر القراءات التي نسمعها للنصوص التي أثرت ببيكون باللغتين الإنكليزية والفرنسية.

الذات أمام سرعة الزمن

جسد بين الحياة والموت

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

المسرح عيادة نفسية في دراما كوميدية فلسفية

العرض الإماراتي «الساعة الرابعة» يعالج أزمة الذات مع المجتمع في المهرجان التجريبي بالقاهرة

شريف الشافعي
كاتب مصري

راهنت عروض المسرح الخليجي المتطورة في مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي السادس والعشرين الذي اختتم مؤخراً، على التمرد والتحرر من القوالب النمطية في الأفكار والمعالجة والأداء والتقنيات، ومنها مسرحية "الساعة الرابعة" لفرقة جمعية الشارقة للفنون الشعبية والمسرح من دولة الإمارات.

شكل الجنون بأوجهه المتعددة محورًا شيّقًا وشائكًا في العروض الخليجية بالمهرجان القاهري، ولم تكتف مسرحيات الكويت والعراق والإمارات بإبراز هذا الجنون فنيًا ورمزيًا وتكنيكيًا كمعادل للتثوير وكسر الضجر والسأم والرغبة في الانفلات من قبضة الروتين اليومي، وإنما جرت ممارسته فعليًا على خشبة المسرح في بعض الأحيان، أي أن الممثلين أنفسهم قد تحوّلوا ببساطة إلى مختلّين، في مواجهة الأصحّاء. وتبادل الفريقان الأدوار في الصراع الأزلي الدائر حول السؤال المعلّق: "مَن العاقل حقًا، وَمَن المجنون؟".

العلاج بالحكي

في العرض الإماراتي "الساعة الرابعة"، على المسرح العائم الكبير في حي المنيل بالقاهرة، من تأليف طلال محمود وإخراج إبراهيم سالم وبطولة محمد جمعة وفيصل علي وآلاء شاكر ونيفين ماضي ونور الصباح وعبدالله محمد، اختلطت الأوراق وذابت الفواصل بين الخيال والحقيقة، وتلاشت الحدود تمامًا بين عالم الفن ومعترك الحياة، باعتبارها مسرحًا كبيرًا في الأساس.

هكذا، صار المسرح بديكوره وإضاءته وموسيقاه وتفاصيله عيادة نفسية معدّة لاستقبال المرضى المثلين المصابين بالوسواس القهري بأشكاله المتنوعة (النظافة، التدين، الخوف من ضياع الممتلكات، تكرار العبارات، عدم التحكم في الألفاظ، فوبيا الخطوط المتداخلة).

> تطرق العرض إلى عشرات الجروح ومواضع الخلل الفردية والجماعية والظواهر السلبية، متخذًا من السخرية والكوميديا والعيوب المرضية لدى جميع البشر

وبدت الدراما الكوميدية الفلسفية العميقة متحققة من تلقاء ذاتها من خلال دردشة هؤلاء الهاربين من دنيا الأسوياء مع بعضهم البعض في لحظة معينة، هي الساعة الرابعة، ذلك الموعد الذي تحدد لكل منهم على حدة لمقابلة الطبيب المعالج "نادر".

إذا كان العلاج بالحكي والفضفضة الجماعية العفوية من الأنماط المجرّبة الناجحة في الطب النفسي الحديث، فقد سعى المسرح (العيادة) هنا إلى كشف المعاناة الداخلية للذوات الإنسانية المعذبة في الواقع المزدحم الملتبس، بهدف الوصول إلى تشخيص مشكلات المجتمع وأزماته الطاحنة، واقتراح وصفات علاجية لها.

واتضح مع نهاية العرض أن تحديد موعد واحد للمرضى جميعًا لمقابلة الطبيب ليس خطأ من الممرضة أو من برنامج الحجز في الكمبيوتر "السيستم"، وإنما هي حيلة مقصودة من الطبيب، ليُشفوا جميعًا من أمراضهم دون الحاجة إليه، عن طريق تجاوز كل منهم التركيز في محنته الشخصية، ونسيانها، من خلال الانشغال بأزمات الآخرين وأمراضهم ومحاولة الإسهام في حلها.

سلك الطبيب المعالج حيلة أخرى مكنته من إدارة الحوار بين مرضاه، وتوجيهه في المسارات العلاجية المطلوبة، هي أنه تنكر في شخصية أحد المرضى "فؤاد المحامي"، وهو ذلك الذي دفعه جنونه إلى صراحة زائدة، بحيث لم يعد يستطيع التحكم في عباراته الجارحة وشتائمه التلقائية المهينة للآخرين، بما أوصله إلى عزلة إجبارية، وأفقده كافة فرص العمل، وآخرها عمله كبائع ببغاوات، وهي مفارقة هزلية، إذ قلّدته جميع الببغاوات في ترديد الشتائم وفضح نقائص البشر.

ألعاب متداخلة

لم يكتفِ العرض المسرحي بتقديم مونولوجات ذاتية على كرسي الاعتراف وتفاصيل "ديالوجات" بين المرضى في جلسة علاج جماعية، دبّرها طبيب ذكي، فصنّاع العرض (المجانين) لم ينسوا أنهم فنانون، وأن هذا المكان مسرح وليس عيادة، وقد تجلت الفنيات والجماليات عبر عناصر المسرحية ومفرداتها، وتقنيات الاشتغال الدقيقة التي حوّلت الأزمة الطاحنة لكل مريض على حدة إلى قصص متشابكة، وخطوط حياتية متداخلة، ومواقف معقدة التقى فيها الحقيقي والمتخيل.

شكّل الوسواس القهري الثيمة المثالية للحالة المرضية "العامة"، التي أمكن تفريعها إلى خصوصيات مرضية ملائمة لكل شخص بمفرده، فكذلك حال المجتمع ككل تحت مظلة المحنة الطاغية، أو تلك الأزمة العامة، المتشعبة بدورها إلى تفريعات لا حصر لها من تمظهرات كارثية مؤلمة، وإصابات عصيبة دامية في البدن والروح.

تطرق العرض إلى عشرات الجروح ومواضع الخلل الفردية والجماعية والظواهر السلبية، متخذًا من السخرية والكوميديا والعيوب المرضية لدى شخصيات العرض وسائل لكشف العيوب السائدة لدى جميع البشر، من الأسوياء كذلك، بما يعني أن كل إنسان معرّض للسقوط، ما لم يُطهّر ذاته كفرد، وما لم يتحرك المجتمع نحو الإصلاح وتدارك الأخطاء ودرء الأخطار.

من بين ما انتقده العرض الجريء، الذي حرص على البساطة دون إهدار التعمق، التعصّب الديني في التعامل بين المتشددين الإسلاميين والمسيحيين، وهيمنة القوى المتسلطة والأبوية على الشباب إلى درجة إفقادهم إرادتهم واستقلالية شخصياتهم، وسقوط الكثيرين فريسة للإدمان والعزلة والاستلاب وسيطرة الأفكار الهدامة والشذوذ عن الجماعة بما عرّضهم للقسوة وربما العقوبة.

وقدم العرض رؤيته للقيم الإنسانية المُثلى والمفاهيم الأعمق للإيمان والتسامح والتآخي والصداقة والمحبة

التماسك والتعاون لحل الأزمات الفردية

كضرورات لمواصلة الحياة والتخلص من الضغوط والإحباطات والإخفاقات.

تضافرت عناصر الديكور المحبوك للعيادة النفسية، وإضاءة محمد جمال القائمة على الكشف والتعمية وتكثيف الضوء على المتحدث والجالس على كرسي الاعتراف، والساعة الكبيرة المعلقة على الحائط مشيرة عقاربها إلى الرابعة، وموسيقى موسى البلوشي المتوترة المصحوبة بتكّات الساعة الصاخبة، في صياغة عمل متكامل مريح للممثلين كي يعيشوا الحالة بأريحية، مطلقين قدراتهم التعبيرية باللغة العربية الفصحى السليمة والتي لم تكن متعسفة أو متعالية، وبالحركة الهادئة الدائرية في مكان ضيق، مخصص للتأمل والغوص الداخلي وإذابة العقد والتفاعل المنطقي المتزن والامتزاج التدريجي عبر التصاعد الدرامي المدروس.

لجأ العرض إلى تقنية "الأقنعة" مرتين، في بدايته ونهايته، للإشارة إلى تساوي مجتمع المجانين (المرضى قبل شفائهم)، ومجتمع العقلاء الأسوياء (المرضى أنفسهم بعد تعافيهم)، فالأزمة الحقيقية تكمن في أن أحدًا لا يعيش بوجهه الحقيقي، ولو فطن الجميع إلى ذلك، وعاشوا شخصياتهم الطبيعية دون كذب ولا تجمّل، لحدث مبكرًا ما أعلنه الطبيب المعالج في ختام العرض: "أغلقوا المصحة، لم تعد هناك حاجة إليها".

محطات الشفاء والتعافي من القهر والوساوس

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

«في انتظار الهمج»: هم ونحن

رؤية سينمائية لرواية أدبية لكويتزي استلهمت بدورها من قصيدة لشاعر الإسكندرية الأشهر

القاضي والجلاد: ثنائية الوعي والظلم

من الأفلام التي تعرض في الدورة الـ63 من مهرجان لندن السينمائي، فيلم "في انتظار الهمج" للمخرج الكولومبي سيرو غيرا (38 سنة) الذي يعرفه جمهور المهرجان من أفلامه السابقة التي شاركت من قبل في المهرجان مثل "رحلات الريح" و"عناق الأفعى" و"الطيور العابرة".

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

جاء المخرج الكولومبي الموهوب سيرو غيرا (Ciro Guerra) إلى السينما بمشروع جمالي يقوم على الجمع بين إعادة الاعتبار إلى الثقافة الشعبية الكولومبية، ثقافة القبائل الأصلية، والكشف عن العلاقة المعقدة بين الغازي والخاضع، المستعمِر (بكسر الميم) والمستعمَر (بفتح الميم)، وبين "الأنا" الاستعلائية ذات النزعة المتفوقة "الأورو- أميركية"، و"الآخر" الذي يشمل كل ما هو خارج التصنيف الأورو- أميركي.

بلغ سيرو غيرا أقصى درجات التعبير عن هذه الفكرة المركبة التي تقوم على احترام الموروث الشعبي، الأسطوري، الموسيقي، الفولكلوري، وتغييب الأوروبي/ المستعمر/ الرأسمالي الاحتكاري، القادم من الخارج لهذه الثقافة، في فيلمه البديع "عناق الأفعى" (2015)، ثم استكمل بحثه الشاق في هذه العلاقة الملتبسة في فيلمه التالي "الطيور العابرة".

يتميز أسلوب سيرو غيرا بالانطلاق إلى الطبيعة؛ الجبال والصحراء، والتسلل إلى القرى والتجمعات التي يعيش فيها السكان الأصليون منذ قرون، والمزج بين الممثلين المحترفين وغير المحترفين من الأهالي أنفسهم وإشراكهم في قلب الفيلم، واستدعاء علاقاتهم الراسخة في أعماقهم بالموروث والتراث والأسطورة والروحانيات والتعبير عنه أمام الكاميرا من خلال مواقف محددة يجيد تصميمها هذا المخرج الموهوب. إنه يخلق "عالمه" السينمائي الموازي للواقع، باستخدام الشاشة العريضة، واللقطات الطويلة البعيدة، والألوان الصريحة: البرتقالي والأصفر والأحمر والأسود، وحركة الكاميرا التي تبدو كما لو كانت تتسلل في هدوء وبطء بشكل خفي لا نشعر به، لكي ترصد دون أن تزعج تلك الطبيعة الساكنة الراسخة، مع استخدام حريص حذر للموسيقى الشعبية الصادرة عن الآلات التقليدية.

سيرو غيرا يصبح في أفضل أحواله عندما يتعامل مع تلك البيئة التي يعرفها جيدا، ويعرف سكانها ويفهم تقاليدهم ويحترم تاريخهم. ولكنه في فيلمه الروائي الطويل الخامس "في انتظار الهمج" (Waiting for the Barbarians)، (من الإنتاج الإيطالي- الأميركي المشترك)، يستند للمرة الأولى إلى أصل أدبي (أجنبي)، دون أن يغادر البيئة التي يحبها ويفهمها أو يعيد خلق رؤيته في بيئة مماثلة، ودون أن يتخلى عن موضوعه الأثير الذي يتطلع من خلاله إلى سبر زاوية جديدة في العلاقة بين المستعمر والسكان الأصليين؛ ليس مهمًا مَن هم أو مِن أين هم.

الأصل الأدبي هو رواية بالعنوان نفسه، صدرت عام 1980 للكاتب الجنوب أفريقي جون ماكسويل كويتزي (الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام 2003). وقد كتب كويتزي سيناريو الفيلم عن روايته، وهي مشكلة أخرى ربما تكون قد تركت تأثيرا سلبيا على فيلم سيرو غيرا المعروف بأنه يكتب -عادة- سيناريوهات أفلامه بنفسه، فقد حاول كويتزي ترجمة صفحات الرواية كما هي، إلى لغة الشاشة، ليس فقط كأحداث ومواقف تحمل مغزى رمزيا كامنا أو ظاهرا، بل واستخدام أسلوب السرد الذي يقوم على رواية الأحداث من وجهة نظر الشخصية الرئيسية في الرواية، في فصول تتعاقب تحت أسماء فصول السنة الأربعة بدءا من الصيف، دون أن ترتبط هذه الفصول بما نشاهده تماما.

استلهم كويتزي روايته من قصيدة الشاعر اليوناني- الإسكندري كونستانتين كفافيس (Kavaphes) التي تحمل العنوان نفسه. وهي قصيدة طويلة من أجمل ما يمكن أن يقرأه المرء.

وقد ترجمها إلى الإنكليزية ريتشموند لاتيرمور (Richmond Lattirmore) عام 1955. وأكتفي هنا بترجمة الأبيات الأولى منها فقط لكي نضع القارئ داخل "القماشة الفكرية" للفيلم.

لماذا نتجمع هنا وننتظر في ساحة السوق؟/ لأن الهمج سيكونون هنا اليوم/ لماذا لا يحدث شيء في مجلس النواب؟/ لماذا ينعقد المجلس دون أن يصدر النواب القوانين؟/ لأن الهمج سيأتون اليوم/ لماذا لم يعد النواب يصدرون القوانين؟/ الهمج سيصدرونها عندما يأتون/ لماذا نهض إمبراطورنا مبكرا/ وجلس عند أكبر بوابة وتاجه فوق رأسه؟/ لأن الهمج سيأتون اليوم/ والإمبراطور ينتظر أن يستقبلهم/ البطل التراجيدي الحائر///.

من هم الهمج؟ هذا السؤال "الفلسفي" مطروح بوضوح في الفيلم؟ يطرحه "البطل المهزوم" أو الشخصية التراجيدية الحائرة التي لا تجد لها مكانا وتعجز عن الانتماء إلى "الهمج" المفترضين أي السكان الأصليين، كما يشعر بالاغتراب التام عن أولئك الذين يمثلهم ويحكم طبقا لـ"قوانينهم" وهم من يعتبرون أنفسهم "حماة الحضارة" أو طلائع المستعمر في أراضي ذلك "البلد الآخر"، جاؤوا للقضاء على الهمجية ونشر الحضارة (البيضاء) وإن لم ينفع تطويع السكان الأصليين أو "الهمج البرابرة" بالعنف والإرهاب، يصبح القضاء عليهم وإبادتهم الاختيار المحتم.

يتسق اختيار سيرو غيرا لهذه الرواية مع اهتمامه الخاص بطبيعة العلاقة بين المستعمر القادم من خارج الجغرافيا والثقافة لا يمكنه أن يفهم تقاليد السكان ولا لغتهم ولا أعرافهم فيشطب عليهم باعتبارهم مجرد "برابرة" أو همجيين، وبين ثقافة السكان الأصليين وكيف تتعرض لغزو "بربري" بدعوى نشر التحضر.

تجريد المكان

يتعمد سيناريو الفيلم تجريد المكان تماما. فنحن لا نعرف أين تدور الأحداث. لدينا موقع متقدم في وسط الصحراء أقامه المستعمر على أطراف إمبراطوريته. على مقربة منه قبائل من السكان الأصليين من سكان الجبال. صور الفيلم في المغرب وإيطاليا. وهناك اختلاط في الممثلين الثانويين الذين يظهرون في الفيلم، بين المغاربة والمغوليين وغيرهم. واللغة التي يتكلمها "الهمج" هي اللغة المنغولية. أما الزمان فيبدو أوائل القرن العشرين. وتجمع الملابس التي يرتديها رجال شرطة الغزاة المستعمرين بين ملابس الجيش الإيطالي في زمن موسوليني، وملابس الجيش الفرنسي في زمن احتلال بلدان المغرب العربي.

عدم تحديد المكان والزمان مقصود، وكأن غيرا يقول لنا إن المستعمر كان كذلك دائما في كل زمان ومكان، وكانت علاقته هكذا بالسكان الأصليين في كل بلد، وليس مهمًا تحديد البلد في كولومبيا مثلا، فيمكن أن تكون الصحراء عربية مثلا. وهو تمويه مفهوم ومقبول تماما ولا يخلق مشكلة في متابعة الفيلم بسلاسة. صحيح أن غيرا يسبح خارج محيطه التقليدي وسط القبائل الكولومبية، لكنه في الوقت نفسه يتمسك بموضوعه الأثير.

ربما تكمن المشكلة الرئيسية في كونه يتعامل للمرة الأولى مع ممثلين (من نجوم السينما العالمية) وأن فيلمه ناطق في معظمه باللغة الإنكليزية. فلدينا هنا جوني ديب وروبرت باتنسون وغريتا سكاكي. أما الدور الرئيسي فقد أسنده إلى الممثل البريطاني مارك ريلانس (يتذكره القارئ من فيلم "جسر الجواسيس" حيث قام بدور الجاسوس الذي كان يعمل داخل بريطانيا). ريلانس يقوم هنا بدور قاضي (لا اسم له سوى القاضي) وهو الحاكم "المدني" لتلك المنطقة. لكنه لا يعرف لغة السكان الأصليين. وهو يحتفظ لديه بمجموعة نادرة من القطع الخشبية التي حفرت عليها رسوم وعبارات باللغة المحلية القديمة، درب نفسه على ما يبدو لكي يفك شفرة البعض منها، لكنه لا يزال عاجزا عن فهم مغزاها تماما. إن هذا العالم "القديم" يبدو أمامه لغزا مستغلقا وكلما حاول فك ألغازه واجهته معضلة أخرى. هذا "القاضي" رجل طيب، يميل إلى السلم، يقيم العدل طبقا لما تعلمه، لا يحمل أي تعصب تجاه السكان، تخدمه سيدة تحاول مداعبته وإغوائه (دور صغير للممثلة الإيطالية من الثمانينات غريتا سكاكي) لكنه لا يلتفت إليها. يهبط على الموقع فجأة ضابط شرطة هو الكولونيل جول (جوني ديب) محاطا بمجموعة من العسكر.

هذا الكولونيل أُرسل من قبل رؤسائه في الدولة الاستعمارية المجهولة، هدفه كشف خيوط مؤامرة مزعومة يدبرها سكان الجبال الذين يصفهم بـ"الهمج"، لضرب الوجود الاستعماري وإشاعة الفوضى والعنف. ولكن "القاضي" لا يرى ذلك قط، بل يستبعد تماما وجود مثل هذه الخطة. يمضي جول مع عساكره يعتقلون العشرات من أهالي المنطقة ويقومون بقيادة الضابط "ماندل" مساعد جول (روبرت باتنسون) "بالتنكيل بهم وتعذيبهم تعذيبا شديدا يصل إلى فقء العيون وقطع الأيدي، لانتزاع الاعترافات. يعترض القاضي على هذا العنف لكن جول يؤكد له أنه من دون ألم تغيب الحقيقة. وفي لحظة ما يتساءل القاضي: من هم الهمج؟ ربما نكون نحن. ربما نكون أعداء أنفسنا!

ينجذب القاضي بشدة إلى فتاة من السكان الأصليين. هذه الفتاة تعرضت للتعذيب إلى أن فقدت النظر تقريبا. وهي تعرف بعض الإنكليزية. ينقذها القاضي ويتبناها ويعرض عليها أن تعمل لديه، ويقوم في أحد المشاهد بغسل قدميها وتقبيلها، وكأنه يكفر عن ذنوب أقرانه بهذا التواضع أو "التكفير" المسيحي عن الذنب. وهي تقبل أن تعاشره وتشاركه الفراش لكنه يظل عاجزا عن اختراق عقلها والتسلل إلى روحها. إنها تظل كيانا غامضا عليه تماما مثل قطع الأخشاب المحفورة القديمة. وعندما تعرب له عن رغبتها في العودة إلى أهلها وأن مكانها الطبيعي هناك، يخرج القاضي في قافلة صغيرة مع مساعديه لإعادتها إلى قبيلتها.

يعود القاضي فيجد نفسه متهما من جانب الكولونيل جول بالخيانة والاتصال بالأعداء فيقبضون عليه ويتعرض للتعذيب الشديد والتجريد من وظيفته والإهانات المتصلة، ويلقون به في السجن بعد تدمير مكتبته العامرة بالكتب، ويخضع لاستجوابات فظة. هل سيستمر هذا الوضع؟ أليست القاعدة تقول إن العنف يولد العنف.

أفكار وإشارات

هناك الكثير من الأفكار المعاصرة عن العنف وإرهاب القوة والسلطة وشيطنة "الآخر" واضطهاد الذي يطالب بالحرية، داخل نسيج الفيلم. ولا شك أنها تجول بأذهاننا وهذه المشاهد تتعاقب علينا. تبدو تارة ذات طبيعة مسرحية: تعتمد على حركة الممثلين داخل ديكور محدود وعلى الحوار، وتارة أخرى تتميز بسينمائية عالية خاصة في المشاهد الخارجية التي يبرز فيها أسلوب غيرا المعروف؛ حيث اهتمامه بالتكوين واللقطات البعيدة والإيقاع البطيء ذي النفس الملحمي، وحركة الكاميرا الهادئة، والصور الخلابة للطبيعة من خلال عدسة واحد من أعظم مديري التصوير في العالم، الإنكليزي كريس منغيز (Chris Menges)؛ (مصور أفلام "حقول القتل" و"مايكل كولينز" و"القارئ")، مع النغمة الموسيقية المعبرة التي وضعها الإيطالي كيامبيرو أمبروسي وتتناغم مع طابع الفيلم وأسلوبه من دون مغالاة.

من هم الهمج؟ هذا السؤال «الفلسفي» مطروح بوضوح في الفيلم؟ يطرحه «البطل المهزوم» أو الشخصية التراجيدية الحائرة

توفرت لسيرو غيرا ميزانية جيدة سمحت ببناء موقع يزخر بالحيوية ويتميز بملامح أصيلة مع اجتهادات خاصة تبرز الفرق بين غرف وأقبية التعذيب (التي كانت متاجر يستخدمها السكان) وبين مقر القاضي المجلل بالغموض، تنتشر فيه أرفف الكتب. وقد تعاون في صنع الصورة البديعة التي جاء عليها الفيلم، طاقم فني محترف إلى جانب مدير تصوير كبير؛ مهندس المناظر ومنسقها وإعادة تطويع المواقع للصورة المرسومة في ذهن المخرج عن المكان كما يريده، وتصميم الملابس حيث تضفي القسوة والشدة والعنف على شخصيات العسكر (الملابس السوداء) مقابل الملابس البسيطة المتواضعة البيضاء التي يرتديها القاضي، مع ابتكار نظارات سوداء مستديرة يحملها الكولونيل الفظ جول، فتضفي عليه ملامح شيطانية بشعة، بينما هو يبرر للقاضي أنه يضعها على عينيه لكي تحمي جفونه من التجاعيد بفعل ضوء الشمس.

لا شك أن "في انتظار الهمج" كان أقل سحرا من أفلام سيرو غيرا السابقة، ورأيي الشخصي أن وجود النجوم في الفيلم دون حاجة إلى وجودهم أصلا، قد لعب دورا في انفلات السيطرة في بعض أجزاء الفيلم رغم أنه يجب الإقرار أن جوني ديب بذل جهدا كبيرا لكي يبدو مقنعا بل ومرعبا في دور جول، كما بدا مارك ريلانس قديسا غريبا عن المكان وما يحدث فيه، فغاب الاقتناع بأنه ينتمي إلى نفس الفئة الظالمة المتوحشة التي تسيطر على "الهمج".

القاضي.. شخصية تراجيدية حائرة

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

متحف طبيعي ينطبع في الذاكرة

السياحة في الجزائر تستيقظ ببطء من سباتها العميق

الصحراء لا تبوح بأسرارها وسحرها إلا لمن زارها

تعاني السياحة في الجزائر من ركود طال سنوات بعد العشرية السوداء التي أبعدت السياح المحليين والأجانب عن اكتشاف جمال المدن المعلقة في الجبال الشرقية للبلاد وجمال الصحراء الدافئة في كل الفصول. السياحة الجزائرية تحاول نفض الغبار اليوم من خلال إصرار المسؤولين على تطويرها لتواكب العصر والتغيرات في المجال السياحي العالمي.

الجزائر - لم يعد خافيا على المولعين بالسياحة والسفر جمال طبيعة الجزائر المتنوع من البحر إلى الجبال والغابات والصحراء، فشبكة الإنترنت وما توفره من وسائل اتصال اجتماعي تعرض الصور والفيديوهات لبلاد تمتد من البحر المتوسط إلى الصحراء الكبرى ومن جبال خمير الغابية التي تشترك فيها مع تونس إلى الحدود الطبيعية مع المغرب.

وتتحدث كتب التاريخ أيضا عن تعاقب الحضارات لهذا البلد المترامي الأطراف، وتشهد المعالم التاريخية المتبقية والمتاحف على حضارة الأمازيغ ومرور الفينيقيين والرومانيين والمسلمين القادمين من الشرق والعائدين من الأندلس، ثم الفرنسيين الذين استغلوا جمال المنطقة للاستثمار في السياحة حتى بعد الاستقلال.

وتوجد سبعة مواقع للتراث العالمي مصنفة ضمن قائمة اليونسكو تتنوع بين الرومانية والإسلامية والنقوش التي تعود للعصور الغابرة كما في آثار تيازة وجميلة والقصبة ووادي ميزاب ومواقع أخرى.

ومنذ العشرية السوداء تراجع عدد السياح، وشهد القطاع ركودا لسنوات عديدة.

الأمن والخدمات

لا تزال مخلفات العشرية السوداء تلقي بظلالها على السياحة في الجزائر، إذ لم يتجاوز عدد السياح الأجانب ثلاثة آلاف شخص سنويا منذ 20 سنة، ولم يتجاوز عدد القادمين إلى الجزائر عن طريق وكالات الأسفار ألفي شخص.

وتمتاز الجزائر بالمناظر الطبيعية الكثيرة والمتنوعة، وتقدم إحساس المغامرة للسياح، فساحل البحر المتوسط والمناظر الطبيعية الخصبة والأطلال الرومانية الموجودة بها تنافس أي مكان آخر في العالم، كما أنها تحتوي على الكثير من المدن الساحرة ذات الشوارع المتعرجة والهندسة المعمارية المذهلة.

ومن عوامل الجذب السياحي في البلاد المنطقة الصحراوية حيث الرمال التي لا تنتهي والمدن الغامضة والحيوية، لكن هناك بعض المناطق في البلاد لا تزال غير آمنة تماما للسياحة فيها رغم أن معظم السياح الذين يغامرون بزيارتها يلاقون فيها ترحيبا رائعا من قبل السكان هناك.

وبحسب الخبراء الجزائريين العاملين بالقطاع، فمن بين العوائق التي تساهم في عزوف السياح عن زيارة البلاد البنية التحتية ونقص الخدمات، فعلى الرغم من طول السواحل الجزائرية التي تصل إلى 1600 كلم إلا أن ثلثها يتكون من أراض زراعية والثلث الآخر من خلجان صخرية، أما الثلث الأخير فيضم شواطئ رملية، ما يعني أنه لا يمكن حتى تلبية الطلب المحلي، كما أن هذه الشواطئ تفتقر إلى الصيانة إضافة إلى غياب الأمن.

وفي ما يخص السياحة الصحراوية والتي تجذب الأجانب، فإن أغلب المنافذ لها مغلقة بسبب المشكلات الأمنية خوفا من الإرهابيين الذين ينتشرون أيضا في المناطق الشرقية للبلاد على الحدود المشتركة مع تونس.

ويصف كثيرون ممن زاروا الصحراء الجزائرية بالجنة المليئة بالأسرار المدهشة، ففي منطقة تيميمون التي تلقب بـ"الواحة الحمراء" بسبب انتشار مبان مشيدة بالطوب الأحمر هناك قصور ساحرة يعود تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي ويصل عددها اليوم إلى الثلاثين، يحيط بها النخيل والمياه الطبيعية العذبة ويقصدها السياح في احتفالات رأس السنة.

> في الصحراء الجزائرية حيث الرمال الذهبية والتضاريس العجيبة يمكن أن يستمتع السائح برحلة أو سهرة على ضوء القمر وكأس شاي مع الطوارق

لكن حادثة اختطاف وإعدام المواطن الفرنسي الفرنس غوردال في سبتمبر 2014 على يد جماعة إرهابية في محافظة تيزي وزو (شرق)، أضافت المزيد من المتاعب لقطاع السياحة الصحراوية خاصة.

وحين يحتاج اليوم أي فريق سياحي لزيارة جبال هقار مثلا تسعى السلطات إلى توفير المرافقة الأمنية للفريق السياحي، وعلى الرغم من ثناء العاملين في القطاع السياحي على هذا الإجراء إلا أنهم يقترحون حماية كل المحيط السياحي في الصحراء بدل تأمين كل مجموعة على حدة، فحين يرى السائح جهازا أمنيا من حوله، لن يشعر بالضرورة أنه في أمان، فلا يستطيع أن يستمتع بكأس شاي على الكثبان الرملية في سهرة دافئة أو بركوب الجمال مع مرشدين من الطوارق.

ويقول المرشد السياحي صالح الذي يعمل في منطقة تمنراست التي تحيط بها الكثبان الرملية "إنه لمشكل كبير لأن السياحة توقفت بسبب المشكلات التي جرت في ليبيا ومالي والتي أثرت سلبيا علينا. الناس خائفون من الوضع الأمني ولكن نحن لا نأخذ السياح إلى أماكن خطرة".

والاستقرار الأمني ليس هو العائق الوحيد أمام عودة السياح إلى مدينة أثرية في الهضاب العليا في سطيف، والأخاديد المدهشة في جبال أوراس، والقصور الطينية التي يفوق عمرها أكثر من ألف عام على هضبة صخرية في وادي مزاب في محافظة غرداية، أو الاستمتاع برحلة في جبل أسكرام المهيب في تمنراست، وصولا إلى اللوحات الصخرية في جانت، في الجنوب الجزائري. ويتفق العاملون في القطاع السياحي الجزائري على أن القطاع لا يزال يعاني من مشكلات الأمن والاستقرار وغياب ما يعرف بالشرطة السياحية وغياب الخدمات السياحية وضعف قدرة الاستيعاب الفندقي وعدم تنوعه وغياب النظافة بشكل عام ونظافة الشواطئ بشكل خاص وعدم الاهتمام بتهيئة الغابات وغياب إستراتيجية تسويق المنتجات السياحية على المستوى الدولي.

مرتفعات خضراء للتأمل والهدوء

ورغم كل هذه العوامل، يعتقد خبراء السياحة أن البلاد قادرة على إحياء القطاع، إلا أن عملية تهيئة أو إعادة تهيئة ستكون على المدى الطويل، لكن ليس من الصعب أن تعود الجزائر إلى الخارطة السياحية العالمية.

رغبة في التغيير

منذ سنوات قليلة، يؤكد المسؤولون المتعاقبون على رأس وزارة السياحة الرغبة في إحياء القطاع من أجل تطوير وتنويع اقتصاد يُعرف بشدة تبعيته للمحروقات، وزادت هذه الرغبة بعد أن تحصلت الجزائر مؤخرا على مقعد في المكتب التنفيذي للمنظمة العالمية للسياحة لمدة 4 سنوات قادمة.

عودة الجزائر لعضوية المكتب العالمي للسياحة العالمية دفعت وزير السياحة عبدالقادر بن مسعود إلى "دعم القطاع والترويج للجزائر كوجهة سياحية من خلال تنويع البرامج وتنظيم رحلات استكشافية إلى مناطق مختلفة من البلاد".

وأكد المدير العام للسياحة زبير سفيان أن انخراط الجزائر في المنظمة العالمية للسياحة سيسمح لها بلعب دور هام على اعتبار أن إستراتيجية المنظمة تتجه خاصة نحو الترويج وترقية السياحة في أفريقيا التي أصبحت اليوم من بين الوجهات السياحية الهامة في العالم.

وأشار سفيان إلى أن الجزائر بدأت على المدى القريب بتطبيق الإستراتيجية المعتمدة على البنية التحتية لإنشاء قاعدة مواصلات واتصالات بما فيها شبكة الطرقات والانفتاح على القارة السمراء، ما سيساهم في جعل الجزائر بوابة لأفريقيا في جميع المجالات.

واعترف المدير العام للسياحة بأن هناك مشكلات مازالت تعيق القطاع منها مشكل انعدام التأشيرة الإلكترونية، إضافة إلى غلاء تذاكر شركة الطيران الجزائرية.

التدفق السياحي يفقد ماتشو بيتشو في بيرو سحرها

ليما - إذا كان هناك شيء مثل سحر الإنكا في "ماتشو بيتشو"، فإنك وبكل تأكيد، لن تعثر على ذلك السحر هناك في الساعة الثامنة صباحا، حيث تقوم الحافلات كل بضع دقائق بصعود الجبل، للوصول إلى أكثر المقاصد السياحية شهرة في بيرو.

ويوجد على الجبل ممر ضيق محاط بالنباتات الخضراء الكثيفة. ورغم عدم بعد المسافة، إلا أن تسلق الجبال هنا في الأنديز للوصول إلى ارتفاع 2400 متر تقريبا فوق مستوى سطح البحر، يعتبر أمرا شاقا، حيث يتم نقل المسنين الذين يتوكّأون على العصي، كما يتعرض الآباء الذين يصاحبهم أطفال صغار إلى الاحتكاك والتزاحم مع الآخرين، ومن الممكن سماع شخص ما يشكو من عدم وجود مصعد في وسط الجبال.

وفي مرحلة ما من هذه الرحلة، يُفتح الطريق على أول شرفة واسعة على المنحدر المقابل من قلعة "ماتشو بيتشو" الخلابة التي بناها شعب الإنكا.

إنه مشهد مألوف يظهر في المجلات ومدونات السفر، ويرغب الجميع في التقاط صور خاصة بهم هناك.

ويهتم الكثير من المسافرين بوضع زيارة الأطلال المهيبة، التي تعود إلى القرن الخامس عشر، على قوائم الرغبات المفضلة لديهم، وبالنسبة لهم، تعتبر هذه الأطلال مبررا لقيامهم بزيارة بيرو.

وتعد ماتشو بيتشو بسحرها لغزا محيرا، ونظرا لأن المنطقة تحقق من قطاع السياحة دخلا كبيرا، فقد قامت بالاستثمار في البنية التحتية من أجل تسهيل وصول الأعداد الكبيرة من السائحين إلى هناك، وتسعى السلطات جاهدة من أجل تبسيط الأمور أمام الزائرين، حيث تجرى الاستعدادات من أجل إنشاء مطار دولي، بالإضافة إلى مطار آخر موجود بالفعل في مدينة كوسكو القريبة.

ويحذر خبراء منظمة اليونسكو منذ سنوات من الأضرار الناتجة عن ارتفاع أعداد السائحين، وقد استجابت السلطات الآن: فقد تم منذ يونيو 2019 فرض قيود على الدخول إلى ثلاثة معالم مهمة داخل المدينة التي تعود إلى حضارة الإنكا، بحيث لا يمكن الوصول إلى هناك إلا كل ساعة. وتعتبر ماتشو بيتشو بلا شك مثيرة للإعجاب في حد ذاتها. فقد تم بناء القلعة على سلسلة من الجبال، وهي تضم أكثر من 200 مبنى، جميعها محاطة ببانوراما مذهلة.

وينتهي الأمر بكل زائر من زوار ماتشو بيتشو في أجواس كالينتيس، حيث تضم قائمات الطعام هناك وجبة سياحية نموذجية من البيتزا ولحم البرغر والمشروبات الخاصة. وفي مكان ما، من الممكن سماع مقطوعات موسيقية يتم عزفها على آلات نفخ خشبية.وتصدر السلطات لكل فوج سياحي تذكرة دخول خاصة، محددا بها توقيت الزيارة وتمر كل 15 دقيقة حافلة من بين 26 من الحافلات، على طريق متعرج، وبناء على موعد الوصول، يكون طابور آخر في طريقه إلى باب الدخول.

وبعد التقاط بعض الصور في بداية الرحلة، يسرع معظم السائحين لاستكشاف المنطقة الواسعة، ويتعين على المرشدين المحافظة على الجدول الزمني الصارم للرحلة، حيث تكون أمامهم ساعة واحدة فقط من أجل الدخول بمجموعاتهم لزيارة جبلين متجاورين آخرين بعد ذلك.

> يهتم الكثير من المسافرين بوضع زيارة الأطلال المهيبة التي تعود إلى القرن الخامس عشر على قائمة الرغبات المفضلة لديهم، فهي المبرر لقيامهم بزيارة بيرو

وهناك خيارات للمسافرين الراغبين في القيام بتجربة شخصية لمشاهدة المزيد من المعالم؛ حيث يمكنهم استخدام مسار الإنكا والوصول إلى المدينة الخفية سيرا على الأقدام عند شروق الشمس، ولكن السير لأيام يكون أمرا صعبا.

وبدلا من ذلك، يمكن للزوار الحصول على تذاكر دخول لأول مرة والتسلق إلى الموقع من أجواس كالينتيس، سيرا على الأقدام، ويستغرق الطريق نحو ساعة ويضم بعض الأماكن شديدة الانحدار، وتتمثل المكافأة هنا في الوصول إلى الموقع عند الفجر والاستمتاع بفترة هدوء قصيرة قبل وصول الحافلات.

جدول زمني صارم للرحلة

امتزاج حياتنا بالبيانات والواقع الافتراضي والمعزز

انقلابات تكنولوجية تعصف بحياتنا خلال 5 سنوات

سرعة الابتكارات يمكن أن تنسف التوقعات بين يوم وآخر

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

هناك إجماع وحيد بين خبراء التكنولوجيا يؤكد أن الانقلابات في حياتنا ستزداد سرعة يوما بعد يوم، وأنها يمكن أن تحدث في يوم واحد أو عام واحد يمكن أن تعادل جميع الانقلابات التي حدثت طوال التاريخ، ولذلك فإنّ سرعة الابتكارات يمكن أن تنسف جميع التوقّعات بين يوم وآخر وبضمنها هذه التوقّعات.

وتطارد التقارير حاليا سباق شركات التكنولوجيا الكبرى التي تكثّف بحوثها واستثماراتها في استشراف مستقبل، لكنّ كثيرين يتوقّعون صعود لاعبين جدد بسرعة صاروخية توازي سرعة الانقلابات التكنولوجية، وقد يتجاوزون اللاعبين الحاليين.

وإذا كان لا بد من رسم توقّعات الآن، فإنّ خبير المستقبليات جيمس كانتون يقول إن حياتنا ستشهد خلال الأعوام الخمسة المقبلة تغييرات هائلة في مجالات مثل الذكاء الاصطناعي، واستكشاف الفضاء ومزج حياتنا بالواقع المعزّز والمختلط والحوسبة الكمومية.

ويضيف، في مقابلة نشرت على موقع بزنس انسايدر، أن التطورات في الذكاء الاصطناعي ستقود أحد أكبر الانقلابات المؤثرة في جميع نواحي الحياة.

> الابتكارات التكنولوجية المتسارعة يمكن أن تحدث في يوم أو عام واحد انقلابات في حياتنا تفوق كل ما حدث طوال التاريخ

ورغم أن كانتون، هو الرئيس التنفيذي لمعهد العقود المستقبلية، وهي مؤسسة فكرية مقرّها سان فرانسيسكو تقدّم المشورة للعملاء حول اتجاهات الأعمال والتكنولوجيا المقبلة، إلا أنه يجد صعوبة في تحديد ملامح وأثر الانعطافات المستقبلية بدقة كبيرة.

ويقول إن شركات التكنولوجيا الكبرى تركّز منذ سنوات على استشراف التأثير الذي يمكن أن تحدثه الحقول الناشئة مثل الذكاء الاصطناعي والواقع المعزّز على حياتنا اليومية. لكن نظرا إلى سرعة انقلاب الآفاق المحتملة، فإن من الصعب تحديد التوقعات.

وحتى إذا لجمنا المخيّلة والتوقّعات المحتملة فإن هناك بالفعل الكثير من الابتكارات المنجزة، التي يمكنها أن تقلب حياتنا وهي أكثر من قدرة البشر على تبنيها ونقلها إلى الحياة اليومية. ويشير كانتون إلى أن "هناك دائما فجوة بين اختراقات الابتكار والتطبيق الفعلي في السوق".

أما الأجهزة الإلكترونية مثل الهواتف الذكية فإنها قد تتخذ أشكالا جديدة. ولن تقف وظائفها عند المساعدة الرقمية التي تقدّمها حاليا أليكسا وسيري، مثل قراءة الطقس والإجابة على الأسئلة وتسجيل طلبات الشراء، بل تنتقل عبر أنظمة الذكاء الاصطناعي إلى العديد من الوظائف الجديدة.

ثورة طبية بلا حدود

في المستقبل غير البعيد، يمكن إجراء الفحص الطبي بواسطة طبيب افتراضي وبدقة أكبر بكثير من الفحوص الحالية، إضافة إلى ابتكارات الطب التجديدي الذي يمكن أن تجدد أعضاء الجسم، ويقدّم أعضاء بديلة مصنوعة من خلايا جذعية بالطباعة ثلاثية الأبعاد.

ويرى الخبراء أن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي تتقدّم بسرعة كبيرة، وسوف تغيّر بشكل جذري طريقة حصولنا على الرعاية الصحية من الأطباء الافتراضيين والتشخيصات المدعومة من الذكاء الاصطناعي.

الكثير من التطوّرات في هذا المجل حدثت بالفعل وبدأ تطبيق بعض أشكالها، لكن أعلى ابتكاراتها لن يصل إلى المستخدمين إلا بعد تحديد العوائد الاقتصادية والآليات انتشارها.

وتؤكد الأبحاث اليوم أن الذكاء الاصطناعي أصبح قادرا على تفسير الصور الطبية باستخدام خوارزمية التعلم العميق، وأنه تمكّن بالفعل من تجاوز دقة الأطباء البشر في تشخيص الحالات الطبية.

ويرى المتفائلون أنّ هذه التطورات سوف تخفف من الضغط على الموارد، وتتيح وقتا أكثر لتفاعل الطبيب مع المريض، وتساعد في تطوير العلاجات المتخصصة.

وقال كانتون "لقد خرج الذكاء الاصطناعي من فصل الشتاء"، في إشارة إلى فترة لم تكن فيها أبواب القطاعات الصناعية مفتوحة لتطبيقات تلك التكنولوجيا. وأرجع سبب نهضة الذكاء الاصطناعي اليوم إلى التقدّم في آليات التعلم الذاتي لأجهزة الكمبيوتر ووفرة البيانات السحابية المتاحة الآن لتعلم الآلات وارتباطها ببعضها.

ويرى كانتون أنّ الابتكارات المساندة مثل الأجهزة التي يتم إنتاجها بالطباعة ثلاثية الأبعاد سيكون لها أيضا تأثير كبير على الرعاية الصحية، وسوف تنعكس في زيادة العمر المتوقّع للبشر. ومن المتوقّع أن ينمو حجم استثمارات قطاع الذكاء الاصطناعي في السنوات القادمة بمعدلات فلكية. وترجّح شركة غارتنر لأبحاث السوق أن تصل قيمة الأعمال العالمية المستمدة من الذكاء الاصطناعي إلى 3.9 تريليون دولار في عام 2022.

امتزاج الواقع بالبيانات

من المجالات الأخرى الأكثر إثارة في التطوّرات الجديدة التي تقارب الخيال العلمي، والتي سوف تزدهر خلال السنوات المقبلة، ما تطلق عليه الأوساط التكنولوجية "الحقائق المختلطة" الذي يمزج حياتنا الملموسة بالواقع المعزز والواقع الافتراضي والتواجد عن بعد.

هذه الطفرة تحققت بالفعل في المختبرات وهناك هواتف ونظارات تستطيع مزج الواقع بالبيانات، لكنها تنتظر مضاعفة سرعة نقل البيانات بعد انتشار شبكات الجيل الخامس للاتصالات، وهو ما يرجّح الخبراء أن يحدث في عام 2021.

العامل الحاسم يكمن في أن تلك الشبكات ستتيح تحديد المواقع بدقة هائلة تصل إلى أجزاء ضئيلة من المليمتر والزاوية التي تتجه إليها أجهزتنا من أجل عرض المعلومات عنها بدقة أكبر.

كما أنها تنتظر أيضا نمو حجم البيانات عن كل شيء حولنا لتتسع تغطية البيانات الدقيقة عن تفاصيلها وإحداثياتها.

لكن كانتون يذهب أبعد من ذلك ويقول إن هذا النوع من التكنولوجيا سوف يتيح عرض المعلومات الرقمية في العالم الحقيقي دون الحاجة إلى ارتداء النظارات أو الاعتماد على الهاتف الذكي.

ويضيف أن ذلك "سيكون فوريا وستختفي الحاجة إلى الأجهزة، التي ستصبح مزعجة وفائضة عن الحاجة. وسيكون كل شخص قادرا على ضبط مقدار المعلومات الرقمية التي تريد مزجها بهاته الواقعية".

> مئات الشركات الخاصة في جميع أنحاء العالم سوف تتنافس على الآفاق التجارية والسياحية في الفضاء كالهبوط على القمر وكوكب المريخ

سنكون أيضا قادرين على زيارة ملايين المواقع متى نشاء دون أن نغادر بيوتنا ونعيش فيها تجربة تطابق الواقع بل تتغلّب عليه في مزايا إضافية كثيرة.

أما سباق الفضاء فسوف يدخل أيضا في مرحلة جديدة، وسوف تنافس الشركات الخاصة برامج الدول في جميع أنحاء العالم. وقد بدأت بالفعل شركات مثل سبيس اكس التي يقودها الملياردير إيلون ماسك وشركة بلو أوريجن التابعة للملياردير جيف بيزوس، وسوف تنفتح الأبواب التجارية والسياحية في الفضاء على آفاق يصعب تخيّلها.

ويتوقّع كانتون أن "يكون هناك المئات من الشركات في جميع أنحاء العالم، تتنافس على كل شيء بدءا من الهبوط على سطح القمر إلى إعادة تشكيل المريخ" وتأهيل مناطق للسياحة والإقامة فيه.

لكن ذلك يتطلّب تنظيم النشاطات الفضائية، التي أصبحت ضرورة ملحّة بعد تزايد زحام الأقمار الاصطناعية وتقاطع المصالح الأجندات الدولية.

وترتبط معظم التطورات المذكورة سابقا بتطوّرات نقل البيانات وتخزينها لتوفير البنية التحتية للتطبيقات الابتكارية الجديدة.

وستقدّم الحوسبة الكمومية قفزة هائلة في هذا المجال وتفتح آفاقا أوسع لمعالجة البيانات بسرعة فائقة عبر استخدام وحدات جديدة تسمى qbits لتخزين البيانات تختلف عن الحوسبة الرقمية الحالية التي تستخدم وحدات مكوّنة من الصفر ورقم واحد. ويتيح ذلك صيغا أوسع لنقل البيانات.

ويقول كانتون إن الحوسبة الكمومية يمكن أن تكون حاسمة بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بتعزيز الأمن السيبراني، لأننا سوف نتمكّن من الوصول إلى "تشفير أكثر ذكاء" وأكثر مناعة على الاختراق من قبل القراصنة.

عمالقة تكنولوجيا جدد

هناك اليوم العديد من أكبر شركات التكنولوجيا المنهمكة بالفعل في البحث في آفاق عديدة من هذه المجالات، حيث تتصدّر شركة فيسبوك سباق منتجات الواقع الافتراضي تحت علامتها التجارية أوكولوس، وقد أعلنت أنها ستطلق شبكة للواقع للتواصل الافتراضي في العام المقبل.

وتهمل شركة أبل على تطوير أدوات لإنشاء تطبيقات الواقع المعزز، في وقت تطور فيه مايكروسوفت نظارة هولولينز للواقع المختلط. وتقوم غوغل وآي.بي.أم بقيادة بحوث الحوسبة الكمومية.

جيمس كانتون:

حياتنا ستمتزج بالبيانات والواقع الافتراضي والمعزز دون الحاجة إلى ارتداء النظارات أو استخدام الهاتف الذكي

لكن ظهور الشركات العملاقة ارتبط دائما بابتكارات تحقق انتشارا واسعا خلال وقت قصير، وتتمكّن من جمع التمويل وتحقيق عوائد كبيرة.

ولذلك يصعب التنبؤ بمن سيبقى في الريادة في تلك الجبهات التكنولوجية المتقدمة، التي قد يقتحمها مئات اللاعبين الجدد ويغيّرون خارطة القوى المهيمنة فيها.

ويرى كانتون أن طبيعة السباق المستقبلي "لا ترجّح أن عمالقة التكنولوجيا الحاليين سيكونون بالضرورة قادة الغد".

ويعتقد أنه "سيكون هناك الكثير من اللاعبين الجُدد الذين قد يدخلون اللعبة بقفزات ابتكارية تزيح العمالقة الحاليين عن موقع الصدارة.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

الخبز «سلطان» الموائد العربية وبوابة للحميات الغذائية

الرغيف البني يمد الجسم بالطاقة وينقص الوزن

النشويات الموجودة في الخبز بكثرة اكتسبت في السنوات الأخيرة سمعة سيئة، ولا تضاف إلا نادرا إلى أي حمية لإنقاص الوزن، وبالرغم من ذلك، لا يزال هناك شيء لم يتغير وهو أن الإنسان في حاجة إلى النشويات في نظام الأكل الصحي، لأنها إحدى أهم مجموعات الأغذية الأساسية.

الإنسان في حاجة إلى النشويات في نظام الأكل الصحي

محمد اليعقوبي

يعتبر الخبز الغذاء الأكثر استهلاكا لدى مجتمعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إلا أن معظم الناس لا يعرفون الفرق بين القيمة الغذائية للخبز الأبيض الخالي من النخالة أو الأسمر المعد من القمح الكامل ومدى تأثيرهما على الصحة.

ولكن الأشخاص المولعين بالحميات الغذائية والراغبين في الحصول على أجساد رشيقة يفرقون بين ألوان أرغفة الخبز التي يتناولونها ويختارونها بعناية فائقة من أرصفة المتاجر.

وفي السنوات الأخيرة، أعرض الكثيرون عن تناول الخبز الأبيض مستعيضين عنه بالخبز البني المصنوع من نتاج القمح الكامل، بسبب كم الرسائل التي أمطرهم بها الخبراء عن فوائد تناول الخبز الأسمر للحفاظ على الصحة ومد الجسم بالطاقة وإنقاص الوزن وحتى الوقاية من بعض الأمراض.

> شريحة واحدة من الخبز الأسمر تزود الشخص البالغ بنحو 15 بالمئة من كمية الألياف التي يحتاجها الجسم

وتؤكد الأبحاث أن الخبز الأسمر يحتوي على ألياف أكثر بثلاث مرات ونصف مرة من الخبز الأبيض، إذ أن شريحة واحدة من الخبز الأسمر تزود الشخص البالغ بنحو 15 بالمئة من كمية الألياف المطلوبة للجسم. كما أنه يشكل مصدرا أفضل أيضا للمعادن مثل المغنيسيوم والبوتاسيوم والزنك.

ويصنع الخبز الأسمر من الحبوب الكاملة، وهو من أقدم الأطعمة التي صنعها الإنسان قبل حوالي 14 ألف عام. ولم يعرف البشر الخبز الأبيض الذي يصنع اليوم من الدقيق المنزوع القشرة، إلا في القرن التاسع عشر مع ظهور الجيل الأول من آلات العجن والمطاحن الأوتوماتيكية.

واكتسب الخبز الأبيض سمعة سيئة في الأعوام الأخيرة رغم مظهره الحسن، ولا يضاف إلا نادرا إلى أي حمية لإنقاص الوزن. ويصنع الخبز الأبيض أيضا من القمح الكامل ولكنه منزوع القشرة، ولا يحتوي على كمية جيدة من الألياف الصحية. ولذلك فهو لا يعطي الإحساس بالشبع لفترات طويلة، فبعد تناوله بمدة زمنية قصيرة يبدأ الأشخاص في الشعور بالجوع، ويكون الحل الوحيد هو استهلاك المزيد منه. أما الخبز الأسمر فيكون غنيا بالألياف التي تعطي الشعور بالشبع لفترات أطول.

ويؤكد غالبية أخصائيي التغذية على ضرورة تناول ثلاث وجبات من الخبز الأسمر وبكميات لا تزيد على ثلاث شرائح في اليوم وعلى مدى متوسط تتراوح مدته بين شهرين أو ثلاثة، بهدف خفض وزن الجسم والمساعدة على إذابة كمية الدهون المترسبة في جلدة البطن وأعضائه.

ونصحت دراسة قامت بها جامعة تافتز كل من يرغب في إزاحة الدهون بتناول الخبز الأسمر وتجنب الخبز الأبيض.

وحسب النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن الخبز الأسمر المصنوع من الحبوب بما في ذلك قشورها أو ما يعرف بالنخالة لا يتسبب في تكوين الدهون في البطن إلا بقدر قليل وأقل بكثير من الخبز الأبيض الذي يتكون في غالبيته من النشويات.

والنشويات هي عادة ما يعني للبعض الكربوهيدرات نفسها، وهي توجد في أطعمة مثل الخبز والمكرونة والبطاطس والأرز، وكل هذه الأصناف ذات اللون البيج ليست جيدة ويجب تجنبها.

وحتى الكربوهيدرات ذات اللون "الأبيض" ليست مفيدة، وتوجد في الأطعمة السكرية مثل المشروبات الغازية، والحلويات، والأطعمة المصنعة والمكررة، بما في ذلك الكعك والبسكويت.

وتتحول معظم النشويات في هذه الكربوهيدرات ذات اللون البيج وذات اللون الأبيض إلى الغلوكوز للحصول على الطاقة، وإذا كان الشخص يأكل أكثر من اللازم، فإنه سيتم تخزين الغلوكوز كدهون في الجسم ويبدأ الوزن في الزيادة.

ونوّه الخبراء إلى حقيقة مهمة وهي أن الإفراط في تناول الخبز الأبيض يمكن أن يزيد الدهون في البطن، فيما يحتوى الخبز الأسمر على عناصر لا تتسبب في السمنة وعلى العديد من الفيتامينات منها ب12 وب14، وعلى الكثير من الأملاح التي قد تساهم في تذويب الدهون بسهولة.

غير أن البعض من الدراسات نبه أيضا إلى أن الخبز الأسمر يمكن أن يملك آثارا سلبية تخص عملية إنقاص الوزن، إذا تم إدخال بعض التعديلات عليه أثناء عملية التصنيع، من أجل إطالة صلاحيته، وهي التعديلات التي تشمل مواد غنية بالدهون المشبعة، تجعل تناوله بكثرة لا يقل خطورة عن تناول الخبز الأبيض.

ولكن هناك نوعا آخر من الألياف الكربوهيدراتية، الموجودة في الفاكهة والخضروات والتي يمكن أن تحمل العديد من الفوائد إذا تم إضافتها للأنظمة الغذائية، ويسميها الخبراء "الكربوهيدرات الخضراء". وتمنح الشعور بالشبع، وتبطئ إفراغ المعدة، وعادة ما يكون هذا هو الجزء من النبات الذي يزود الجسم بالفيتامينات والمعادن.

وهي جيدة للأسنان واللثة وجيدة للأمعاء، وتحافظ على حركتها وتطعم البكتيريا الموجودة فيها.

وهناك أيضا النشا المقاوم، ويوجد في الأطعمة الغنية بالألياف مثل العدس والفاصوليا والحبوب الكاملة غير المصنعة، ويصعب هضمها بطريقة جيدة، فهي تصل إلى أسفل الجهاز الهضمي السفلي (القولون) ووظيفتها الرئيسية هي إطعام بكتيريا الأمعاء.

ولبكتريا الأمعاء الصحية مجموعة كبيرة من الفوائد، البدنية والعقلية.

وشدد خبير التغذية نيكولا ميكون من جامعة تافتز على أهمية التنويع الغذائي أثناء تناول الخبز الأسمر ومراعاة الكمية التي يتم تناولها يوميا حتى لا يتسبب ذلك في إعياء أو إتعاب أعضاء الجسم ولاسيما المعدة والقولون.

واعتبر ميكون أن دهون البطن غير صحية ويجب التخلص منها، إذ أنها تلتف حول الأعضاء الداخلية في جوف البطن فضلا عن أنها تفرز عناصر وجزيئات تلحق أضرارا بالصحة مثل ارتفاع ضغط الدم وزيادة مستوى الدهون الثلاثية والتسبب في مرض السكري والارتباك في الدورة الدموية، مشددا على ضرورة تجنب تناول الدهون بكثرة بشكل عام.

ويوجد العديد من العوامل الأخرى التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار، وفق ما أكد الكثير من الباحثين، فالتنويع في الأنظمة الغذائية بهدف إنقاص الوزن ومحاربة السمنة، دون الاهتمام بممارسة الأنشطة البدنية والرياضية، لن يؤدي تماما إلى النتائج المطلوبة، فالكربوهيدرات الموجودة مثلا في الخبز الأسمر ستتحول أيضا إلى دهون متراكمة يصعب تخفيضها للأسف.

وفي النهاية، يؤكد هذا الأمر أن الاعتماد على نظام غذائي معين للفوز بالفوائد الصحية، يعد علامة أخرى على البحث الذي لا ينتهي عن وصفة سحرية لحل مشكلات البدانة. وهذا التفكير، يتجاهل الطبيعة ذات العوامل المتعددة من المشكلات الصحية المرتبطة بالنظام الغذائي. ويتفق معظم العلماء على أن إعطاء قاعدة عامة للناس لاختيار النظام الغذائي الأنسب لأجسامهم لا معنى له، إلا أن البعض يرون أن النظام الغذائي الصحي يتطلب تحولا هائلا، عن ما يكدسه الكثيرون فوق أطباقهم، إلى الأطعمة التي بالكاد يأكلونها.

أيهما أفضل التمارين المتقطعة عالية الكثافة أم المنخفضة

فرانكفورت (ألمانيا) - كثيرا ما يحلم الرياضي بالتمتع بلياقة عالية بأقل مجهود ممكن، وهو ما يمكن تحقيقه عن طريق التمارين المتقطعة منخفضة الكثافة، والتي تعرف اختصارا باسم تمارين "ليت". ولكن في البداية ما هي هذه التمارين، وما المزايا التي تقدمها مقارنة بالتمارين المتقطعة عالية الكثافة "هيت"؟

وللإجابة على مثل هذه التساؤلات أوضح البروفيسور هربرت لولجين، الرئيس الفخري للجمعية الألمانية للطب الرياضي والوقاية، قائلا، "في التمارين المتقطعة سواء كانت منخفضة الكثافة "ليت" أو عالية الكثافة "هيت" يتم التبديل ما بين مراحل الإجهاد والتحميل المعتدلة والمراحل الفاصلة الأكثر كثافة".

ومن ضمن الأمثلة على تمارين "ليت" البسيطة الركض أو المشي لمدة ثلاث إلى أربع دقائق بشكل مريح ثم الإسراع لمدة دقيقتين. ويمكن تطبيق ذلك مع أنواع الرياضات الأخرى مثل ركوب الدراجات أو السباحة، كما ينطبق الأمر نفسه مع التمارين التي يتم أداؤها على جهاز التجديف أو حصيرة التمارين.

ويكمن الفرق بين النوعين من التمارين في أن تمارين "هيت" يتم التحميل فيها إلى أقصى درجة بنسبة تصل إلى 95 بالمئة، على العكس من درجة التحميل الأساسي في التمارين "ليت"، والتي تتراوح ما بين 50 و70 بالمئة. وبالنسبة إلى المراحل الفاصلة الأكثر إجهادا يمكن للمرء زيادة التحميل بنسبة أخرى من 10 إلى 15 بالمئة.

وبشكل عام يظل المرء في مستوى أقل من التمارين المتقطعة عالية الكثافة "هيت". وأوضح طبيب القلب الألماني "مع تمارين 'ليت' لا يعاني المرء من الإجهاد التام بعد المرحلة الأولى، وهو ما يؤدي إلى فقدان الدافع لدى الكثيرين لمواصلة التمارين. كما أن الحماس يعتبر من الأمور الحاسمة عند ممارسة هذه التمارين إلى جانب معدل نبضات القلب، وبطبيعة الحال يختلف هذا الشعور من شخص إلى آخر".

وليس معنى أن تمارين "ليت" أقل إجهادا من تمارين "هيت" الأقل كفاءة، حيث أكد طبيب القلب الألماني هربرت لولجين على أن الدراسات تشير إلى أنهما بنفس الكفاءة والفعالية تقريبا. وتساعد هذه التمارين على تقوية نظام القلب والأوعية الدموية، وتعمل على تعزيز اللياقة البدنية بشكل عام. ونصح الطبيب الألماني بممارسة تمارين قوة التحمل بشكل معتدل لمدة 150 دقيقة تقريبا كل أسبوع، بالإضافة إلى حصتين من تمارين تقوية العضلات، ويمكن البدء ببعض تمارين اللياقة البدنية المعتدلة.

وأضاف هربرت لولجين إلى أن التمارين المتقطعة منخفضة الكثافة "ليت" تتناسب أيضا مع الأشخاص الذين يعانون من أمراض القلب والأوعية الدموية أو مرضى السكري، ولكن ذلك ينبغي أن يكون مع اتباع الإرشادات المناسبة. وهناك بعض الأندية الرياضية وصالات اللياقة البدنية التي تقدم مثل هذه الدورات التدريبية.

> من تمارين «ليت» البسيطة الركض أو المشي لمدة ثلاث إلى أربع دقائق بشكل مريح ثم الإسراع لمدة دقيقتين

ويعد التدريب المتقطع عالي الكثافة من أحدث أنواع التدريبات التي تساعد على الحصول على لياقة متوازنة وقوية. ويقول المدربون إن تدريب "هيت" هو تمرين عالي الكثافة في وقت قليل، وله فائدة كبيرة في حرق الدهون بشكل سريع.

وأشاروا إلى أنّ برنامج التمرين يستمر على مدار شهرين كاملين، لمدة 5 أيام بالأسبوع وتستمر الحصة لمدة 16 دقيقة فقط وبعض الحصص تستمر لمدة 45 دقيقة. وهذا البرنامج التدريبي قادر على تحسين الصحة العامة، وليس خاصا أو موجها فقط للاعبي التنس وكمال الأجسام أو الرياضيين المحترفين، فهو مفيد جدًا لأي شخص يريد أن يحصل على جسد صحي ووزن مثالي.

خلال مرحلة التدريب المكثف، يقوم الجسم بحرق الكربوهيدرات بشكل أساسي للحصول على الطاقة الكافية، أما خلال مرحلة الانتعاش فيقوم الجسم بحرق الشحوم للحصول على الطاقة اللازمة لمساعدة الجسد في استعادة نشاطه بعد الجهد المكثف. يمكن لهذه العملية أن تستمر بعد التمرين لعدة ساعات مما يساعد في إنقاص الوزن طالما ترافق ذلك مع تناول الطعام الصحي.

وقال مارتن غبالا، أستاذ علم وظائف الأعضاء الخاص بالتدريبات الرياضية في جامعة ماكماستر في أونتاريو، كندا، والذي قضى عقودًا في دراسة الفوائد الصحية لنمط التدريب عالي الكثافة "أنا على اقتناع بأن هذه الطريقة هي الأقرب لما يمكن أن يُعد 'قرص الدواء' في ممارسة الرياضة، وهي متاحة للجميع، فقد أثبتت دراساتي أن بإمكانك الحصول على نفس الفوائد الصحية التي تجنيها من ممارسة ساعة من التمارين الهوائية الثابتة في دقيقة واحدة من التمرين الشاق". وأكد أن دراسات متعددة أثبتت أنه كلما زادت سرعة وصعوبة التمرين خلال فترات التمرين، زادت فعاليته وقلت المدة التي تحتاجها.

لكن تجدر الإشارة إلى أنه رغم أن الأشخاص الذين يمارسون هذا التدريب يعيشون فترة أطول وهم أقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية من الأشخاص الخاملين، أظهرت بعض الدراسات ازدياد خطر الإصابة بأزمة قلبية مفاجئة لفترة قصيرة أثناء وبعد وقت قصير من التمارين الرياضية القاسية.

كما أوضحت دراسة حديثة أن تأثير التمارين الرياضية الكثيرة يشبه تأثير الاحتراق النفسي، وذلك وفقا لنتائج الدراسة التي أجراها الباحثون والأطباء الرياضيون بمستشفى "بيتي سالبتريير" في العاصمة الفرنسية باريس.

وقد سعى الباحثون من خلال هذه الدراسة إلى اكتشاف كيف يؤثر الإجهاد البدني على الدماغ، حيث تجاوز الرياضيون حدودهم القصوى في التمارين الرياضية لمدة ثلاثة أسابيع، وقد تم خلال هذه الفترة تسجيل الأداء البدني ومشاعر الإجهاد ونشاط الدماغ بصورة منتظمة، بالإضافة إلى إجراء بعض التجارب السلوكية.

> التدريب المتقطع عالي الكثافة يعد من أحدث أنواع التدريبات التي تساعد على الحصول على لياقة متوازنة وقوية

وأظهرت نتائج التجارب استجابات مشابهة للاحتراق النفسي، حيث تمكن الأشخاص، الذين مارسوا رياضة قوة التحمل، بالكاد من التحكم في اندفاعاتهم مع نفاذ صبرهم بشدة، بالإضافة إلى إثبات الإرهاق الذهني المرتبط بالإجهاد البدني عن طريق الفحوصات. وقد ظهرت نتائج الإجهاد البدني بشكل خاص في منطقة الدماغ المسؤولة عن اتخاذ القرارات والتحكم المعرفي.

لعبة الديمقراطية لم تعد تقنع الشباب التونسيين

السياسيون يتكلمون لغة لا يفهمها الشباب ولا يريدون سماعها

ينتظر الشباب التونسيون من السياسيين إنجازات على أرض الواقع، وليس خطابات دعائية تناسب المواسم الانتخابية، فبعد تسع سنوات من الثورة التونسية وجد الشباب أنفسهم أمام رياح المجهول وفقدان الأمل بالمستقبل، والإحباط من طبقة سياسية لم تجلب سوى الأزمات المتلاحقة للبلاد.

رويدة رفاعي
صحافية سورية

على هامش السياسة

تونس - تجاوز عليّ عامه الثلاثين بأشهر قليلة، ولا يبدو أن عمله في الأعمال الحرة يضمن له خيارات جيدة لضمان المستقبل وتأسيس عائلة، يقابل كل من يسأله عن الزواج بتجهّم وامتعاض، قائلا "وهل هناك مستقبل في تونس لبناء عائلة؟".

يلقي عليّ بالمسؤولية، عن الأوضاع المعيشية والاقتصادية في تونس، على الطبقة السياسية ونخبها، ويعتبر أنها على اختلاف وجوهها وتياراته يمينية أو يسارية، فهي واحدة لا هم لها سوى احتكار السلطة وضمان مصالحها ممثلة بأحزابها التي لا تحمل أي تقدم للبلاد.

النتيجة بالنسبة إلى علي وإلى شريحة واسعة من الشباب التونسيين أن الديمقراطية ليست إلا كذبة حملت معها الأزمات بدل الانفراج.

تبدو هذه النظرة تشاؤمية وغاية في السوداوية، لكنها حالة عامة تسيطر على غالبية الشباب، وتظهر بوضوح جليّ خلال الأحاديث في المقاهي والجامعات والمدارس، وحتى بين الغرباء في وسائل النقل.

هذه الرؤية السوداوية أصبحت سمة بارزة لدى فئة الشباب الأكثر معاناة جراء الأزمات الاقتصادية والسياسية التي فاقمت من نسبة الفقر. فبعد مرور ثمانية أعوام على الثورة، ما زال حضور الشباب في ساحة العمل السياسي محدودا، مع استمرار معاناتهم من تفشّي البطالة، ولا تجري استشارتهم في القضايا الرئيسية التي تؤثر عليهم تأثيرا مباشرا.

انعدام التوافق

حملت الانتخابات التونسية التي جرت مؤخرا، سواء الرئاسية بمرحلتها الأولى أو التشريعية، الكثير من المفارقات، أهمها مدى التناقض الكبير بين التونسيين في اختيار أسماء مرشحيهم. ينسحب هذا التناقض على الأصدقاء المقرّبين والنساء والرجال وزملاء العمل والنخب الثقافية، وحتى ضمن العائلة الواحدة، إذ يندر أن يتفق اثنان على اسم مرشح واحد بمن فيهم أولئك الذين لم يذهبوا أصلا إلى صناديق الاقتراع، ويكتفون بالمشاركة الكلامية في النقاش العام.

> الديمقراطية لا تختلف عن السياسة من وجهة نظر الشباب، فهي تندرج ضمن الرؤية نفسها للطبقة السياسة، لا تحمل مشروعا وطنيا أو رؤية استراتيجية للمستقبل

الخيبة والإحباط من الوضع الراهن في البلاد أكثر ما يطال شريحة الشباب، الذين يفترض بهم أن يحملوا خططا عريضة لمستقبلهم وأن يملأهم الحماس والاندفاع لتحسين أوضاع البلاد، لكن الواقع معاكس تماما لذلك، وحمل معه كفرا بالديمقراطية وما حملته معها من سياسيين جروا البلاد إلى المجهول، بحسب ما يقول عمر.

يتابع عمر (35 عاما)، الذي تخرّج مهندسا غذائيا منذ سنوات لكنه يعمل مدرسا في إحدى المدارس الإعدادية الخاصة، "وفقا لمعايير الديمقراطية، فإن الديكتاتورية تنال تصويتا بالأغلبية الساحقة إذا ترشحت للانتخابات في تونس".

ويؤكد عمر أن موقفه هذا قد يعارضه البعض لكنهم ليسوا كثيرين، فسوء الأوضاع وحالة اليأس التي تسيطر على الشباب جعلت القيم تنقلب عما كانت قبل 2011 وما بعده.

ويضيف أن "حالة اليأس للشاب التونسي أصبحت تفترض الفشل التام أمام أي محاولة للتقدم. وهو شعور منتشر جدا، ويعترضنا في الكثير من النقاشات السياسية مباشرة ودون مقدمات، والأسوأ والأكثر خطورة هو أن هذا اليأس يتصدى لأي فكر تقدمي ويهاجم بكل قوة أي أمل أو طموح".

ووفق دراسة حديثة فإن المجتمع التونسي يتصدر المراتب الأولى في مستوى الإحباط واليأس بين شعوب العالم، وهو ما أدى إلى تراجع كبير في مردودية العمل بل و في الرغبة في الحياة، وبالنظر إلى أن فئة الشباب تشكل الغالبية في المجتمع التونسي فمن الطبيعي أنها ستكون الأكثر تضررا.

وبحسب دراسة أخرى أعدها المرصد الوطني للشباب، فإن أكثر من مليون شاب، متبخّرين في الهواء، لا يشاركون في أدنى نشاط ولا ينتمون إلى أي مؤسسة أو جمعية أو حزب. كما أن نسبة شباب الأحزاب لا تتجاوز في أقصى الحالات 8 بالمئة، بل إن الشباب المنضمين إلى الأحزاب يرون أنفسهم وقودا للحملات وصورة للديكور الديمقراطي فقط، أي أنهم لا يحملون، أساسا، قناعات وأفكار هذه الأحزاب.

ولم تتجاوز مشاركة الشباب دون الـ40، والتي تبلغ حوالي 60 بالمئة من السكان، نسبة الـ12 بالمئة منذ 2011 في الانتخابات التي جرت طيلة هذه المدة.

وفسرت الدراسة ذلك بتعاظم الفجوة بين النخبة السياسية والأحزاب من جهة وشباب تونس من جهة ثانية، فأغلب الأحزاب وقادتها، يتكلمون لغة لا يفهمها الشباب ولا يريدون سماعها، بل ولها مرجعيات "سلفية" لا تعنيهم، وتتحدث عن تاريخ لا يعرفونه ولا يهمّهم من ماركس إلى بورقيبة إلى الإسلام السياسي.

كما أصبحت صورة السياسي سلبية، إذ أن النخب تنقل إلى الشباب صورة سلبية للسياسة. فهي عالم يغلب عليه الفساد والانتهازية ولا تُحترم فيه المواهب أو الكفاءة. إلى جانب كهولة طبقة السياسيين حكما ومعارضة، وكذلك المجتمع المدني والنقابات ورفضها تشبيب القيادات وفسح المجال لمن يصغرهم سنّا ويفوقهم قدرة على تحديد أولويات مجتمع شاب في القرن الواحد والعشرين.

المسألة البارزة في تونس هي بعدُ طموحات الشباب وأحلامهم كل البعد عمّا طرحته الأحزاب وحتى القائمات المستقلة في الانتخابات من برامج وحملات كلاسيكية تم التركيز فيها كليّا على مشاغل العائلات والأبناء ونوعية الخدمات الخاصة بهذه الفئة، والتي لا تخاطب احتياجات وتطلعات الشباب العاجزين عن تكوين عائلة والعاطل عن العمل وتارك مقاعد الدراسة وضحية الانحراف والعنف.

الخوف من المجهول

يضاف إلى ذلك غياب دور المجتمع المدني والأحزاب في نشر ثقافة المواطنة والديمقراطية وقيم التشاركية وثقافة الانتخابات وضعف الحكومة في التواصل فيما يتعلق بالشباب والمكاسب الموجودة في القانون الانتخابي ومجلة الجماعات المحلية.

ونتج عن ذلك كله يأس من كل إمكانيات التغيير السلمي، إذ يجد الشباب نظرا إلى طبيعتهم المتمردة حلولا غير الانتخابات، وهو ما يفسر عنف بعض التحركات الشبابية وطابعها التخريبي، وخصوصا في المناطق المهمشة من جهة، وارتفاع أعداد المنضمين إلى الجماعات الإرهابية والإدمان على المخدرات من جهة أخرى.

ولم تعد الديمقراطية بالنسبة إلى الشباب التونسيين مختلفة عن السياسة، فهي تندرج ضمن نفس رؤية التونسيين العامة للطبقة السياسة، لا تحمل مشروعا وطنيا أو رؤية استراتيجية للمستقبل لمقاومة الفقر والتهميش والبطالة.

يؤمن الشباب في تونس اليوم أن الديمقراطية ليست لعبتهم أو ميدانهم، والأولوية بالنسبة إليهم تحسين الأوضاع وضمان الاستقرار والأمن وتوفير فرص العمل وتطوير التعليم والقطاع الصحي بالدرجة الأولى.

ويرون أن السمة البارزة التي طبعت السنوات الماضية هي الخوف من المجهول، كل شيء عن المستقبل يبدو غامضا ولا ملامح له، الأسعار في ازدياد والعملة المحلية هبطت قيمتها خلال السنوات الماضية، ولا يعرفون ما إذا كان القادم أفضل.

> يؤمن الشباب في تونس اليوم أن الديمقراطية ليست لعبتهم أو ميدانهم، الأولوية المطلقة بالنسبة إلى الشباب التونسي تحسين الأوضاع الاقتصادية وضمان الاستقرار والأمن وتوفير فرص العمل وإصلاح التعليم والقطاع الصحي

شبح الإسلام السياسي

يمثل تيار الإسلام السياسي شبحا للجيل الحالي من التونسيين ومن بينهم المحافظين، إذ لم تعد تنطلي عليهم الخطابات المعتدلة والدعاية الانتخابية، بعد ما شهدوه من محاولات هذه الجماعات السيطرة على مفاصل الحكم والتغلغل في الإدارات بطرق ملتوية، ففي الوقت الذي ينادي فيه قادة هذا التيار بالاعتدال يقومون بدعم الحركات المتشددة والمتطرفة سرا.

ووجد البعض من الشباب أن المشاركة في الانتخابات ربما تكون الحل الوحيد لعدم ترك الساحة مفتوحة لحركة النهضة. وتقول وسيلة إنها ستنتخب "لكي لا نترك البلاد للذين كذبوا علينا وخذلونا". لكن وسيلة تمثل نسبة ضئيلة من الشباب الذين مازالوا يؤمنون بجدوى المشاركة السياسية.

وإثر انتخابات 2014، نجح حزب نداء تونس الذي قدم برنامجا ضد الإسلاميين، لكن سرعان ما تحالف مع حزب النهضة تاركا مرارة لدى ناخبيه. ولهذا السبب، تقول غزوة معاوية (مدرّسة) إنها لن تشارك في الانتخابات مثلما فعلت ذلك في 2014 عندما كانت مراقبة لعملية الاقتراع.

وتضيف "كل هذه الحملة، مسرحية هزلية". وتتابع "يتواجهون في البرامج السياسية المتلفزة، ولكن يتم تقاسم السلطة في الكواليس بين الأحزاب الكبرى التي تتشارك في الكعكة".

ووفقا لأستاذة الرياضة الحائزة على الدكتوراه والتي تدرس بمعهد حكومي بالعاصمة، فـ"إن الحكم لن يكون أبدا بين أيدي الشباب، هم مجرد صورة".

وتضيف "الشباب لديهم أفكار وينشطون كثيرا في المجال الجمعياتي، ولكن ليست لهم أي سلطة سياسية تخولهم التقدم".

قضايا فردية

يظهر تقرير سابق للبنك الدولي أن المواطنة الإيجابية والمشاركة في الحياة المدنية من جانب الشباب التونسيين ضرورية للحفاظ على الزخم الاجتماعي والاقتصادي الإيجابي الذي تشهده البلاد، وتحقيق الاستقرار السياسي، ومع ذلك فإن عددا قليلا منهم ينخرطون في شكل من أشكال المشاركة السياسية، ماعدا الحشد من أجل التظاهرات.

وفي الواقع، فإن الحراك الشبابي فاعل في قضايا فردية لا سياسات عامة، وتكون فيه أداة الحشد هي وسائل التواصل الاجتماعي خارج نطاق المؤسسات المدنية والسياسية التي تأسست رسميا.

وفضلا عن البطالة، يكشف التقرير أيضا النقاب عن ارتفاع مستوى الشعور بالإحباط وخيبة الأمل بين الشباب. وتذهب التقديرات إلى أن نسبة العدد الإجمالي للشباب من أعمار 15 إلى 29 عاما الذين هم "خارج دائرة التعليم والعمل والتدريب" تبلغ 33 بالمئة، وهي من أعلى المعدلات في المنطقة.

وترجع أسباب هذا الإحباط إلى عدة أمور، تتراوح من الأحوال السائدة في سوق العمل وضعف جودة التعليم إلى التفاوتات الجهوية والتحيز على أساس نوع الجنس.

وفي هذا الصدد، تقول غلوريا لا كافا، كبيرة علماء الاجتماع في البنك الدولي والمؤلفة الرئيسية للتقرير، "لقد منحت الثورة التونسيين بارقة أمل في إمكانيات مستقبل جديد. ومهمة بناء مستقبل جديد لم تتحقق بعد، ولا يمكن تحقيقها بالشباب وحدهم. إنما يجب بذل المزيد من الجهود لجمع كل أصحاب الشأن وذوي المصلحة معا. ومن بين هؤلاء مُقدّمو خدمات التعليم من القطاعين العام والخاص، والمجتمع المدني، وواضعو السياسات والإداريون في القطاع العام، ومؤسسات القطاع الخاص وقطاع المنظمات غير الحكومية الناشئة التي تُعنى بقضايا تشغيل الشباب، والحكومات المحلية، وفوق ذلك كله الشباب".

ومع وجود دستور يقرّ بأن "الشباب هم القوة الدافعة في بناء الأمة" ينبعث الأمل في مستقبل أفضل للشباب التونسيين، لكن على السياسيين إذا أرادوا استكمال مشوارهم السياسي استعادة ثقة الشباب، بمساعدتهم على الإيمان بمستقبلهم مرة أخرى من خلال التمتع بمزايا التعليم الجيد، والعمل على توفير الوظائف والأنشطة التجارية، ومنحهم الفرصة للتعبير عن آرائهم والمشاركة النشطة في المجتمع المدني والحياة السياسية على المستويات المحلية والجهوية والوطنية.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

الارتياب في عقل المرأة دعاية سلبية تحقر مكانتها الفقهية

المرأة لها سبق رواية الحديث النبوي وتصحيح سنده وتعليمه للرجال والنساء

إنجازات يطاردها السلفيون لتحقير المرأة

حققت المرأة انجازات عظيمة في مجال الفقه ونقل الحديث النبوي وهو ما تدل عليه الكثير من قصص الصحابيات والمحدثات اللاتي كانت لهن مساهمة كبيرة في نقل علمهن إلى المسلمين من أبناء عصرهن وحتى من الأجيال اللاحقة، غير أن أصحاب الفكر المتشدد خاصة من السلفيين يرددون أحاديث ملفقة ومزورة بهدف الترويج لتصورات وهمية عن شخصية المرأة من أجل التشكيك في قدراتها العلمية والفقهية وضرب الثقة فيها وفي آرائها، فيما تبرز الوقائع التاريخية حقيقة مغايرة لذلك تماما.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

علم رواية الحديث الذي يحظى باهتمام خاص من السلفيين هو نفسه الذي يدحض تصورات التيار الأصولي بشأن المرأة، فالقراءة التاريخية تؤكد تفوقها وتفردها في العلم الذي سعوا لاستخدامه لتحقيرها وازدرائها.

تضع أسماء سيّد أستاذة الدراسات الإسلامية في جامعة كاليفورنيا رموز التيار السلفي في مأزق منهجي عندما يستشهدون بالحديث النبوي نفسه للحط من قيمة المرأة ولوضعها في مكانة دون الرجل، من خلال إشارتها إلى الدور الرئيسي الذي أدته آلاف النساء المسلمات في نقل الحديث النبوي وتصحيح سنده وتعليمه للرجال والنساء على مدار قرون.

أسماء سيد

حوالي 299 شخصا أخذوا العلم عن عائشة زوجة الرسول بينهم 67 امرأة فقط

تحدد الباحثة الأميركية من أصول هندية، في كتابها "المرأة ونقل المعرفة الدينية في الإسلام"، أزمنة اضمحلال مشاركة المرأة في رواية الحديث، والملاحظ أن المشترك بينها هو طغيان الفكر المتشدد، بما ينبه لتلازم عكسي بين حضور المرأة وتفوقها ومنحها حقوقها العلمية والفكرية والثقافية وبين الفكر السلفي في الجهة المقابلة، ذلك الذي أطلق على "الجرح والتعديل" وصف علم الرجال فلا مكان للمرأة في ساحة يحكمها العلم والعقل، محاولا طمس انجازات المرأة وسبقها في هذا الميدان كما يطمس ملامحها ومشاعرها.

فضلا عما ذكرته أسماء سيّد بشأن علوّ مكانة صحابيات مثل عائشة وأم سلمة في رواية الحديث وشرحه وأنهما لا تقلان مكانة حفظا ودراية عن كبار الصحابة ممن تميزوا في هذا المجال مثل عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس، فإن شواهد كثيرة دالة على استمرار هذا التفوق النسوي بنسب متفاوتة لقرون طويلة.

تفوق نسوي

تكمن المفارقة في أن أدعياء مبدأ اللامساواة بين الرجل والمرأة يتم تقديمهم بوصفهم محدثين وهي درجة متقدمة في هذا الفن، وتنتشر أقوال عبر فيديوهات مصورة لأبي إسحاق الحويني الموصوف لدى السلفيين بمحدث العصر تحط من قدر المرأة، في حين كانت المرأة على رأس هذا العلم ذاته، وعلى يد كثير من المحدثات وراويات الأحاديث تعلم ودرس كبار العلماء والفقهاء.

يصعب حصر الشواهد والأقوال التي يمجد بها كبار رموز علم الحديث القدامى أساتذتهم من النساء والراويات اللاتي أخذوا عنهن العلم، ومنها ما أورده بن حجر العسقلاني في كتابه "المعجم المؤسس للمعجم المفهرس" كثيرا من شيخاته ونوه لاشتراكه في السماع عن الشيوخ مع بعضهن ووصف بعضهن بأنها مصنفة وهي عائشة بنت عبدالله الحلبية. كما أورد الذهبي قبله في كتابه "معجم شيوخ الذهبي" كثيرا من شيخاته وكان يقول عن بعضهن "توفيت شيختنا".

ما يؤكد أن محاولات بعض المعاصرين للحط من قدر المرأة ونفي مقدرتها واستحقاقها أن تكون فقيهة وعالمة ليس مصدرها الدين وأن ادعاءهم القربى من علم الحديث إدعاء كاذب -فالمرأة التي يزدرونها جزء من تاريخ هذا العلم، ليس كمتلقية بل محدثة وراوية- ما حكاه الرحالة ابن بطوطة عن محدثات عصره اللاتي قرأ عليهن الكتب وترجمة السخاوي لما يزيد عن مائة وسبعين سيدة من المحدثات الفقيهات واعتراف العالم الموسوعي جلال الدين السيوطي بدور شيخاته في تكوينه العلمي وكذلك فعل ابن حزم.

وأكدت الباحثة أسماء سيد أن وصول المرأة المسلمة لهذا المستوى الرفيع في مجال مثل علم الحديث مما يدحض باتجاه تصحيح الكثير من المفاهيم السلفية المغلوطة عن المرأة.

لا يصح أن تُقبل الدعاية السلبية عن المرأة كونها ناقصة عقل ودين. وهناك محدثة وراوية تدعى فاطمة بنت قيس انفردت برواية حديث طويل ومعقد لما فيه من دقة الصور والمشاهد وغرابتها كحديث صفة وخروج الدجال، والذي حدث به النبي وسط حشود من الرجال والنساء بالمسجد بعد أن نودي للصلاة جماعة، فكيف تتهم امرأة بلغت هذا المستوى من الذكاء ودقة الحفظ بنقصان في عقلها.

دقة في علم الحديث

الذكاء والمقدرة العجيبة على الحفظ والإجادة لما تم سماعه أوصل المرأة المحدثة إلى مستوى إجازة العلماء منذ القرن السادس الهجري، وهو ما يعكس مدى رسوخها ودقتها في هذا العلم.

ومن المحدثات اللاتي أجزن علماء خديجة بنت أبي سعيد وأم إبراهيم فاطمة بنت عبدالله الجوزدانية والتي وصفها الذهبي بمسندة الوقت. وأجازت المحدثة زينب بنت عبدالله بن عبدالحليم المحدث ابن حجر العسقلاني. وتفردت بعض المحدثات ببعض الروايات مثل زينب بنت سليمان بن إبراهيم التي أخذ عنها العلم الإمام تقي الدين السبكي.

"أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى"، جزء من آية قرآنية يُستدل بها على أن شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل. وعلل ابن القيم ذلك في كتابه "إعلام الموقعين" بتوكيد الحفظ "لأن عقل المرأتين وحفظهما يقوم مقام عقل رجل وحفظه، فهي أضعف من الرجل في هذا الجانب"، غافلا عن أن فعل "تضل" ليس مرادفا للنسيان، إنما بمعنى اختلط عليها الأمر نتيجة ملابسات واقعة بعينها.

أما القدرة على الحفظ فقد أثبت تاريخ راويات الحديث أنهن تفوقن على كثير من رموز وقامات هذا الفن حفظا ودراية، وهو التاريخ الذي يصدقه واقع اليوم وكل العصور في مختلف العلوم والمجالات، ويلفت إلى ضرورة تجديد القناعات بشأن أحكام مرتبطة بظروف الوقائع وملابساتها لا بحال المرأة وعقلها الذي أثبت عبقريته وألمعيته.

جعل أعضاء الجماعات المتطرفة من دعوى حرمة اختلاط الجنسين إحدى مهامهم الرئيسية في الجامعات بجانب فرض الحجاب على المرأة والجلباب والنقاب، وبمكانة المرأة التي وصلت إليها في الفقه وباقي الفنون والعلوم، تم اختلاق أحاديث موضوعة تنم عن الارتياب في عقل المرأة ودينها، مروجة لتصورات وهمية عن شخصية المرأة، مؤداها التنفير من تعليمها ومن الثقة بها كصاحبة رأي يُعتد به.

صورة زائفة

المرأة التي كان لها سبق رواية الحديث وتصحيح سنده وتعليمه للرجال والنساء، يكافئها السلفيون بترويج أحاديث مزورة مكذوبة تناقض القرآن وصحيح السنة، من شأنها تكريس صورة زائفة لشخصية المرأة وتجعلها بالنسبة للرجل في درجة أقل في كل شيء سواءً في العلم أو العقل ومستويات التفكير.

تشير أسماء سيد إلى أن الاعتداد بأحاديث منسوبة للنبي محمد، سُجلت بعد قرابة مئتي سنة من عصر النبوة، هو اعتداد باطل ما لم تطبق عليه قواعد العقل والمنطق لتتضح صحته، حيث لا يكفي أن تعتمد مبادئ اعتمدها رواة الحديث في الجرح والتعديل وغيرها؛ فجميعها لم تمنع حديثا يحط من قدر المرأة ويهين عقلها من الوصول إلى القارئ المعاصر على أنه حديث موثوق به.

الفقه النسوي يتصدى للممارسات الهادفة لإخضاع المرأة

هشام النجار
كاتب مصري

لا تعد ظاهرة النسوية الإسلامية جديدة فهناك نضال نسوي على مدار عقود يرتكن لظهير فكري إسلامي قادته أسماء كبيرة ومهمة، مثل نظيرة زين الدين في لبنان وعائشة التيمورية ونبوية موسى وهدى شعراوي في مصر وغيرهن.

الجديد الآن، التحول من النشاط السياسي والميداني أو التخفيف منه لصالح الإنتاج الفكري والفقهي الذي يمكن هذه الحركة من كسب مشروعية مضاعفة عبر تحييد البعد الديني وعدم منح الفقهاء الأصوليين ما ظلوا يحظون به من حرية ومقدرة على شيطنة وتأثيم تيار التحرر النسوي.

ربما أسماء فقيهات نسويات مثل نائلة السليني وآمال قرامي وفاطمة المرنيسي وعزيزة الهبري وليلى أحمد وأسما برلس وأمينة ودود وغيرهن لسن مشهورات لدى العامة، في وقت يقدن ثورة فكرية قد ينقصها التخديم الإعلامي والترويج لها عبر مؤتمرات تلقي الضوء على إنتاجهن، وعندما يحدث لن يقل أثر عطائهن في المجال الذي يجتهدن فيه عما أحدثه نضال المحررات الأوائل في الفضاء العام وفي ضمير المرأة العربية والمسلمة.

حرص النساء المسلمات على التصدي للأصولية المتشددة خصوصا مع ظهور الممارسات الأسوأ في حق المرأة بصعود نماذج طالبان والقاعدة وداعش، ولد رغبة داخل أوساط النخب النسائية في تقديم قراءات مغايرة لإشكاليات الفكر المنغلق الأحادي عبر فقه نسوي تجديدي يفضح الطرح التقليدي وممارساته التسلطية على ضمائر الناس وعلى المرأة تحديدًا.

علاوة على أن الإهانة والإجحاف اللذين تعرضت لهما المرأة المسلمة والعربية باسم الفقه الأصولي دفعا للبحث العلمي والفكري عن مواقف أخرى داخل النص الديني أكثر تكريمًا وحميمية وقرابة إلى الهوية الأنثوية.

جرأة الحركات المتطرفة واقتحام تيار الإسلام السياسي لعمق المجتمعات بغرض اكتساح المجال العام ونجاحه في استقطاب النساء غير العالمات، قابلتها جرأة نسائية في فتح تحقيقات عميقة في كل الممارسات التعسفية التي تقيمها مختلف السلطات الفقهية بغرض تكريس اللامساواة والنظرة غير العادلة للمرأة، عبر التنقيح في المصادر الشرعية عن المفهوم الإسلامي الحقيقي للأنثى كشخص قانوني وكإنسان كامل وعن مكانتها ودورها وطبيعة علاقتها بالرجل.

كما أن رفض الأساس النظري الذي عولجت في إطاره قضية تحرير المرأة، والرغبة في التأكيد على أن المسلمة قادرة على أن تتحرر من دون أن تتماهى مع النموذج الغربي للمرأة، دفع لحضور إسلامي نسوي متناغم وابتكار فقه نسوي يقاوم أشكال السيطرة والقمع الأبوي دون أن تنأى المرأة بنفسها عن الدين أو تخرج عن إطاره العام ومبادئه.

قضية تحقيق المساواة هي الأهم وتشغل حيزا كبيرا ضمن إنتاج الفقيهات النسويات الفكري؛ وهي تعني في خطابهن التساوي في احترام كل واحد لعواطف الطرف الآخر، ورفض تشريعات الفقهاء التي تتنافى مع جوهر المساواة التي أقرها القرآن للبشر جميعًا وللجنسين على حد سواء.

تحدى الفقه النسوي من يزعمون أن أفضلية الرجل هي إملاء إلهي، ورأت واضعات أسس هذا الفقه أن جوهر الإسلام متسق مع المساواة بين الجنسين وأن ما يظهر الإسلام على سبيل الوهم كمعاد لحقوق المرأة هيمنة تفسيرات متشددة لا تعدو أن تكون أيديولوجيا ذكورية صاغها فقهاء وألبسوها ثيابًا دينية، بما شكل تجنيًا على القرآن الذي أنصف المرأة كإنسان.

البحث العلمي عن مواقف أكثر تكريما للهوية الأنثوية

وكي يُعاد فهم وتفسير القرآن بما يتسق مع غاياته وبحثا عن المعاني التي تتماشى مع الأهداف النسوية المشروعة، قدمت الفقيهات النسويات نقدا للمقولات والاجتهادات المتعلقة بالمرأة، كاشفات ما انطوت عليه من انحيازات ذات أصول تاريخية وثقافية.

تصدى الفقه النسوي لطائفة واسعة من الممارسات والقوانين الظالمة التي لم تكتف بالحرص على إخضاع المرأة بل وصمتها بأنها مواطن من الدرجة الثانية، متجاوزا الأحكام التي كانت متسقة مع منظومات اجتماعية مؤسسة على مبدأ الذكورة ومبدأ السيادة للرجل، والتي أسهم في تشكيلها متخيل جماعي غذاه الفقهاء في تشريعاتهم منتجين منظومة تمييزية تقوم على فهم مغلوط لمبدأ القوامة من شأنه حرمان المرأة من كل سلطة ومن السير في طريق إكمال مكتسباتها وحقوقها.

اعتبرت الفقيهات النسويات القواعد المتوارثة ليست في حقيقتها ذات طبيعة دينية وإنما هي قواعد من وضع البشر في سياق تاريخي معين ويمكن للبشر تجاوزها أو تطويرها، ورأين أن الأحكام الفقهية المتصلة بالمرأة والمشرعة لوضعيتها الدونية تتعارض مع قيمة المساواة بين الجنسين.

الفقيهات النسويات قدمن نقدا لكافة المقولات والاجتهادات المتعلقة بالمرأة كاشفات ما انطوت عليه من انحيازات ذات أصول تاريخية وثقافية

الفقه النسوي مهموم بتحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة معتبرا أن الإسلام لا يتعارض مع مبدأ المساواة الاجتماعية بينهما عند توفر أسبابها بتطور الزمن، وليس هناك ما يدل على أن ما وصل إليه التدرج في حياة النبي في بعض القضايا ذات الصلة كتعدد الزوجات والميراث وغيرها هو نهاية المأمول.

إذا كان القرآن وجه المرأة لاكتساب حقوق لم تكن موجودة قبل الإسلام، فمن واجب الفقيه المعاصر المضي مجددا لتحسين أوضاعها.

البرتقالي يزين أظافرك هذا الخريف

ميونخ – يتربع البرتقالي على عرش ألوان طلاء الأظافر في خريف/شتاء 2020/2019 ليمنح المرأة إطلالة مشرقة ومبهجة تكسر كآبة الأجواء السائدة في هذا الوقت من العام.

وأوضحت مجلة "Elle" الألمانية أن البرتقالي يطل هذا الموسم بطيف لوني واسع يمتد من درجات الباستيل ذات الطابع الرومانسي الحالم وصولا إلى درجة البرتقالي المحروق "Burnt Orange" ذات الطابع القوي والجريء.

وأضافت المجلة المعنية بالموضة والجمال أن طلاء الأظافر البرتقالي يغازل الأظافر المستديرة والأظافر التي تتخذ شكل حبة اللوز، على حد سواء.

اختيار طلاء الأظافر باللون البرتقالي يتيح للمرأة مواكبة أحدث صيحات المانيكير دون قلق، خاصة بما يتيحه من درجات تناسب جميع ألوان البشرة، ومن بينها البرتقالي الناري والبارد، والمحروق، فإذا كنت من صاحبات البشرة السمراء اختاري الألوان المشرقة أو الناصعة من البرتقالي، أما إذا كانت بشرتك بيضاء، فاتجهي إلى الدرجات الهادئة أو الباستيل منه لتناسب يديك وتظهر جمالهما.

وبما أن البرتقالي يتناغم مع الأزرق بصفة خاصة، لذا فإن طلاء الأظافر البرتقالي يبدو رائعا مع الملابس الجينز.

هكذا تنسق قطع الثياب بنقوش جلد النمر

باريس – لا يمكن تفويت ارتداء المطبوعات بنقوش جلد النمر أو الفهد هذا الموسم حيث أنها باتت موجودة في كل مكان.

تجد مطبوعات جلد الفهد مكانها في خزانة موسم خريف وشتاء 2019 بعدما أحرزت تقدما ملحوظا في موضة الصيف والربيع، وبالرغم من أنها قد لا تكون محبوبة من الجميع وقد يكره البعض ارتداءها خوفا من الوقوع في أخطاء تنسيقها مع بقية القطع إلا أنها تكتسح عالم التصاميم وآخر تقليعات الموضة.

ولا تزال نقوش الفهد والنمر الشرسة التي اعتمدتها علامة كريستيان ديور في معاطفها منذ أكثر من 50 عاما تثير الجدل، وما زال البعض لا يجرؤ على تبنيها خشية الوقوع في الذوق السيء.

وأوردت مجلة "ELLE" الفرنسية أنه من خلال التعامل مع هذه النقوش أو مطبوعات جلود الحيوانات بعناية والجمع بينها وبين القطع الجيدة، فإنها تكشف عن كل إمكاناتها الجمالية الرائعة وتضفي لمسة مميزة على المظهر.

وأدخلت مطبوعات جلد الفهد هذا الشتاء على التنانير القصيرة، والسراويل المستقيمة، والبلوزات، والمعاطف والفساتين لتظل خيار السيدات الأكثر جرأة، لكن مع إضافة لمسات خاصة على الإكسسوارات الملائمة لها والتي يجب اختيارها بعناية فائقة ومن بينها الحقائب الصغيرة وحقائب اليد أو أحذية الموسم.

■ سراويل بمطبوعات جلد النمر

تحتار الكثير من السيدات في ما الذي يمكن ارتداؤه مع سروال بنقوش الفهد أو النمر. يمكن ارتداء هذا السروال بشكل جيد فتصبح سراويل الفهد واحدة من أكثر القطع الأنيقة في ملابسنا. ويمكن أن نهدئ اللعبة من خلال سترة أو بلازير بقصة مهيكلة وقميص باللون الأبيض الأساسي ونضيف بعض المجوهرات الذهبية لنتمتع بطلة جذابة.

■ تنورة جلد الفهد

الأكيد أن الكثير من السيدات اعتمدن تنورات الفهد بالفعل في الصيف الماضي، وتواصل تنورة جلد الفهد التواجد في خزانة ملابسنا الشتوية. وينصح الخبراء باختيار التنانير ذات الطول المتوسط والذي يلائم جميع القامات ويتكيف مع كل الأنماط وجميع المناسبات، في العمل أو في المكتب يمكنك ارتداؤها مع قميص أبيض خفيف وفضفاض قليلا وزوج من الأحذية بطول يصل إلى الكاحل. وبشكل يومي يمكن ارتداء تنورة الفهد وسترة سميكة وفضفاضة مع زوج من الأحذية الرياضية وإكسسوارات ذهبية للحصول على إطلالة غير رسمية وأنيقة.

■ معطف بنقوش جلد الفهد

معطف جلد النمر الفضفاض يخطف الأنظار بطابعه المميز، ولتهدئة توهّجه يمكن ارتداؤه مع سروال جينز رمادي أو أسود، وكنزة صوفية ذات رقبة لولبية وبتصميم فضفاض وواسع لمظهر غير رسمي، أما فيما يخص الحذاء فيمكن أن نعتمد على حذاء أسود أو بلون هادئ وتصميم بسيط ورياضي أو كونفيرس.

■ فستان بنقوش الفهد

لتليين المظهر الوحشي لفستان الفهد، نرتكز على أساسيات موجودة دائما في خزانة الملابس لدينا من بينها سترة الدنيم أو الجينز أو كنزة فضفاضة أو زوج من الأحذية الرياضية البيضاء. ولم لا ترتدينه مع قميص رجال مفتوح؟

■ قميص بنقوش الفهد

بالنسبة للسيدات الراغبات في ارتداء نقوش الفهد من دون الوقوع في الذوق السيء والأخطاء في التنسيق قميص بنقوش الفهد هو الحل، يكفي تنسيقه مع سروال جينز بسيط التصميم وتنجح العملية.

■ حذاء بنقوش الفهد

البوت والبلرين والصنادل تنسحب عليها موضة نقوش الفهد هذا الموسم وكل موديلاتها تتواجد فيها هذه النقوش بشكل خيالي، ويكمن مفتاح النجاح في ارتدائها في عدم خلطها مع أي نقوش أخرى في بقية القطع. ويجب اعتمادها مع لباس رصين وبسيط بألوان هادئة وموحدة.

كيف نواكب الموضة دون الإضرار بالبيئة

ملابس صديقة للبيئة.. هدف تنشده العلامات التجارية الكبرى في العالم

تتجه البحوث اليوم في عالم صناعة الملابس إلى إيجاد حلول لمواكبة آخر صيحات الموضة دون الإضرار بالبيئة سواء في مراحل التصنيع أو بعد رمي الملابس المستعملة، واليوم يدرك العاملون في قطاع الموضة أنها ملوثة للبيئة وأن تأثيرها يعتبر كارثيا فهي ثاني أكبر ملوث للبيئة على مستوى العالم. هذا الوعي خلق توجهات جديدة في صنع الملابس من خلال البحث عن طرق تراعي البيئة بابتكار خامات وتصاميم لملابس مستدامة ومسؤولة توصف بأنها صديقة للبيئة.

لندن – يتسبب قطاع الملابس سنويا في أكثر من خمسة ملايين طن من المخلفات على المستوى الأوروبي، وتتضاعف هذه الكمية على مستوى العالم، الأمر الذي جعل إعادة تدوير نفايات الملابس الحل الوحيد لإنقاذ الكوكب. واتخذت العديد من الحكومات اليوم على عاتقها تشجيع هذه السياسات.

وتعتمد العديد من الملابس ومن بينها الكولون خاصة منه الشبكي على خامات تحتوي على النايلون أو البلاستيك وهي مواد عرفت بمضارها الصحية والبيئية وبصعوبة التخلص منها، الأمر الذي جعل العاملين في مجال الموضة وصناعة الملابس والمصممين في العلامات التجارية العالمية والشهيرة يركزون على ابتكار وصنع خامات تؤجل أكثر ما يمكن رمي قطع الملابس في النفايات وتعتمد مواد غير ضارة بالبيئة.

وعاد الكولون الشبكي إلى منصات عروض الأزياء مع سعي ماركات الملابس البارزة إلى بناء صورة تبرزها كصديقة للبيئة.

ويعتبر الكولون الشبكي من أكثر الملابس التي تتخلص منها النساء، ويمكن أن تكون هذه الكولونات ملونة أو سوداء أو براقة أو ذهبية أو رمادية. لكنها نادرا ما تكون خضراء. وبالنسبة للماركات التي تحاول الجمع بين الموضة والاستدامة، يعدّ الأمر مشكلة.

وتعمل بعض العلامات التجارية على استبدال النايلون في خامات الأقمشة المستعملة لصنع الملابس وخاصة منها الكولونات ببعض المواد الصديقة للبيئة، أو إعادة تدويرها، أو صنعها بطريقة تمكن من استعمالها أكثر من مرة واحدة. يقول دانييل كلايتون، الذي أسس في بداية السنة الحالية شركة لبيع جوارب وصفها بأنها "مستدامة"، "إن هذه الملابس عادة ما تصنع من البلاستيك المستخدم مرة واحدة لصناعة النسيج. ويقدّر إلقاء نفايات هذه الملابس بأكثر من 103 آلاف طن سنويا في جميع أنحاء العالم... أي ما يعادل وزن 8 آلاف حافلة ذات طابقين".

> الأمر يتعلق بتشجيع الناس على الاستثمار في ملابسهم والتأكد من أنهم يستخدمونها لفترة طويلة

تتمتع الكولونات الشبكية باهتمام رواد الموضة، وظهرت على المنصة في عرض ألكسا تشونغ ومجموعة بالمان وبالنسياغا، وارتدتها نساء عائلة كارداشيان على غلاف الإصدار الأخير من كتاب سي آر للموضة.

وتؤكد لين فريسينغر التي أسست شركة سويدية لتصنيع هذه الملابس باستعمال مادة البولي أميد المعاد تدويره والإيلاستين والقطن والكشمير، أن الطلب يتضاعف حتى في الأشهر الأكثر دفئا. وتأسست الشركة السويدية في العام 2013 "لتغيير صناعة جوارب النايلون لأن الطريقة المعتمدة تقليدية وأصبحت مصدرا رئيسيا للتلوث".

وتوضح جيسيكا كوساك، من كونسورتيوم الاستدامة لصحيفة الغارديان البريطانية، "إن التأثير البيئي لهذه الملابس يرجع إلى الطاقة اللازمة لإنشاء المادة التي تصنع منها، حيث يتطلب النايلون قدرا كبيرا من الحرارة لإنشاء أليافه وتشكيلها".

ثم يأتي التأثير الثانوي "وعندما نغسل النايلون، نطلق الكثير من المواد البلاستيكية الدقيقة في الماء"، وهو ما أكدته سارة نيدهام من كلية لندن للأزياء، قائلة إن المادة معقدة مما يصعّب إعادة تدويرها، ويرسلها إلى مكب النفايات حيث لا يمكن أن تضمحل. وأضاف كلايتون أن نفايات الكولونات الشبكية غالبا ما تمر دون ملاحظتها، وأشار إلى أنها تتكون من "نفس البوليمرات الموجودة في الزجاجات والأكياس البلاستيكية" التي نعرف وجوب رسكلتها، فيما نجهل مخاطر إلقاء ملابس النايلون.

وأطلقت الشركة السويدية التي أسستها فريسينغر جوارب مصنوعة من الزجاجات المعاد تدويرها والقطن. وقالت المؤسسة إن شركتها تعد الأولى التي اتبعت هذا المسار. وتعمل شركة وولفورد على صنع الكولونات الشبكية باستخدام شباك الصيد المعاد تدويرها ونفايات النايلون الأخرى.

وتركز العلامات التجارية أيضا على إعطاء عمر أطول للملابس كمفتاح لجعلها أكثر استدامة. وتعمل شركة شيرتيكس الكندية على تسويق منتجات يصعب تقطيعها، وتمنح العلامة التجارية ليفوير زبائنها ضمانا مدته 60 يوما. ويتعلق الأمر بتشجيع الناس على الاستثمار في ملابسهم والتأكد من أنهم يستخدمونها لأطول فترة ممكنة.

ملابس صديقة للبيئة

طيف واسع من الخيارات لمعاطف هذا الموسم

المعاطف المصنوعة من الفرو الصناعي تنتشر بشكل سريع يزداد نسقه أكثر خلال فصل الشتاء

المعطف الطويل

هذا الموسم، سيكون المعطف الأكبر والأطول هو الأفضل. وتعدّ المعاطف التي تكاد تلمس الأرضية جميلة عند ارتدائها مع بنطلون الجينز وغيره من الملابس الأنيقة والعصرية. تتواجد هذه المعاطف في كل متجر، ولا تنسي ارتداء وشاحك لإضافة لمسة نهائية على مظهرك.

المعطف المبطن

لم تنته موضة المعاطف المبطنة ومن المتوقع أن تخلق ضجة خلال هذا الموسم، إذن فكري في شراء هذا المعطف لإطلالة أنيقة تذكر بعارضات أسبوع الموضة. إذ تعتبر هذه المعاطف مثالية لأنها مقاومة للماء وستتوافق مع أي ملابس لتواجدها بألوان عديدة.

الفينيل

من المتوقع أن تنفجر موضة معاطف الفينيل بشكل كبير هذا العام، ولست مضطرة إلى التمسك باللون الأسود فقط، بل يمكنك العثور على اللونين الأخضر والبني، وهما مثاليان لهذا الموسم. ويعتبر الأخضر لونا عصريا يطغى على الاتجاهات الجديدة وخاصة مع المواضيع البيئية المنتشرة هذه الأيام. وسوف يكمل معطفك الذي صنع بهذا اللون معظم ملابسك بالتأكيد.

المزج بين الألوان

تعدّ المعاطف المزينة خيارا رائعا، فهي تعطي لمسة باهظة لأي مظهر. وإذا لم تكوني مستعدة لارتداء الألوان، فيمكنك شراء معطف أسود وأبيض وستسهل إضافته على عدد كبير من الإطلالات.

الفرو الصناعي

المعاطف المصنوعة من الفرو الصناعي تنتشر بشكل سريع يزداد نسقه أكثر خلال فصل الشتاء، حيث تحظى الألوان الباهتة بشعبية كبيرة في هذا النوع، ويمكن أن تبدو رائعة مع ملابس بدرجات من اللون الأبيض والبني الفاتح. ومع برد الشتاء، تعدّ هذه المعاطف خيارا رائعا للحفاظ على الجسم دافئا.

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

القوى العربية تدق ناقوس الخطر قبل أولمبياد طوكيو

قوى البحرين والجزائر والمغرب تحفظ ماء الوجه في المونديال

تواصل ألعاب القوى العربية حضورها الضعيف، حيث ظهرت أربعة بلدان عربية فقط في جدول ميداليات هذه النسخة، رغم ظهور 43 دولة، بخلاف رياضيي روسيا، في جدول ميداليات بطولة العالم السابعة عشرة لألعاب القوى، التي أسدل عليها الستار بالعاصمة القطرية الدوحة.

بطل المغرب مطالب بالتصحيح

الدوحة – كانت الحصيلة العربية قاصرة على سبع ميداليات فقط وهي حصيلة هزيلة للغاية مقارنة بعدد البلدان العربية لاسيما مع ظهور بلدان أقل في الإمكانيات والتعداد السكاني ضمن جدول الفائزين بالميداليات في هذه الدورة، وذلك من بين 149 ميدالية وزعت خلال هذه النسخة من بطولة العالم السابعة عشرة لألعاب القوى. لقد حفظت بعثات البحرين وقطر والجزائر والمغرب ماء وجه ألعاب القوى العربية في هذه النسخة من بطولات العالم حيث توجت البحرين بثلاث ميداليات منها ميدالية واحدة من كل نوع بينما توجت قطر مشاركتها بذهبية واحدة وبرونزية واحدة واقتصر رصيد الجزائر على فضية واحدة والمغرب على برونزية واحدة.

ولكن الحصيلة العربية الهزيلة التي أنقذتها ميداليات قطر والبحرين، لم تكن هي الشيء اللافت للنظر رغم غياب العديد من الدول العربية عن جدول الميداليات، وإنما كان الأكثر جذبا للاهتمام وإثارة للدهشة هو استمرار تراجع ألعاب القوى المغربية رغم تاريخها العريق. وعلى مدار جميع بطولات العالم لألعاب القوى، كانت البعثات المغربية هي الأكثر نجاحا بفضل عدة أسماء بارزة ومضيئة في أم الألعاب مثل سعيد عويطة وهشام القروج ونوال المتوكل.

> المغرب الآن يحتاج إلى استيراد الطاقات والخبرات من الخارج لاستعادة الريادة في عالم القوى نظرا إلى فشل كل هذه التجارب منذ 2008

يحتل المغرب المركز التاسع عشر في جدول ميداليات بطولات العالم لألعاب القوى على مدار التاريخ وذلك برصيد 30 ميدالية متنوعة منها عشر ذهبيات و12 فضية وثماني برونزيات علما بأن أقرب الدول العربية إليها في جدول الميداليات هي البحرين برصيد 13 ميدالية فقط منها سبع ذهبيات وثلاث فضيات ومثلها من البرونز. ومنذ عقود، ظلت ألعاب القوى المغربية هي الأكثر ترشيحا على مستوى ألعاب القوى العربية لجذب الانتباه وحصد الميداليات وتحقيق النتائج المميزة في محافل ألعاب القوى الدولية قبل دخول البحرين وقطر في السنوات الماضية ضمن المرشحين بقوة لحصد الميداليات في هذه المحافل.

جدل واسع

مرة أخرى، أثارت ألعاب القوى المغربية الجدل من خلال نتائجها في مونديال القوى حيث اقتصرت حصيلتها على الميدالية البرونزية التي أحرزها سفيان البقالي في سباق 3000 متر موانع.

وكانت أبرز الأسباب وراء هذا الجدل أن ألعاب القوى المغربية لا تفتقر للمواهب أو الإمكانيات التي تمنحها الفرصة لاستعادة النجاح في محافل ألعاب القوى الدولية ولكن المشكلة قد تكون في الإدارة الفنية وهو ما سبق للعداءة مليكة عقاوي أن أشارت إليه بعد خروجها من الدور قبل النهائي لسباق 1500 متر.

وألمحت عقاوي إلى وجود مشاكل على مستوى الإدارة الفنية وأنها كانت تعتزم التركيز على سباق 800 متر في مونديال القوى بالدوحة لكنها فشلت في الوصول إلى نهائي السباق لتخوض سباق 1500 متر وسط ضغوط لم تساعدها على النجاح في هذا السباق أيضا.

وأكد عبدالرحيم إيشي الناقد الرياضي في تصريحات خاصة أن "ميدالية واحدة ليست كافية بالطبع لألعاب القوى المغربية في ظل التاريخ الكبير للقوى المغربية التي كانت لديها الريادة لفترة طويلة خاصة في السباقات في المسافات المتوسطة. البقالي حفظ ماء الوجه أفضل من الخروج صفر اليدين".

وأوضح "كنا نتوقع قبل البطولة أنه على أفضل تقدير، ستكون الحصيلة ميدالية واحدة وعن طريق البقالي لأنه الأفضل من بين أفراد البعثة".

وعن الأسباب وراء هذا قال إن هناك دولا لم تكن على خارطة القوى العالمية ولكنها أصبحت من المنافسين بقوة في المحافل الدولية لأنها عرفت كيفية صناعة البطل بينما يفتقد المغرب حاليا للمنهج العلمي المطلوب لصناعة البطل لأن تخريج الأبطال لم يعد قاصرا على بزوغ المواهب وإنما أصبح الأمر متوقفا بشكل كبير على كيفية صناعة البطل من خلال هذا المنهج العلمي".

وأشار إيشي إلى أن "الدليل على افتقاد المنهج العلمي هو أن عدائي المغرب يشاركون في العديد من الملتقيات الدولية على مدار العام حتى يصلون إلى بطولة العالم وهم منهكون لعدم وجود برنامج موضوع لهم بطريقة علمية وهي مسؤولية الإدارة الفنية التي يتعين عليها تحت إشراف الاتحاد المغربي لألعاب القوى منع العدائين والعداءات من المشاركة العشوائية في البطولات والملتقيات وألا يفعل كل رياضي ما يريده دون ضوابط. وظهرت النتيجة واضحة في مونديال القوى بالدوحة".

وعن طريقة العلاج والخروج من الأزمة، قال إيشي "المغرب الآن يحتاج إلى استيراد الطاقات والخبرات من الخارج لاستعادة الريادة في عالم القوى نظرا إلى فشل كل هذه التجارب منذ 2008 حيث لا توجد العناصر البشرية الكافية للإشراف التدريبي والبدني والنفسي على تكوين العناصر الجديدة وصناعة الأبطال".

وأشار إيشي إلى أن "العديد من البلدان مثل أوغندا وضعت لنفسها برامج طموحة لصناعة الأبطال وأثمرت هذه البرامج وستتضاعف ثمارها في السنوات المقبلة بينما لا تزال بلدان، مثل المغرب، تلجأ إلى إعداد رياضييها في اللحظة الأخيرة".

شارك المغرب في مونديال القوى بالدوحة بـ13 رياضيا وأربع رياضيات ولكن البقالي هو فقط الذي نجح من الرياضيين في الفوز بميدالية. كما كان الوصول إلى الدور النهائي في السباقات من نصيب البقالي فقط في سباق 3000 متر موانع ورباب عرافي التي بلغت النهائي في سباقي 800 متر و1500 متر.

وعمّا إذا كان ما حدث في هذه البطولة فرصة للتصحيح قبل الأولمبياد، قال إيشي إن التصحيح مطلوب، ولكن الوقت ليس كافيا لهذا التصحيح قبل الأولمبياد، إنما هناك جيل صاعد من العدائين يمكن إعدادهم ومنحهم الفرصة مع إقصاء عدد من العدائين ليس لديهم القدرة على تحقيق الطموحات.

وأشار إلى أنه "لدينا في المغرب 98 عداء كانت نتائجهم تؤهلهم للمشاركة في مونديال القوى بالدوحة لكنهم لم يحضروا إلى هنا بينما كانت بين الحاضرين في البطولة أسماء ليست لديها القدرة على المنافسة الفعلية وذلك لأن اللوائح لا تمنح الدولة فرصة المشاركة بأكثر من ثلاثة أفراد في كل سباق". ونفى إيشي أن يكون لاتباع بعض الدول سواء عربيا أو عالميا لمبدأ التجنيس وانتقال عدد من الرياضيين المغاربة للعب باسم دول مختلفة دور كبير في هذا التراجع الواضح للقوى المغربية، مشيرا إلى أن "المغرب لديه وفرة من المواد الخام لألعاب القوى حيث تتوافر المواهب ويمكن تعويض هؤلاء الرياضيين المنتقلين إلى بلدان أخرى ولكن هذا يحتاج إلى إدارة فنية أفضل وخبرات تدريبية أكفأ".

واتفق مع إيشي في هذا الرأي مواطنه صلاح الدين محسن الناقد الرياضي أيضا، حيث قال إن "التجنيس ليس الخصم الذي تواجهه ألعاب القوى المغربية والدليل أن معظم الرياضيين المغاربة الذين جرى تجنيسهم لدى دول أخرى لم يحققوا نتائج لافتة بشكل كبير".

وقال محسن "ما حدث في مونديال الدوحة حلقة جديدة من مسلسل الإخفاق، لأن الحصول على ميدالية واحدة أو عدم الحصول على أي ميداليات تكرر في المشاركات المغربية بالمحافل الدولية على مدار السنوات الماضية... لا أصف هذا بأنه تراجع، ولكنني أرى أن ألعاب القوى المغربية تعيش مرحلة من التغيير الكبير سواء على مستوى العدائين أو الأسلوب الإداري، فالاتحاد المغربي يسعى لإعادة ألعاب القوى المغربية إلى سابق عهدها".

وأضاف "أعتقد أن الخلل يكمن في الإدارة الفنية للفريق، وأعتقد أن المسؤولين بالاتحاد المغربي وضعوا أيديهم على مكمن الخلل بعد مونديال القوى بالدوحة، وأتمنى أن يضعوا استراتيجية لتصحيح الوضع وتدارك الموقف قبل أولمبياد طوكيو".

وأشار إلى أن "المغرب لديه القدرة على هذا ولكنه يحتاج إلى اتباع المنهج العلمي مثل بلدان عدة بدأت في السطوع من خلال العلم".

وأوضح محسن أنه "يحسب للمسؤولين الحاليين بالاتحاد المغربي أنهم نجحوا في الخروج بألعاب القوى المغربية من مشكلة المنشطات التي حاصرتها قبل سنوات ونجحوا في تخليصها من هذا الاتهام علما بأن الرياضيين المغاربة كانوا في السنوات الأخيرة من أكثر الرياضيين خضوعا للمنشطات وربما كان في هذا تأثير سلبي على استعداداتهم للبطولات ولاسيما نظرا إلى خضوعهم دائما للمراقبة".

وأشار إلى أن الاتحاد المغربي أصبح لديه برنامج وطني لمكافحة المنشطات. وسيكون التحدي القادم للقوى المغربية هو أولمبياد 2020 في طوكيو لكن التحدي الأكبر هو كيفية صناعة الأبطال في السنوات المقبلة للعودة بقوة إلى منصات التتويج.

> الحصيلة العربية الهزيلة التي أنقذتها ميداليات قطر والبحرين، لم تكن هي الشيء اللافت للنظر رغم غياب العديد من الدول العربية عن جدول الميداليات

أرقام يصعب تحطيمها

وفي سياق متصل أكد العداء الأميركي السابق برنارد لاغات أن العديد من الأرقام القياسية في عالم ألعاب القوى ستصمد لفترة طويلة رغم ارتفاع مستوى المنافسة بين العديد من المتسابقين في الوقت الحالي، مشيرا إلى أن الرقم القياسي العالمي لسباق 1500 متر والمسجل باسم العداء المغربي السابق هشام القروج من بين هذه الأرقام التي يصعب تحطيمها بسهولة.

وأكد لاغات أن بطولة العالم السابعة عشرة لألعاب القوى التي اختتمت الأحد الماضي بالعاصمة كانت مسرحا للعديد من النجوم في مسابقات وسباقات عدة، حيث شهدت مستويات مرتفعة للغاية ومنافسة قوية وتحقيق العديد من الأرقام القياسية سواء العالمية أو الوطنية أو أرقام خاصة ببطولات العالم "ولكن بعض الأرقام ما زال أمامها وقت طويل لتتحطم".

وعن المقارنة بين البطولتين، قال لاغات "الظروف مختلفة بالطبع لأن بطولة 2010 كانت داخل القاعات كما كانت في شهر مارس ولكن البطولة المنقضية بالدوحة خلال الأيام الماضية ليست داخل القاعات كما أقيمت في شهري سبتمبر (الماضي) وأكتوبر (الحالي)، ولذا فطبيعة البطولتين مختلفة".

وأضاف "لكن عندما نتكلم عن التطور الذي طرأ على الدوحة كمدينة، نجد أن هناك اختلافات عديدة عما كانت عليه في 2010 حيث طرأت تغييرات كبيرة على البنية الأساسية من ملاعب ومواصلات وغيرها.

ولا يمكن طبعا مقارنة ملعب خليفة بمكان إقامة منافسات البطولة في 2010، لأن المسابقات كانت داخل القاعات، ولكن مقارنة بملاعب أخرى في بطولات العالم، نجد أن ملعب خليفة مميز للغاية".

وعن الحضور الجماهيري في البطولة، أكد لاغات "ربما في بعض البطولات كان الحضور أكثر قليلا لكن هذا يرجع إلى عقلية المشجعين وثقافة ألعاب القوى مثلما كان الحال في مونديال 2017 بلندن على سبيل المثال. وفي الدوحة، الكثير من الناس يتابعون الأبطال ويذهبون أحيانا إلى الملعب لمتابعة الأبطال أكثر من متابعتهم للبطولة".

سلوى عيد ناصر

فازت البحرينية البالغة من العمر 21 عاما بالميدالية الذهبية في سباق 400 م في الدوحة يوم 3 أكتوبر

تملك الألمانية الشرقية ماريتا كوخ الرقم القياسي لهذا السباق مع 47.60 ثانية منذ 1985

المصدر: الاتحاد الدولي لألعاب القوى — الصورة لكيريل كودريافتسيف — AFP ©

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

سباق الصدارة يشعل المنافسة بتصفيات كأس أوروبا

غياب أيرلندا الشمالية يحفز ألمانيا وهولندا وقمة بين كرواتيا وويلز

يتحيّن منتخبا ألمانيا وهولندا فرصة غياب أيرلندا الشمالية التي تتقاسم معهما صدارة المجموعة الثالثة لتوسيع الفارق معها والابتعاد أكثر عن منطقة الخطر، فيما تتحول كرواتيا، وصيفة بطل العالم، في رحلة محفوفة بالمخاطر إلى كاريف لمواجهة ويلز في سعيها هي الأخرى إلى تعزيز صدارة المجموعة الخامسة ضمن الجولة الثامنة من التصفيات المؤهلة لكأس أوروبا 2020.

حوار الأقدام

برلين – تعوّل منتخبات ألمانيا وهولندا وكرواتيا على حسم المواجهات المصيرية التي ستخوضها الأحد أمام إستونيا وبيلاروسيا وويلز في الجولة الثامنة من التصفيات المؤهلة لكأس أوروبا 2020 لرفع رصيدها من النقاط وتوسيع الفارق خصوصا بالمجموعة الثالثة التي يحتدم فيها التنافس على الصدارة بين ثلاثة منتخبات.

وتتقاسم هولندا وألمانيا صدارة المجموعة الثالثة مع أيرلندا الشمالية التي لعبت مباراة أكثر وتغيب عن الجولة الثامنة، لكن الأفضلية لهولندا بفارق المواجهات المباشرة.

ويتأهل صاحبا المركز الأول والثاني مباشرة للنهائيات التي تقام بين يونيو ويوليو المقبلين في 12 مدينة للمرة الأولى في تاريخ البطولة وذلك بمناسبة مرور 60 عاما على النسخة الأولى التي استضافتها فرنسا عام 1960.

ويملك المنتخبان الألماني والهولندي فرصة مثالية لرفع الفارق عن أيرلندا الشمالية قبل مواجهتهما للأخيرة في نوفمبر المقبل، حيث تحل ألمانيا ضيفة في بلفاست في الـ16 منه، ويستضيفها منتخب الطواحين في الـ19 منه في الجولتين الأخيرتين.

وعشية مواجهة إستونيا التي أكرمت ألمانيا وفادتها بـ8-0 في ماينتس في الجولة الرابعة، بينها ثنائية لكل من الجناحين سيرج غنابري وماركو رويس، شدّد مدير المانشافت أوليفر بيرهوف على أهمية النقاط الثلاث في تالين، وقال "هدفنا كسب ثلاث نقاط".

وحذّر بيرهوف من الإفراط في الثقة لدى مواجهة إستونيا التي تملك نقطة واحدة فقط، وقال "مثل هذه المباريات قد تكون غريبة في بعض الأحيان. كلما منحت فرصة لهذه المنتخبات لمقاومتك، زادت ثقتها وصعبت مهمتك". وأضاف "يجب أن نظهر من الثانية الأولى أننا نرغب في نتيجة واحدة فقط، وهي الفوز".

وعانى مدرب ألمانيا يواكيم لوف من الغيابات الكثيرة في صفوف المنتخب في المباراة الدولية الودية ضد الأرجنتين (2-2) الأربعاء والتي شملت 13 لاعبا بين الإصابة والمرض، لكن مباراة الأحد ستشهد عودة بعض اللاعبين المهمّين خصوصا رويس الذي تعافى من إصابة في الركبة، وإيلكاي غوندوغان وتيمو فيرنر بعد شفائهما من المرض، فيما يعود العملاق مانويل نوير إلى حراسة عرين المانشافت بعدما منح لوف الفرصة لحارس مرمى برشلونة الإسباني مارك-أندريه تير شتيغن للعب أساسيا ضد الأرجنتين. وتابع بيرهوف "نريد الفوز ويجب أن نفوز حتى لا تواجهنا أي مشاكل في التأهل"، في إشارة إلى الصراع مع هولندا وأيرلندا الشمالية.

> **هولندا وألمانيا تتقاسمان صدارة المجموعة الثالثة مع أيرلندا الشمالية التي لعبت مباراة أكثر وتغيب عن الجولة الثامنة، لكن الأفضلية لهولندا بفارق المواجهات المباشرة**

وتأمل ألمانيا في تعثر هولندا في واحدة من المباريات الثلاث المتبقية في التصفيات لضمان إنهائها في الصدارة. وعلق بيرهوف على ذلك قائلا "هذه هي المشكلة، لذلك من المهم بالنسبة لنا أن نفوز في المباريات الثلاث المقبلة".

وتوقع غنابري (24 عاما)، الذي يعيش أفضل فتراته الاحترافية برباعيته مع فريقه البافاري في مرمى توتنهام الإنكليزي (2-7) في مسابقة دوري أبطال أوروبا وهدفه الافتتاحي في المباراة الودية ضد الأرجنتين، مهمة صعبة ضد إستونيا.

وأضاف الجناح السابق لأرسنال الإنكليزي وصاحب 10 أهداف في أول 11 مباراة دولية "يجب ألا نقلل من شأنهم (لاعبي الفريق المنافس)، خاصة أنهم سيحظون بمساندة جماهيرهم. سيلعبون بخطة دفاعية محضة لجعل الأمور صعبة علينا". وبدورها تطمح هولندا، وصيفة بطلة دوري الأمم الصيف الماضي، إلى مواصلة صحوتها وتحقيق الفوز الرابع على التوالي والخامس في التصفيات للاقتراب أكثر من العرس القاري، ورفع المعنويات قبل الرحلة التي تنتظرها الشهر المقبل إلى بلفاست. وضربت هولندا بقوة منذ خسارتها على أرضها أمام ألمانيا 3-2، فردت التحية للأخيرة 2-4 وتغلبت على إستونيا 0-4 ثم قلبت تخلفها إلى فوز قاتل على أيرلندا الشمالية 1-3 الخميس بفضل ثنائية لمهاجم ليون الفرنسي ممفيس ديباي.

وتدرك هولندا جيّدا أهمية النقاط الثلاث أمام بيلاروسيا التي كانت سحقتها برباعية نظيفة بينها ثنائية لديباي في الجولة الأولى.

وشدد المدير الفني للمنتخب الهولندي رونالد كومان على ضرورة التعلم من درس مواجهة أيرلندا الشمالية وترجمة الفرص التي يخلقها المهاجمون إلى أهداف.

وقال كومان "أهدرنا العديد من الفرص أمام أيرلندا الشمالية، كنا أفضل منهم (لاعبي أيرلندا الشمالية) وكان بإمكاننا حسم المباراة بنتيجة أكبر، لكننا عانينا ووجدنا أنفسنا متخلفين في النتيجة". وأضاف "اعتمدوا (لاعبو أيرلندا الشمالية) على الكرات الطويلة، لا ألومهم على ذلك لأن مستواهم أقل منا وبالتالي كان يتعين علينا ترجمة فرصنا لتسهيل مهمتنا والفوز بنتيجة كبيرة".

وينتظر أن تخوض هولندا مباراتها أمام منتخب بيلاروسيا في غياب نجمها وأفضل هدافيها ديباي. ولم يستدع كومان لاعبا بديلا عن ديباي وربما يلعب دونيل مالين لاعب أيندهوفن مكانه. وسجل ديباي 10 أهداف جعلته أفضل هداف في المنتخب الهولندي في الوقت الحالي. وتتحول كرواتيا، وصيفة بطلة العالم، في رحلة صعبة إلى كاريف لمواجهة ويلز في مسعى إلى تعزيز تربعها على صدارة المجموعة الخامسة.

وتملك كرواتيا 13 نقطة بفارق ثلاث نقاط أمام سلوفاكيا التي تغيب عن هذه الجولة، وبفارق سبع نقاط عن ويلز الرابعة والتي لعبت مباريات أقل.

وتدخل كرواتيا المباراة بمعنويات عالية عقب فوزها الكبير على ضيفتها المجر الثالثة (9 نقاط) الخميس، وهي تضع نصب عينيها النقاط الثلاث لوضع قدم في النهائيات، لكن المهمة لن تكون سهلة أمام ويلز التي تسعى إلى استغلال عاملي الأرض والجمهور لتعويض تعادلها المخيب مع مضيفتها سلوفاكيا (1-1) الخميس وتعزيز حظوظها في المنافسة على بطاقتي المجموعة، لاسيما أنها تملك مباريات أقل وفوزها على كرواتيا سيمكنها من تشديد الخناق عليها.

وكان نجم ريال مدريد ومنتخب ويلز غاريث بايل قد أبلغ الصحافيين قبل مباراة الفريق أمام سلوفاكيا الخميس الماضي بأنه لا يعاني من أي نوع من الضغوط عندما ينزل إلى الميدان. وقال بايل "نلعب بمشاعر عديدة والغضب من بينها لكني أحاول لعب كرة القدم والاستمتاع بها قدر الإمكان وتقديم أفضل ما لديّ".

وأضاف "عندما أنزل إلى أرض الملعب أقدم 100 بالمئة مما لدي لمساعدة الفريق.. أحب اللعب مع ويلز. لا يوجد ما يؤثر على تفكيري".

وفي المجموعة ذاتها، تلتقي المجر مع ضيفتها أذربيجان صاحبة المركز الأخير بنقطة واحدة، في اختبار سهل نسبيا لوضع حد لخسارتين متتاليتين أمام سلوفاكيا وكرواتيا وإنعاش حظوظها في المنافسة على بطاقتي المجموعة.

آن لماير أن يتكلم

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

قصة المنتخب الألماني مع التألق الأوروبي والعالمي جميلة، هي قصة ارتبطت بالنجاح وبسط النفوذ في عدة دورات، هذه القصة ارتبطت أيضا بتفاصيل أخرى صنعت الفارق جماعيا وجزّأت النجاح لتقسّمه على البعض من الأفراد.

قصة "المانشافت" مع التألق ارتبطت بلا شك بعدد من النجوم والأساطير الذين تركوا إرثا رهيبا لا يمكن تجاهله بالمرة. هم نجوم لم يأفل بريقهم وما زالت ذكراهم خالدة إلى اليوم رغم تتالي السنين. هم كثر مثل بكنباور وروميننيغه ومولر وماتيوس وكلينسمان وفولر وكلوزه وبيرهوف وغيرهم.

قصة "المانشافت" تحتمل أكثر من هؤلاء النجوم، فالقائمة تطول ولا تنتهي وصناع الفرحة والتتويج لا يمكن اختزالهم في المهاجمين والهدافين فحسب، بل في الغالب ارتبطت عناصر الحبكة في هذه القصة بوجود حراس مرمى رائعين ومميزين يحق لألمانيا أن تفخر بهم.

فألمانيا التي قدمت للعالم المهاجم الأسطورة غيرد مولر والقيصر بكنباور والهداف القياسي ميروسلاف كلوزه برهنت على امتداد تاريخ مشاركات منتخب "المانشافت" أن لديها حراس مرمى يمكن القول عنهم إنهم عباقرة ساهموا بقسط وافر في تتويج منتخب بلادهم بعدد معتبر من كؤوس العالم وكذلك أوروبا.

القائمة تضم سيب ماير في المقام الأول، ذلك الحارس الذي شبّهه البعض بحائط برلين، خاصة بعد مساهمته الفعالة في إحراز منتخب بلاده كأس العالم سنة 1974 وكأس أوروبا سنة 1972 وقاد البايرن إلى إحراز لقب دوري الأبطال في ثلاث مناسبات. ماير سلّم المشعل لحراس مرمى آخرين، حافظوا على الأمانة وأثبتوا أن هذا المركز هو اختصاص ألماني صرف، فالماكينات الألمانية لا تشتغل إلا بثبات صمام الأمان ووجود حارس مرمى بارع واستثنائي.

هؤلاء ليسوا استثناء، بل إن "الصنعة" والإبداع والصلابة كلها صفات ارتبطت إلى اليوم بحراس مرمى "المانشافت"، فكان مانويل نوير أحد صانعي مجد ألمانيا في مونديال البرازيل 2014، كان الأفضل في تلك البطولة، فأثبت بحق مقولة "ماكينات ألمانيا تعتمد على الأساس، والحراس هم الأساس". ظل نوير منذ تلك البطولة إلى اليوم على العرش، بقي يحظى دوما بثقة المدرب يواكيم لوف، تراجع مستواه بعض الشيء بسبب الإصابات، لكن حافظ على صموده لسنوات طويلة.

لكن ألا يوجد في الساحة من ينافسه على العرش؟ ألا يوجد حارس مرمى آخر قادر على تولي المهمة وسحب البساط من تحت قدمي نوير؟ أسئلة عدة طرحها عشاق "المانشافت" عقب السقوط المدوي في المونديال الأخير.

بيد أن الإجابة كانت واضحة، والحارس المنافس القوي لنوير موجود، هو دون شك تير شتيغن حامي عرين برشلونة الإسباني.

هنا طرح السؤال من هو الأجدر بحراسة مرمى منتخب ألمانيا، نوير الذي حافظ على ثباته مع ناديه البايرن رغم تقدمه النسبي في السن أم شتيغن الطموح والواثق تماما من قدراته؟

سؤال ظل حائرا، استفز الجميع، حتى شتيغن نفسه الذي يرى أنه الأحق اليوم بأن يكون حامي العرين، لقد أطلق بعض التصريحات أكد من خلالها أن مستواه يخول له أن يفتك المركز الأول.

وافقه البعض، واقترح البعض الآخر أن يتم منحه الثقة في ظل عدم ثبات مستوى نوير، لتطفو على الساحة إشكالية محورها الأساسي، من الأجدر بهذا المنصب؟

إشكالية كادت تتحول إلى مشكلة خاصة بعد تصريحات بعض مسؤولي البايرن الذين هددوا بعدم السماح للاعبي الفريق باللعب مع المنتخب الألماني إذا وقعت إزاحة نوير من "عرشه"، قبل أن يتم التراجع عن هذه الأقوال.

الأكثر من ذلك أن لوف لم يجد حلا لهذه الإشكالية، لم يتخلص من الحيرة ولم يبدد الشكوك، والحل الأنسب الذي وجده هو المراوحة بين الحارسين في مباريات المنتخب.

ربما قد يتعيّن على لوف أن يستعين بصديق أو خبير علّه يساعده في حل المسألة، ربما يتعين عليه استشارة الحارس الأسطورة سيب ماير، فما خبره هذا الحارس وما قدمه للمنتخب الألماني يجعلانه قادرا على حسم الجدل والحكم بموضوعية لفائدة أحد المتنافسين.

ربما على ماير أن يتكلم ويدلو بدلوه، عليه أن يقدم المشورة والنصح ويحكم لمن هو الأقدر لتولي هذه المهمة ومواصلة حمل الأمانة، ومهما كان حكمه فإن منتخب "المانشافت" سيكون المستفيد الأول. ففي الوقت الذي تعاني فيه بعض المنتخبات من عدم وجود حراس مرمى رائعين، تنام ألمانيا على وقع صراع مفتوح بين "عملاقين" يتنافسان على خدمة "المانشافت".

ميدفيديف وزفيريف يبلغان نهائي شنغهاي

شنغهاي – فرض الروسي دانييل ميدفيديف المصنف الثالث عالميا نفسه طرفا في نهائي دورة شنغهاي، ثامنة دورات الماسترز للألف نقطة في كرة المضرب، بعد أن أزاح اليوناني ستيفانوس تسيتسيباس من طريقه وفاز عليه، ليلتحق به الألماني ألكسندر زفيريف كطرف ثان بعد فوزه على الإيطالي ماتيو بيريتيني السبت.

ويأتي تأهل ميدفيديف (23 عاما) لنهائي إحدى الدورات أو البطولات للمرة التاسعة هذا العام والسادسة على التوالي في مسعى لإحراز لقبه الرابع هذا الموسم. وقال اللاعب الروسي "لقد فاجأني تكتيكيا، ولكنها كرة المضرب وكان يتعين عليّ البقاء في المباراة".

وأضاف "أنا فخور (بالنهائي السادس تواليا)، ولكن الهزيمة تبقى هزيمة وأنا لا أحب الخسارة، حتى في نهائي فلاشينغ ميدوز".

وبلغ ميدفيديف المباراة النهائية للبطولات والدورات الخمس الأخيرة التي شارك فيها منذ خروجه من الدور الثالث لبطولة ويمبلدون الإنكليزية ثالثة البطولات الأربع الكبرى، وآخرها فلاشينغ ميدوز عندما خسر أمام الإسباني رافاييل نادال، وتوج بلقبين في سينسيناتي، حيث تحصّل على أول لقب له في دورات الماسترز، وسانت بطرسبرغ.

ومن جهته قال زفيريف بعد وصوله إلى نهائي إحدى دورات الماسترز للمرة الأولى هذا العام والسادسة في مسيرته "من الرائع التأهل للمباراة النهائية، وقد لعبت بشكل جيد هذا الأسبوع، في أول نهائي لي في الصين وأتشوق إلى خوض النهائي غدا (الأحد)".

مرور صعب

كيبتشوغ يدخل التاريخ بكسر حاجز الساعتين في الماراثون

فيينا – أصبح الكيني إيليود كيبتشوغ أول عداء في التاريخ يكسّر حاجز الساعتين في سباقات الماراثون، وذلك بعد أن قطع المسافة في زمن ساعة و59 دقيقة و40 ثانية السبت في سباق غير رسمي احتضنته مدينة فيينا.

ونجح البطل الأولمبي البالغ من العمر 34 عاما في محو رقمه العالمي السابق بنحو دقيقتين (2:01.39 ساعة) والذي كان سجله في برلين العام الماضي.

وقال كيبتشوغ "أنا أول رجل.. أريد أن ألهم الكثير من الناس، لا يوجد إنسان محدود".

وأضاف في تصريح أدلى به إلى منظمي السباق "يمكننا أن نجعل هذا العالم عالما جميلا وعالما مسالما. أنا سعيد جدا بزوجتي وأطفالي الثلاثة كونهم حضروا وشهدوا على هذا التاريخ". وتابع "أشعر بحالة جيدة، كتابة التاريخ كانت هدفي". وطيلة السباق حرص كيبتشوغ على الحفاظ على وتيرة منتظمة جدا بقطعه كل كيلومتر في السباق في نحو دقيقتين و50 ثانية، ليجتاز خط النهاية بابتسامة عريضة.

ونزل العداء الكيني بفارق 11 ثانية عن الرقم القياسي في منتصف السباق بينما كان المشجعون مصطفين على الحلبة وهم يلوّحون بالأعلام الكينية ويهتفون بصوت عالٍ لتشجيعه والرفع من معنوياته.

وكان "العداء الظاهرة" قد تكهن قبل انطلاق السباق بتحقيق رقم قياسي حيث قال "سأنجح في تحقيق الإنجاز التاريخي (...) ليس هناك حدود، الحدود التي لدينا موجودة في الرأس"، مقارنا محاولته بـ"المشي على سطح القمر" لأول مرة.

وهذا الرقم القياسي لكيبتشوغ لن يتم اعتماده من قبل الاتحاد الدولي لألعاب القوى نظرا للظروف الخاصة لهذا السباق الذي نظمته إنيوس الشركة البريطانية العملاقة للبتروكيماويات والراعية للعداء الكيني. وأشاد كيبتشوغ بالعداء الأسطورة البريطاني الراحل روجر بانيستر الذي كان أول عداء ينزل تحت حاجز الأربع دقائق في سباق الميل (1.60934 م) في عام 1954.

وقال "احتجنا إلى 65 عاما ليدخل إنسان آخر تاريخ الرياضة. بعد أن صنع روجر بانيستر التاريخ في عام 1954، انتظرنا 63 عاما للمحاولة (أول محاولة لكيبتشوغ للنزول تحت ساعتين في الماراثون في عام 2017)، ولم تكن ناجحة"، لأنه في مايو 2017، على حلبة سباق السيارات مونزا (إيطاليا)، أخفق العداء الكيني بـ25 ثانية عن النزول تحت حاجز الساعتين خلال حدث مماثل نظمته الجهات الراعية.

وأضاف "مرّ الآن 65 عاما، حاولت وأنا أسعد رجل في العالم أن أجري تحت ساعتين". وختم بالقول «أتوقع أن يكون هناك المزيد من العدائين في العالم يركضون تحت ساعتين بعد اليوم".

العرب
الأحد 2019/10/13
السنة 42 العدد 11496

الشباب السعودي ينفتح على البوب في موسم الرياض

وجد الشباب السعودي ضالته أخيرا في برنامج المملكة الإصلاحي والرامي إلى تطوير قطاع الترفيه وتقديم صورة جديدة للبلد المحافظ، حيث نجحت فرقة البوب الكورية الجنوبية "بي.تي.أس" في إمتاع السعوديين من الجيل الشاب.

سهرة شبابية صوتا وحضورا

الرياض – حضر الآلاف من الشباب السعوديين والأجانب حفلا لفرقة البوب الكورية الجنوبية "بي.تي.أس" في الرياض ضمن جولتها العالمية "لوف يورسيلف: سبيك يورسيلف"، في حدث فني جديد يندرج في إطار مساعي المملكة لتقديم صورة جديدة وتطوير قطاع الترفيه في البلاد.

وقدم نجوم الفرقة السبعة ضمن فعاليات "موسم الرياض" الذي يستمر حتى منتصف ديسمبر المقبل، مجموعة من أغانيهم الضاربة التي حققت نجاحا عالميا مع خطوات راقصة حماسية أمام جمهور مختلط احتشد على الأرضية العشبية أو في مدرجات استاد الملك فهد الدولي في العاصمة السعودية والذي يتسع لسبعين ألف متفرج.

وقالت أميرة لدى حضورها الحفلة "أنا سعيدة جدا لأنهم يأتون للمرة الأولى إلى السعودية. آمل في أن يقام المزيد من هذه الحفلات".

وأبدت شابة أخرى لم تكشف اسمها، سعادتها لأن "السعودية تنفتح على موسيقى البوب"، مشددة على أن أغنيات "بي.تي.أس" كان لها أثر كبير عليها.

والأعضاء السبعة الذين كونوا الفرقة في سيول في عام 2013، يتشاركون في الكتابة وإنتاج الكثير من أغانيهم، وجميعهم في العشرينات من العمر، وقد واجهوا انتقادات بسبب قبولهم إحياء حفل في المملكة المحافظة.

ومنذ تولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان مهامه في 2017، تحاول المملكة تحسين صورتها من خلال تنفيذ برنامج إصلاحي تطلق عليه "رؤية 2030".

وفي إطار ذلك منحت السلطات السعودية حقوقا إضافية للنساء بينها القيادة أو السفر من دون إذن ولي الأمر، فضلا عن فتح البلاد أمام الزيارات السياحية واستثمار مبالغ طائلة في قطاع الترفيه، إلى جانب رفع الحظر على دور السينما وإعادة فتحها أمام الجمهور.

ويشكل قطاعا الترفيه والسياحة حجر الأساس في "رؤية 2030"، وكانت السعودية قد أعلنت، مؤخرا، أنها ستستثمر نحو 64 مليار دولار في قطاع الترفيه في السنوات العشر المقبلة.

وقد بدا الشباب الذين توافدوا بأعداد كبيرة إلى ملعب الملك فهد الدولي، برفقة أهاليهم الذين كانوا ينتظرونهم في الخارج، مستمتعين بهذه السهرة في مدينة قلما تشهد هذا النوع من حفلات فرق البوب التي تستقطب اهتماما كبيرا لدى الجيل الشاب.

وأكد محمد الذي يعرّف نفسه بأنه مدوّن على "يوتيوب" مولع بالفنون والموسيقى، قائلا إن هذا الحفل "يعني لي الكثير".

وأضاف "أشعر أن هذه التظاهرات تدعم بلدنا واقتصادنا، وتظهر أننا نرحب بالعالم كله لدينا".

وقد أتت مجموعة من ثلاث فلبينيات من جدة على بعد 800 كيلومتر إلى الغرب من الرياض لحضور هذا الحفل. وقالت إحداهن "كنا ننتظر مثل هذا الحدث منذ زمن طويل".

وشهدت السعودية سلسلة من الفعاليات الموسيقية والترفيهية غير المسبوقة، من بينها إقامة حفلات لفرق ومغنين غربيين.

ورغم تنظيم عدد متزايد من الحفلات الموجهة لجيل الشباب في مسعى لتحسين صورة المملكة في العالم، لا تزال السعودية تواجه صعوبات في إقناع جميع الفنانين بإحياء حفلات على أرضها.

صباح العرب

عدلي صادق

جماليات المناظرة وخواؤها

تابعت مساء الجمعة، المناظرة بين الرجلين اللذين يتنافسان على الرئاسة في تونس، وقد أريد لها أن تحاكي في ملمحها العام، المناظرات بين مرشحين اثنين للرئاسة في أميركا، بل التفوق عليها في القواعد الشكلية، من حيث تصميم الاستديو ودقة الإضاءة سطوعا وخفوتا، واختيار الألوان. وفي السياق، لم يكن هناك اشتباك مباشر بين الرجلين المتناظريْن. فكل منهما يجيب عن السؤال نفسه، الذي يتلقاه الآخر من منصة الإدارة. وبدا الفارق لافتا بين الرجلين، فذكّرني حدث التناظر في تونس، بالمواجهة ومناظرة لعبة الكلام التي وقعت في القرن العاشر، بين بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات، والخوارزمي المشتبه بكونه عالم الرياضيات، بينما هو محض اسم على اسم. فكلا الرجلين كانا يتعاطيان الشعر. الأول ذو دهاء لُغوي، يلاعب المفردات ويجيد ترقيصها، أما الثاني فهو كاتب رسائل رصينة وحافظ نصوص. يومها بدأ بديع الزمان قائلا لمنافسه متمثلا الأدب الجَمّ: يسعدنا أن نسمع منك، شيخنا، ما تحفظه من شوارد الأبيات، وحِكَم الأمثال، وعجائب القصص والأخبار، فتسألني وأسألك، وتباحثني وأباحثك، فتعمّ الفائدة علينا جميعا، وإن شئت بدأنا بأكثر شيء برعتَ فيه شيخنا، وهو الحِفظ!

غير أن مناظرة تونس، جرت بين طليق في الفصحى وماكث في العامية. الأول يطرب للغته المستريحون ذوو الرغبة في توسيع نطاق الهوية العربية الإسلامية، بينما الثاني، في شكل ظهوره، يلامس شغاف قلوب الفقراء التونسيين المتعبين، بكلام ميسور بارع. لكن الرجلين لم يقدّما أيّ رؤية بمحددات تتعلق بالأمر الذي عليه يتنافسان، واكتفى كلٌ منهما بدفع المظان عن نفسه، مراوحا في مربع الحب البديهي للبلاد وأهلها. ربما تكون إدارة الحوار، هي التي أخذتهما إلى ذلك المنحى بأسئلتها الفاحصة للمظان. وغابت أسئلة الحياة التونسية المرتجاة، فحضرت أسئلة المزالق، لاختبار صدقية كُلٍّ من الرجلين، بينما التونسيون يهجسون بشيء آخر، وهو مستقبل البلاد وحياتهم فيها. فقد تشكلت الأحزاب وانعكست في أسمائها هواجس العيش الكريم، ليقتنص معظمها اسما يعبر عن غرام لتونس الباهية.

وبالنظر إلى أن تونس الرائقة والحاضنة للسعداء والسعادة، هي المرتجى وقطب الرحى الذي لا يبرح مكانه؛ بمقدورنا القول، إن مناظرة بديع الزمان والخوارزمي، أفادت تونس وغيرها، أكثر من مناظرة قيس ونبيل. ربما لم يكن المقام يسمح بالإفادة في هذه اللّجة، لكن التنويه إلى الخواء لا تكتمه جماليات المناظرة.

صياد مغربي يواجه شحّ الأسماك بزراعة البحر

الناظور (المغرب) – لم يكن بوحجر محمد، وهو صياد تقليدي، قبل ثلاث سنوات، بميناء رأس كبدانة التابع لمحافظة الناظور (شمال شرق المغرب)، يدرك كيف سيواجه متطلبات الحياة، بسبب تراجع نشاط الصيد وشحّ الأسماك في السواحل التي اعتاد الصيد فيها، مع المئات من زملائه.

لكن نظرة بوحجر اليوم نحو المستقبل تغيّرت تماما، بعدما استثمر في مشروع جديد في عرض البحر، وتمكن بمعية 34 صيادا آخر، من إنشاء مزرعة خاصة ببلح البحر (أحد أنواع المحار) الذي يعيش بالقرب من السواحل، ويتوقع أن يشرع في التسويق له في غضون أشهر قليلة، بعد جهد دام أكثر من سنتين.

على بعد نصف ساعة من الإبحار غرب ميناء كبدانة، تقع مزرعة بلح البحر التي تشرف عليها "تعاونية الأمل" للصيد التقليدي. وتمتد المزرعة اليوم على مساحة 5 هكتارات في البحر (الهكتار يعادل 10 آلاف متر مربع)، وفي الأفق أن تبلغ المساحة 15 هكتارا، في السنوات القليلة المقبلة.

ويرى بوحجر الذي يشغل مهمة أمين مال التعاونية، أنه أمام شحّ الأسماك بسبب غياب الشعب المرجانية الكفيلة بتكاثرها على طول عشرات الأميال البحرية، فإن هذه المزرعة هي الحل.

وأفاد مصطفى أمزوغ، رئيس قسم الاستثمار والترويج والدراسات بالوكالة الوطنية لتنمية تربية الأحياء البحرية (حكومية)، أن مزرعة بلح البحر هذه تعتبر نموذجية. وأضاف أن المشروع سيساهم في توفير عدد من مواطن الشغل المدرة للدخل، والتي لها علاقة بقطاع الصيد البحري.

وقال بوحجر إن "هذه المزرعة ستشكل بديلا اقتصاديا للعشرات من الصيادين، بعد تراجع وفرة الأسماك"، إذ من المتوقع إنتاج 320 طنا من بلح البحر في السنة.

> حضرت الممثلة الأميركية جينيفر أنيستون حفلا من تنظيم مجلة «فيرتي» خصصته لتكريم السيدات البارزات في مجالات مختلفة، وتألقت أنيستون على غلاف المجلة في عددها الخاص تكريما لها على نشاطها في مستشفى سانت جود لبحوث الأطفال.

وسائل النقل مجانية لقراء توكارتشوك

فروتسواف (بولندا) – باتت وسائل النقل العام في مدينة فروتسواف البولندية مجانية لأي راكب يحمل كتابا لأولغا توكارتشوك التي أعلن فوزها، الخميس، بجائزة نوبل للآداب والمعروفة بتعلقها الشديد بهذه المدينة في جنوب غرب بولندا، وفق ما أفادت به البلدية.

وقال رئيس المكتب الإعلامي في بلدية المدينة برشميسلاف غاليكي "فور علمنا الخميس، بنبأ فوز أولغا توكارتشوك بجائزة نوبل، أردنا مشاركة فرحتنا مع جميع سكان مدينتنا ومن بينهم الكاتبة التي مُنحت أخيرا لقب مواطنة شرف" في فروتسواف.

وأضاف غاليكي حتى اليوم الأحد "قررنا أنه يمكن لأي راكب يحمل كتابا ورقيا أو إلكترونيا لأولغا توكارتشوك استخدام وسائل النقل العام مجانا في مدينتنا" التي تعد 650 ألف نسمة بينهم هذه الكاتبة التي توزع إقامتها بين مدينة فروتسواف وقرية كرايانوف على الحدود البولندية التشيكية.

وتعرف أولغا توكارتشوك بأنها مؤيدة للاتحاد الأوروبي وناشطة بيئية نباتية، كما تواجه باستمرار انتقادات من المحافظين القوميين على رأس السلطة في بولندا. وحينما حظيت بمنحها لقب مواطنة شرفية في يونيو الماضي، من بلدية المدينة، صرحت بأنها تعتبر فروتسواف "من أجمل وأهم مدن أوروبا".

أمازون تدعم الدول على التدخل في حياة المواطنين الخاصة

واشنطن – دعت "أمازون" الدول إلى تنظيم استخدام تقنية التعرّف على الوجوه، في وقت تواجه فيه المجموعة العملاقة انتقادات حادة في مجالات مختلفة، من موقعها المهيمن حول مدى احترامها للحياة الخاصة.

وجاء في بيان أصدرته المجموعة لتوضيح موقفها بشأن مسائل عدّة، كالتغير المناخي والحدّ الأدنى للأجور والهجرة أنه ينبغي للحكومات أن "تعمل بسرعة على وضع إطار تنظيمي.. لضمان استخدام هذه التكنولوجيا بالشكل المناسب". وأورد البيان "كما الحال مع كلّ التقنيات، يساء استخدام.. تقنية التعرّف على الوجوه. ونحن نقدّم إرشادات لكلّ زبائن برمجية "ريكوغنيشن"، بمن فيهم قوى الأمن، حول السبل المثلى لاستخدامه".

وينتشر استعمال هذه التقنية في العالم بالرغم من المخاوف التي تثيرها بشأن حماية الحقوق والحريات.

وأعربت الشركة المملوكة لجيف بيزوس، أثرى أثرياء العالم، عن استعدادها لدعم قانون فيدرالي أميركي بشأن الحياة الخاصة.

كما أكدت على مواقفها بشأن مسألة الحدّ الأدنى للأجور على الصعيد الفيدرالي الذي ينبغي رفعه.

توفيت الكاتبة سارة دانيوس، أول امرأة تتبوّأ منصب الأمين الدائم للأكاديمية السويدية المسؤولة عن منح جائزة نوبل للآداب، السبت، جراء مضاعفات إصابتها بالسرطان عن سن تناهز 57 عاما.

اكتشاف جدارية تلمع صورة موقع أثري سيء السمعة في إيطاليا

روما – أعلنت وزارة الثقافة الإيطالية عن اكتشاف رسم جداري جديد في موقع بومبي الأثري يظهر مصارعين في ختام جولة مصارعة في روما القديمة، أحدهما منتصر والآخر منحن ومضرّج بالدماء.

وعثر على هذا الرسم الذي يتخّذ شكلا شبه منحرف ويمتدّ على حوالي 1.12 متر طولا و1.5 متر عرضا خلال حفريات في قبو قديم.

وتمكن معاينة ما تبقى من آثار لسلّم فوق الرسم كان يؤدي إلى المسكن العلوي الذي رجّح العلماء أن يكون حانة تضم أيضا مومسات نظرا إلى وجود مصارعين فيه، وفق ما جاء في بيان الوزارة.

وقال وزير الثقافة الإيطالي داريو فرانشيسكيني "قبل بضع سنوات، كان موقع بومبي معروفا في العالم أجمع بسمعته السيئة، مع انهيارات وإضرابات للعاملين فيه وطوابير انتظار لا متناهية تحت أشعة الشمس الحارقة". وتابع أما اليوم "فهو قد أصبح موقعا جاذبا للزوار مع ملايين السياح الإضافيين.. وهذا الاكتشاف الجديد يظهر لنا أن بومبي منهل معارف لا ينضب لعلماء الآثار".

وتعدّ مدينة بومبي القديمة التي غمرتها حمى انفجار بركان فيزوفيو في العام 79 من أكثر المواقع الأثرية استقطابا للسياح في إيطاليا.